أبحـــاث

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

تصدر عن كلية التربية بالحديدة – جامعة الحديدة

العدد الثامن -رمضان 1438هـ - يونيو 2017م

أبحـــــاث

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن كلية التربية بالحديدة – جامعة الحديدة .

الأهداف :

نشر الأبحاث الإنسانية والعلمية المحكمة للباحثين من اليمن والوطن العربي باللغتين العربية والإنجليزية وملخصات رسائل الماجستير والدكتوراه المجازة من الجامعة باللغتين العربية والإنجليزية التي لم يسبق نشرها أو تقديمها للنشر بعد مراجعتها.

ما ينشر في المجلة يعبر عن الباحثين ولا يعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو هيئة التحرير .

حقوق الطبع محفوظة لكلية التربية بالحديدة – جامعة الحديدة.
ولا يجوز نسخ المجلة لأغراض تجارية .

رقم الإيداع بدار الكتب في صنعاء 201 / 2014م

توجه المراسلات باسم رئيس التحرير

العنوان : مجلة أبحـــــــاث
الجمهورية اليمنية – جامعة الحديدة – كلية التربية .
هاتف (734424936 – 777205710) ص.ب (3114)

Email: edu.h.jour@gmail.com

تمت الطباعة والإخراج بواسطة / الحكيمي للطباعة والنشر :
الحديدة شارع زايد تلفون: 777479596 967+

أبحـــــــاث

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
تصدر عن كلية التربية بالحديدة – جامعة الحديدة

رئيس التحرير

أ.د. حسن عمر المطري

نائب رئيس التحرير

أ.د. بدر اسماعيل عبدالرزاق

مدير التحرير

أ.م.د. فيصل صيفان علي

نائب عميد الكلية للدراسات العليا

نائب مدير التحرير

أ.م.د. محضار أحمد حسن الشهاري

نائب عميد الكلية لشؤون خدمة المجتمع

هيئة التحرير

أ.م.د. محمد بلغيث
د. يوسف العجيلي
د. خالد الأغبري

استشارية التحرير

أ.د. عبدالعزيز المقالح	**أ.د. إبراهيـــم القريـــبي**
أ.د.أحمد عبدالله حمادي	**أ. د. عبده يحيـى هديش**
أ.د. إبراهيم عمر حجري	**أ.د. رضوان الشيباني**

سكرتارية التحرير

أ.م.د. أحمد مذكور	**الدراسات الإنسانية**
أ.م.د. مفيد عبـادي	**الدراسات العلمية**
أ.م.د. سالم الوصابي	**النشر الإلكتروني**

التصميم والإخراج

أ.م.د. محضار أحمد حسن الشهاري

الطباعة والتنسيق

أ.فاطمة القبيصي

أبحـــــاث

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن كلية التربية بالحديدة .

- **تهدف المجلة إلى نشر المواد العلمية والإنسانية في المجالات الأتية :**

1- البحوث الإنسانية والعلمية باللغتين العربية والإنجليزية .
2- عرض ومراجعة الكتب باللغتين العربية الإنجليزية .
3- ملخصات الرسائل الجامعية التي تم إجازتها من الجامعة أو خارجها باللغتين العربية والإنجليزية .
4- التقارير العلمية عن المؤتمرات المحلية والعربية والأجنبية .

قواعد النشر في المجلة :

- أن يكون البحث جديداً ولم يسبق نشره في أي وسيلة أخرى أو لم يقبل للنشر .
- أن يمثل إضافة علمية سواء كانت نظرية أو تطبيقية .
- الجودة في الفكرة والأسلوب والنهج والتوثيق العلمي و الخلو من الأخطاء العلمية واللغوية والنحوية .
- الإسهام في تنمية الفكر العلمي والتربوي وتطبيقاته محلياً وعربياً وعالمياً.
- يقدم الباحث ثلاث نسخ ورقية وقرص CD في برنامج (Word) مدون عليه عنوان البحث والملخص بالعربي والانجليزي واسم الباحث (أو الباحثين) كاملاً ودرجته العلمية ووظيفته الحالية وعنوانه وتلفونه وبريده الإلكتروني .
- أن يتبع الباحث آليات وأساليب البحث العلمي المتعارف عليها (مقدمة – مشكلة – منهج البحث – نتائج البحث والمناقشة - المراجع – الملاحق- ترقيم الجداول والاشكال والصور .
- أن يكتب البحث بخط النسخ على ورق B5 (17.5 x 25 سم) مع ترك هامش 1.5 سم من جميع الجهات، ومسافة 1.15 بين الأسطر وتكون العناوين الجانبية بخط بارز .
- أن تكون الرسومات والجداول والأشكال والصور والحواشي (إن وجدت) معده بطريقة جيدة.
- أن لا يتجاوز البحث عن (30) صفحة ورقة ، وما زاد عن ذلك تدفع رسوم إضافية(500) ريال عن كل صفحة .
- يقدم ملخص لا يزيد عن (150) كلمة في صفحة واحدة.
- يقدم الباحث تعهد بعدم نشر البحث في مجلة أخرى .
- يقدم الباحث سيرته الذاتية .
- يحصل الباحث على نسخة من المجلة التي نشر فيها بحثه .
- الباحث مسؤول عن صحة ودقة النتائج والبيانات والاستنتاجات الواردة في البحث .
- تخضع البحوث المقدمة للنشر للتحكيم العلمي بطريقة سرية .
- الأبحاث لا تعاد لأصحابها سواءً قبلت للنشر أو لم تقبل .
- رسوم النشر لا تعاد سواء تم قبول البحث للنشر أو لم يقبل .

التبادل والإهداءات : توجه الطلبات باسم رئيس التحرير .

محتويات العدد

عنوان البحث	الباحث	الصفحة
دلالات حروف العطف بين النص والقاعدة لدى ابن فلاح اليمن	د. يوسف حسن حسن العجيلي د. عبد الله راجحي محمد غانم	1
شرط القرشية للولاية العامة درس فقهي مقارن	د.عبد الولي بن عبد الواحد بن لطف	23
دور المعابد وقدسيتها عند عرب الجنوب	د. ناجي محمد سعيد علي	51
تأثير الكتل الهوائية على الرطوبة النسبية وأهميتها في اليمن	د. مجاهد عبد العزيز مبخوت نوفل	81
الجيولوجية والهيدرولوجية لمديرية مدينة حجة	د. همدان أحمد علي عايض الهمداني د. محمد محمد جح جح	121
تأثر النحو العربي الحديث بالبنيوية من خلال فكر تمام حسان التجديدي	د. أحمد لطف عبدالله قائد البريهي	145
الجامعة القرآنية لتعليم ألفاظ القرآن الكريم في عهد الصحب الكرام	د. منصور علي سالم ناصر	159
تأثير استخدام أسلوب التدريب بالمصادمة خلال الوحدة التدريبية على تحسين الوثب العمودي ودقة التصويب بالقدم والرأس للاعبي كرة القدم.	د. أبوعلي غالب علي	183
V(z) Evaluation of Crystallographic Orientations Effects on Elastic Properties of Sodium Cobalt Germanate Single Crystals	Dr. Ibrahim Hamid Qassem AL-Suraihy	1

دلالات حروف العطف بين النص والقاعدة
لدى ابن فلاح اليمني[1]

د. يوسف حسن حسن العجيلي

أستاذ النحو والصرف المساعد، عميد كلية التربية، جامعة الحديدة

د. عبد الله راجحي محمد غانم

أستاذ النحو والصرف، رئيس قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة الحديدة

مقدمـة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعـدُ....

فقد توقف النحويون عند حروف المعاني، ومنها حروف العطف، ودار بينهم جدل كبير حول دلالاتها؛ فذهب فريق إلى أن كل حرف قد وُضِعَ بإزاء معنى معين لا يتجاوزه، فلا ينوب حرف عن حرف، ولا يأخذ حرف دلالة حرف آخر، وذهب فريق آخر إلى الانتصار لفكرة التناوب بين الحروف؛ فقد يأخذ حرف دلالة حرف آخر. وهذا الجدل بين العلماء أثر من آثار الحوار بين معيارية القاعدة النحوية وانفتاح النص على سماوات متعددة من الأفهام للوصول إلى الدلالة المقصودة.

ولذا، يهدف هذا البحث إلى

- الكشف عن منهج ابن فلاح اليمني في الوصول إلى دلالات حروف العطف وموقفه من قضية التناوب بين حروف العطف من خلال مواجهة القاعدة بالنص.
- الكشف عن توجيهات ابن فلاح وتأويلاته للآيات القرآنية التي في ظاهرها مخالفة للقاعدة النحوية العامة فيما يختص بدلالات حروف العطف.
- الكشف عن دور معنى النص وسياقه في تحديد دلالات حروف العطف لدى ابن فلاح.
- الكشف عن موقف ابن فلاح من القواعد النحوية الجاهزة العامة الحاكمة لدلالات حروف العطف عند تعارضها مع معنى النص وسياقه.

وبذلك تتجلى أهمية هذا البحث في وقوفه على حوار بين النص والقاعدة في فهم ظاهرة لغوية مميزة هي دلالات حروف العطف لدى أحد أبرز علماء اليمن في القرن السابع الهجري، هو ابن فلاح اليمني.

(1) هو تقي الدين منصور بن فلاح بن محمد بن سليمان بن معمر اليمني النحوي، اشتهر بكنية ابن فلاح، ويكنّى بأبي الخير، أحد علماء القرن السابع الهجري؛ فقد توفّي في سنة 680هـ. من أشهر مؤلفاته النحوية: المغني في النحو، شرح الكافية، الكافي في العربية. انظر: السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، 302/2. وحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، 1751/2. والزركلي، الأعلام، 303/7.

وقد اعتُمد على المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والملاحظة والتحليل من خلال خطة تمثلت في مقدمة وانتهت بخاتمة، وبينهما عشرة مباحث موزعة على محورين، هي:

المحور الأول: دلالة الاشتراك لفظا ومعنى

- **المبحث الأول: دلالة حرف العطف (الواو).**
- **المبحث الثاني: دلالة حرف العطف (الفاء).**
- **المبحث الثالث: دلالة حرف العطف (ثم).**
- **المبحث الرابع: دلالة حرف العطف (حتى).**

المحور الثاني: دلالة الاشتراك لفظا لا معنى

- **المبحث الأول: دلالة حرف العطف (أو).**
- **المبحث الثاني: دلالة حرف العطف (أم).**
- **المبحث الثالث: دلالة حرف العطف (إما).**
- **المبحث الرابع: دلالة حرف العطف (بل).**
- **المبحث الخامس: دلالة حرف العطف (لكن).**
- **المبحث السادس: دلالة حرف العطف (لا).**

المحور الأول: دلالة الاشتراك لفظا ومعنى

وفي هذا المحور حديث عن دلالات حروف العطف التي تشرك بين المعطوف والمعطوف عليه لفظا ومعنى، وهي عند ابن فلاح أربعة: الواو والفاء وثم، وحتى.

المبحث الأول: دلالة حرف العطف (الواو)

وفي هذا المبحث يواجهنا نص قرآني، هو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾[1] ؛ فقد فهم بعض الفقهاء أن الترتيب في الوضوء آتٍ من دلالة الواو على الترتيب[2].

وهذا الفهم يتعارض مع القاعدة النحوية العامة الحاكمة لدلالة حرف العطف (و) التي تنص على أن (الواو) لمطلق الجمع من غير ترتيب، وهذا ما عليه جمهور النحاة.

ويسلك ابن فلاح في هذا النص طريق التوفيق والمواءمة بين النص والقاعدة معتمدا على السياق الخارجي للنص؛ فيقول:[3] "واعلم أنَّ الشافعي –رحمه الله- وإن قال بالترتيب في آية الوضوء لا يطّرد حكم الترتيب مع الواو في جميع الأحكام، فدلَّ على أنَّه لم يأخذ الترتيب في آية الوضوء من (الواو)؛ لأنَّه لا يمكن جعلها للترتيب في بعض الصور دون البعض، وإنما استفيد الترتيب في آية الوضوء من دليل آخر".

ويوضح ابن فلاح هذا الدليل بقوله: "أنه بدأ بالوجه لشرفه بكمال المواجهة، وبعده باليدين لشرفهما بالقرب من الأشرف وبكونهما آلة الوضوء، وبعدهما بالرأس لقربه من الأشرف ونقصانه من الآلة، وبعده بالرجلين لنقصانهما عن القرب وعن الآلة"[4].

وهكذا نلاحظ أن ابن فلاح اليمني اعتمد على سياق خارجي لفهم النص وتوجيهه تحقيقا للمواءمة بين النص والقاعدة، وهو توجيه مقبول عقلا ومعنى ومنطقا، ولا يشوبه غموض أو تكلف، ويوافق ما عليه جمهور الفقهاء في مسألة الترتيب في الوضوء، ويوافق جمهور النحاة في القول بأن (الواو) لمطلق الجمع من غير ترتيب.

(1) سورة المائدة، الآية: 6
(2) العلائي، الفصول المفيدة في الواو المزيدة ص: 72.، الماوردي، الحاوي الكبير 168/1.
(3) ابن فلاح، المغني في النحو ص 1217.
(4) ابن فلاح، المغني في النحو ص 1219.

المبحث الثاني: دلالة حرف العطف (الفاء)

وفي هذا المبحث يواجهنا نص قرآني، هو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[1]؛ فظاهر النص على وجود المهلة الطويلة على خلاف مقتضى الفاء. وهناك من ذهب إلى أنَّ (الفاء) قد تخرج من دلالتها على (الترتيب من غير مهلة)، فتأتي نائبة عن (ثُمَّ) التي تدلُّ على التراخي[2]؛ فالانتقال من العلقة إلى المضغة يقتضي فترة زمنية، وكذلك الانتقال من المضغة إلى العظام، وكَسْو العظام لحمًا، كل هذه يقتضي التراخي، وحقها العطف بـ(ثُمَّ)، فدلَّ هذا على أنَّ (الفاء) هنا بمنزلة (ثُمَّ).

وابن فلاح يرى بقاء (الفاء) على دلالتها من عدم المهلة، وقد ردّ على من احتجّ بهذه الآية بقوله: [3] "ليس كذلك؛ لأن طول المدة وقصرها بالنسبة إلى وقوع الفعل فيها، فإن كان الفعل يقتضي زمانًا طويلاً، طالت المهلة في الظاهر، وإن كان في التحقيق وجود الثاني عقب الأول بغير مهلة بين الفعلين، وإن كان الفعل يقتضي زمانًا قصيرًا ظهر التعقب بين الفعلين بغير مهلة، فالآية واردة على التقدير الأول؛ لأن زمن النطفة وزمن العلقة وزمن المضغة طويل، كما ورد في الخبر"، ويواصل في رده قائلا: "وعند انقضاء زمن الأول يشرع في الثاني بلا مهلة، فلا ينافي معنى الفاء".

ومثله قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[4]؛ فظاهر النص على طول المدة بين الإنزال وإصباح الأرض مخضرة، فينافي دلالة الفاء على التعقيب.

ويرى ابن فلاح أن النص في تحقيقه غير مناف لدلالة الفاء على التعقيب؛ فيقول: [5] "وهو في التحقيق غير مناف على ما قررنا؛ لأن أسباب الاخضرار يمتد زمانها، فإذا تكاملت أصبحت مخضرة بغير مهلة بعد تكامل أسباب الاخضرار".

وهكذا يتبين أن توجيه ابن فلاح للنصين السابقين توجيه ينم عن فهم وإدراك للمعنى الكلي لكل نص. وقد استطاع من خلال هذا الفهم وهذا الإدراك التوفيق بين النص والقاعدة النحوية التي تحكم دلالة حرف العطف (الفاء)؛ فقد سلك ابن فلاح مسلك جمهور النحاة في كون (الفاء) تدل على التشريك مع الترتيب والتعقيب، وبهذين التوجيهين للنصين السابقين يزيل تعارضا قد ينشأ للوهلة الأولى بين النص والقاعدة.

(1) سورة المؤمنون، الآية: 14.
(2) المرادي، الجنى الداني ص 62.
(3) ابن فلاح، المغني في النحو ص 1220، 1221.
(4) سورة الحج، الآية: 63.
(5) ابن فلاح، المغني في النحو ص 1221.

ويواجهنا في هذا المبحث ثلاثة نصوص قرآنية هي:

1. قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾[1] ،

2. قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾[2]،

3. قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾[3]

فهذه النصوص تتعارض في ظاهرها مع دلالة حرف العطف (الفاء) على الترتيب؛ فالاستعاذة تكون قبل القراءة، والغسل يكون قبل الصلاة، والبأس قبل الهلاك. وقد حكي عن الفراء أنه قال: [4] "إن الفاء لا تفيد الترتيب مطلقا؛ إذ ربما أتى ما بعد الفاء سابقا إذا كان في الكلام دليل السبق، فإذا عدم الدليل لم يجز".

وقد وجّه ابن فلاح النصين الأول والثاني (آية النحل وآية المائدة) بقوله: [5] "فتقديره: إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ، وإذا أردتم القيام إلى الصلاة فاغسلوا، فاكتفى بالمسبب عن السبب، ونظيره ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ ﴾[6] أي فضرب فانبجست على حذف السبب وإبقاء المسبب". وهذا التوجيه يبقي (الفاء) محتفظا بدلالته على الترتيب، وهو توجيه الأكثرين من المفسرين والنحاة ممن سبقوا ابن فلاح[7].

ويبدو أن ابن فلاح لم يكن موفقا في حكمه على قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ﴾ بأنه حذف للسبب وإبقاء على المسبب؛ لأن هذه الآية حذف للمسبب (فضرب) وإبقاء للسبب (اضرب)، وإن كان يقصد بأن الآية حذف للسبب (فضرب) وإبقاء للمسبب (فانبجست)، فهو وهم أو غلط؛ لأننا بصدد علاقة حذف، أحد طرفيها المحذوف (فضرب)، والآخر الدليل على المحذوف وهو (اضرب)، وليست فانبجست دليلا على المحذوف (فضرب).

وأما النص الثالث ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾[8]، فقد طرح ابن فلاح سبعة أوجه في توضيحه وقراءة معناه لكي يواءم بين النص والقاعدة النحوية العامة القائلة بدلالة الفاء على الترتيب، وهذه الأوجه هي[9]:

1. أحدها: أنه علي حذف السبب وإبقاء المسبب، أي: أردنا إهلاكها.

(1) سورة النحل الآية: 98
(2) سورة المائدة، الآية: 6
(3) سورة الأعراف، الآية: 4
(4) انظر: الزجاج، إعراب القرآن (المنسوب إليه) ص 100. والمرادي، الجنى الداني ص 62. وابن هشام، مغني اللبيب 478/2.
(5) ابن فلاح، المغني في النحو ص 1222.
(6) سورة الأعراف، الآية: 160.
(7) انظر: ابن جني، الخصائص 289/1، 174/2.
(8) سورة الأعراف، الآية: 4
(9) انظر: ابن فلاح، المغني ص 1222، 1223.

2. الثاني: أن الهلاك على نوعين باستئصال وبغير استئصال، والمعني وكم من قرية أهلكنا بغير استئصال للجميع، فجاءها بأسنا باستئصال الجميع.
3. الثالث: انه لما كان مجيء البأس مجهولا للناس، والهلاك معلوم لهم ذكره عقيب الهلاك وإن كان سابقا عليه؛ لأنه لا يتضح إلا بالهلاك.
4. الرابع: أن المعني قاربنا إهلاكها فجاءها بأسنا فأهلكناها.
5. الخامس: أنه على التقديم والتأخير، أي: جاءها بأسنا فأهلكناها.
6. السادس: أن الهلاك ومجيء البأس لما تقاربا في المعني جاز تقديم أحدهما على الآخر لعدم تفاوت المعني، ونظيره في كلامهم أحسنت إلي فأعطيتني، وأعطيتني فأحسنت إلي.
7. السابع: أن معنى فجاءها بأسنا فحكم بمجيء بأسنا لأنه لما شوهد الإهلاك علم بمجيء البأس وحكم به، ويكون من قبيل الاستدلال بوجود الأثر على المؤثر، ونظيره أن من ظهر منه الفعل المحكم حكم بأنه عالم.

وهذه الأوجه – ما عدا الثالث والخامس - مقبولة عقلا ومنطقا ومعنى، ولا يشوبها غموض أو تكلف، وتحقق المواءمة بين النص والقاعدة في دلالة الفاء على الترتيب. وأما الوجهان الثالث والخامس فيبدو أن فيهما غموض وتكلف، ولا يقنعان في إثبات دلالة الفاء على الترتيب.

المبحث الثالث: دلالة حرف العطف (ثم)

ويواجهنا في هذا المبحث النصوص التالية:

1. قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾[1]
2. قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾[2]
3. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾﴾[3]
4. قوله تعالى: ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾[4]
5. قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[5]
6. قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾[6]
7. قول الشاعر:

إِنَّ مَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوْهُ ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهْ[7]

فهذه النصوص تتعارض في ظاهرها مع دلالة حرف العطف (ثم) على الترتيب؛ وحينما واجهها ابن فلاح أعطى لها جوابين، أحدهما عام، والآخر خاص، وتوضيحهما في التالي:

الجواب العام: وهو جواب اضطر فيه ابن فلاح إلى إجراء تعديل خفيف على القاعدة العامة التي تحكم دلالة حرف العطف (ثم) القاضية بإفادتها الترتيب والتراخي؛ فقد أورد قول ابن الدهان بأن المهلة والترتيب في المفردات، وأما الجمل فلا يلزم فيها ذلك، بل قد تدل على تقديم ما بعدها على ما قبلها، والأصح المحافظة على معناها أين وقعت، وتأويل ما خالف معناها، والجواب العام لهذه الجمل أنها تدل على ترتيب خبر على خبر لا على ترتيب المخبر عنه[8].

وهذا التفصيل غير موجود عند ذكر القاعدة النحوية العامة التي تحكي دلالة (ثم) على الترتيب والتراخي. ويبدو أن التعرض للنصوص والاصطدام بها هو ما دفع ابن فلاح إلى إجراء

(1) سورة طه، الآية: 82
(2) سورة هود، الآية: 5
(3) سورة الانفطار، الآية: 17، 18.
(4) سورة يونس، الآية: 46.
(5) سورة البلد، الآية: 12 -17.
(6) سورة آل عمران، الآية: 59.
(7) البيت لأبي نوَاس، انظر: ديوانه ص 47. والبغدادي، خزانة الأدب (37/11، 40).
(8) ابن فلاح، المغني ص 1224.

هذا التعديل الخفيف على القاعدة العامة حينما لم يجد مبررا من التوجيه والتأويل يوفق به بين هذه النصوص والقاعدة العامة.

ويبدو أن ابن فلاح قد استفاد توجيهه هذا من الفراء الذي يقول: [1] "إن العرب إذا أخبرت عن رجلين بفعلين ردوا الآخر بـ (ثم) إذا كان هو الآخرَ في المعنى، وربما جعلوا (ثم) فيما معناه التقديم، ويجعلون (ثم) من خبر المتكلم، من ذلك أن تقول: قد بلغني ما صنعت يومك هذا ثم ما صنعت أمسِ أعجبُ، فهذا نسق من خبر المتكلم. وتقول: قد أعطيتك اليوم شيئا ثم الذي أعطيتك أمسِ أكثرُ، فهذا من ذلك"

الجواب الخاص: وهو جواب يوضح مدى اهتمام ابن فلاح وتركيزه على سياق النص ووحدته الكلية للتوفيق والمواءمة بين النص والقاعدة النحوية الحاكمة لدلالة حرف العطف (ثم)، وقد تناول به نصين هما الأول والسادس[2]. فأما الخاص بالنص الأول فمن وجهين:

- أحدهما: أن المراد بالهداية هداية الدوام؛ لأن الغفران يتوقف على العاقبة لا هداية الابتداء؛ لأنها من معلومة من قوله تعالى: ﴿تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾[3].

- الثاني: أن المراد ثم اهتدى إلى سلوك طريق الاستقامة فيما يعرض له بعد ذلك من الوقائع.

وهذان التوجيهان قريبان من توجيه الزمخشري؛ إذ يقول: [4] "الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدي المذكور، وهو التوبة والإيمان والعمل الصالح، وكلمة التراخي دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في: جاءني زيد ثم عمرو، أعني أن منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه؛ لأنها أعلى منها وأفضل".

وأما الخاص بالنص السادس فمن وجهين:

- أحدهما: أن الخلق عبارة عن إيجاد الجثة، والتكوين عبارة عن نفخ الروح فيها وإتمامها.

- الثاني: أن الخلق عبارة عن تصويره جسدا من طين، والتكوين عبارة عن جعله لحما ودما، وهي على هذين الوجهين لترتيب المخبر عنه، وإذا جمع مجموع الأجوبة في الآيتين حصل منها أربعة أوجه: التقديم وترتيب الخبر والوجهان الخاصان، وفي غيرهما وجهان وقد جاءا معا في الأحرف الثلاثة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾﴾[5]؛ فعطف بالواو إذ لا ترتيب للسقي والطعام، وعطف بالفاء لما كان الشفاء عقب المرض، وعطف بـ(ثم) لتراخي الإحياء عن الإماتة.

(1) الفراء، معاني القرآن 415/2.
(2) ابن فلاح، المغني ص 1225.
(3) سورة طه، الآية: 82.
(4) الزمخشري، الكشاف ج2 ص548.
(5) سورة الشعراء، الآية: 79- 81.

المبحث الرابع: دلالة حرف العطف (حتى)

لم يتعرض ابن فلاح بالتأويل أو التوجيه لنصوص تخالف القاعدة العامة التي تحكم دلالة حرف العطف (حتى)؛ ولعل ذلك مرده إلى الأسباب التالية:

1. استعمال (حتى) عاطفة قليل في اللسان العربي، وما يؤكد ذلك عدم ورودها في القرآن الكريم؛ يقول السيوطي:[1] "وَنَرَدُ عَاطِفَةً وَلَا أَعْلَمُهُ فِي الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ الْعَطْفَ بِهَا قَلِيلٌ جِدًّا، وَمِنْ ثَمَّ أَنْكَرَهُ الْكُوفِيُّونَ أَلْبَتَّةَ".
2. إذا ورد ما بعد حتى مجرورا؛ فإنه يوجّه نحويا على أساس أن (حتى) حرف جر، وليس حرف عطف، وما بعدها مجرور.
3. إذا ورد ما بعد (حتى) مرفوعا أو منصوبا؛ فإنه يوجه نحويا على أساس إضمار عامل في المرفوع أو المنصوب بعد (حتى)؛ فالكوفيون لا يجعلون (حتى) حرف عطف، ويعربون ما بعدها على إضمار[2].

ولابن فلاح رأي خاص في دلالة (حتّى)، فهو يرى أنها مثل (ثُمَّ) في الترتيب والمهلة، إلاّ أنَّه يُشترط أن يكون معطوفها جزءًا من المعطوف عليه؛ ليصحَّ جعله غايةً له يعلم منها مخالفته الأوّل فيما أوجبت له المهلة من ضعف أو قوّة، كـ: قدم الحجاج حتّى المشاةُ، وماتَ الناسُ حتّى الأنبياء[3].

ويبدو رأي ابن فلاح موافقًا لما عليه مذهب الزمخشري وابن يعيش، فقد ذهبا إلى أنَّ (حتّى) من جملة الحروف التي تفيد الترتيب، من غير أن يُبينا إن كان الترتيب بمهلة مثل(ثُمّ)، أو من غير مهلة كـ(الفاء) [4].

وأمَّا الرماني، فهو يرى أنّ (حتّى) لا تدلُّ على مهلة، بل هي مثل (الواو) للجمع من غير ترتيب ولا مهلة، فإذا قلت: قامَ القومُ حتّى زيدٌ، احتمل أنْ يكونَ القائم أولاً زيدًا، وأنْ يكون القائمُ أولاً القوم، بمهلة أو غير مهلة، وأن يكونوا قاموا في وقت واحد، إلا أنَّها تفارق الواو في أنَّ ما بعدها لا يكون أبدًا إلا جزءًا مما قبلها، وأن يكون ما بعدها إمَّا حقيرًا أو عظيمًا، فلا تقول: قامَ القوم حتّى زيدٌ إلا وزيدٌ عظيمٌ أو حقيرٌ، فتقول في التعظيم: ماتَ الناسُ حتّى الأنبياء، وفي التحقير: قدم الحجاج حتّى المشاةُ، وهذا نفسه مذهب ابن عصفور، والمرادي[5].

(1) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن 228/2.
(2) انظر: المرادي، الجنى الداني ص546، وابن فارس، الصاحبي ص 222، 223.
(3) ابن فلاح، المغني ص 1226، 1227.
(4) انظر: ابن يعيش، شرح المفصل 94/8، 95.
(5) انظر: الرماني، معاني الحروف ص 119، ابن عصفور، شرح الجمل231/1، المرادي، الجنى الداني ص546، 547.

وذهب ابن هشام مذهب الرماني؛ إذ يرى أن (حتى) بمعنى (الواو)، وأنها تفارقها في أمور، منها ما ورد عند ابن عصفور، ومنها أن معطوفها لا يكون مضمرًا ولا جملة[1].

وأمَّا المالقي فكان كلامه يتضمن موافقة ابن عصفور في دلالة (حتى)، وإن لم يصرّح، فهو يقول: إنَّ (حتى) العاطفة هي التي تُشرك بين المفردين والجُملتين في الكلام، كقولك: قامَ القومُ حتى قام زيدٌ، وبين الاسمين في اللفظ المعنى: في اللفظ من الرفع والنصب والخفض، وفي المعنى من النفي والإثبات[2].

ولعل رأي ابن فلاح أقرب إلى الصواب، فلا يمكن حمل دلالة (حتّى) على مطلق العطف؛ لأن المعطوف بها لا يكون إلا متأخرًا في الرتبة عن المعطوف عليه.

ومعلوم أنَّ (حتّى) قد تكون حرف عطف وقد تكون غير ذلك، ولذا فقد صرّح ابن يعيش بأن العطف بها لا يتحقق إلا في حالة النصب، نحو قولك: رأيت القوم حتى زيدًا؛ لأنّه لا وجه لنصب (زيدًا) إلا أن يكون معطوفًا على ما قبله، أما في حالة الرفع، نحو: جاء القوم حتّى زيدٌ، فيحتمل أن تكون (حتّى) حرف ابتداء، وما بعدها مبتدأ محذوف الخبر، وكذلك إذا خفضت ربما يتوهم فيها الغاية؛ لكون (حتّى) غير راسخة القدم في باب العطف، ولا متمكنة فيه[3].

(1) انظر: ابن هشام، مغني اللبيب 280/2 وما بعدها .
(2) انظر: المالقي، رصف المباني ص 258.
(3) انظر: ابن يعيش، شرح المفصل: (8/96-97).

المحور الثاني: دلالة الاشتراك لفظا لا معنى

وفي هذا المحور حديث عن دلالات حروف العطف التي تشرك بين المعطوف والمعطوف عليه لفظا لا معنى. وقد تحدّث ابن فلاح عن هذا القسم من الحروف، فجعلها ستة أحرف هي: (أو) و(إمَّا) و(أم) و(بل) و(لكن) و(لا)، وقد ذكر أنَّ من أحكام هذا القسم من حروف العطف أنَّه لا يجوز فيه الاشتراك في الضمير، نحو: زيدٌ أو عمرو قامَا، بل يقال: زيدٌ أو عمرو قام؛ لأنَّك لو أشركت في الضمير، لكان الفعل لهما، والتقدير أنَّه لأحدهما؛ لأنَّ حرف العطف لأحد الشيئين[1].

المبحث الأول: دلالة حرف العطف (أو)

وفي هذا المبحث يواجهنا نص قرآني، هو قوله تعالى: ﴿ أَوۡ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ ﴾[2]. ففي هذا النص توجد مشكلة هي اشتراك المتعاطفين بـ(أو) في الضمير كما يبدو من ظاهر النص، وهذا فيه تعارض مع الأحكام النحوية لحرف العطف (أو).

وللخروج من هذه المشكلة، طرح ابن فلاح ثلاثة أوجه، هي[3]:

- أنَّ (أَوْ) بمعنى الواو، ولذلك أعاد عليهما ضمير الاثنين، ولو كانت باقية على بابها، لقال: أولى به؛ لأنَّ (أو) لأحد الشيئين.
- أنَّ الضمير يعود على اسم كان لا على الخبر، واسمها الخصم، أو المشهود له والمشهود عليه؛ لدلالة ما تقدّم عليه، وتكون أو هنا للتفصيل، وذلك أن كل واحد من الخصمين أو المشهود له والمشهود عليه يحتمل ثلاثة أقسام، أن يكونا غنيين، وأن يكون فقيرين، وأن يكون أحدهما غنيًّا والآخر فقيرًا، فلمّا لم يذكر هذه الأقسام، أتى بـ(أو) للدلالة على هذا التفصيل، فيكون الضمير في (بهما) عائدًا على اسمها على أي صفة كان، أي: إن يكن كل واحد من الخصمين أو المشهود له والمشهود عليه غنيين أو فقيرين أو غنيا وفقيرا فالله أولى بهما، ويكون (غنيا) في معنى غنيين لأنه أحد الأقسام، و(فقيرا) في معنى فقيرين لأنه القسم الثاني، والقسم الثالث وهو الغني والفقير يؤخذ من كل واحد منهما، وعلى هذا يرتفع إشكال عطف الخبر بـ(أو)، وهذا أقصى ما يمكن في تقرير هذا الوجه.
- أن يعود الضمير على الغنى والفقر؛ لدلالة الاسمين عليهما، أي فالله أولى بالغنى والفقر.

وهكذا، يتبين أن ابن فلاح لم يكتف بالوجه الأول الذي يحل مشكلة عودة الضمير إلى المتعاطفين؛ لكونه يدخلنا في إشكالية القول بنيابة (أو) عن (الواو) في هذا النص فيوقعنا في

(1) ابن فلاح، المغني ص1207، 1208.
(2) سورة النساء، الآية: 135 .
(3) ابن فلاح، المغني ص 1208، 1209.

مشكلة أخرى هي منطقية المعنى؛ فالغنى والفقر لا يجتمعان في شخص واحد لحظة كونه مشهودا له أو مشهودا عليه؛ لذا لجأ إلى التوجيهين الثاني والثالث معتمدا على سياق النص ليحل مشكلة المعنى ولتبقى (أو) محتفظة بدلالتها على التفصيل لا نائبة عن (الواو).

ويواجهنا في هذا المبحث أيضا قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[1]. ففي هذا النص توجد إشكالية تحديد دلالة (أو)؛ فقد ذكر ابن فلاح أربعة من أقوال العلماء لتحديد هذه الدلالة، وهذه الأقوال هي[2]:

- بمعنى (بل)، أي أن دلالتها الإضراب، وهذا قول بعض الكوفيين[3].
- بمعنى (الواو). والمعنى: إلى مائة ألف ويزيدون؛ وذلك دفعًا لما يتوهم من ظاهر الآية من الشك والتردد؛ إذ يستحيل على الله أن يعترضه الشك أو يدخل عليه التردد. وهذا المذهب عزاه ابن جني إلى قطرب، وعزاه المرادي، وابن هشام إلى الأخفش والجرمي وجماعة من الكوفيين[4].
- دلالة الشك، وهذا الشك راجع للمخاطبين. وهذا رأي ابن جني، فهو يرى أن (أو) باقية على معناها في الدلالة على الشك؛ إذ يقول:[5] " فلا يكون فيه (أو) على مذهب الفراء بمعنى (بل)، ولا على مذهب قطرب في أنها بمعنى (الواو). لكنها عندنا على بابها في كونها شكًّا. وذلك أن هذا كلام خرج حكاية من الله -عز وجل- لقول المخلوقين. وتأويله عند أهل النظر: وأرسلناه إلى جمع لو رأيتموهم لقلتم أنتم فيهم: هؤلاء مائة ألف أو يزيدون".
- دلالة التخيير، أي: تخيير المخاطبين بين أن يقولوا مائة ألف أو يزيدون عليه.

وأما ابن فلاح فيرى أنها تفيد الإبهام لمصلحة لا يوقف عليها[6]. وعلى الرغم من مغايرة الأوجه السابقة لرأي ابن فلاح نجده يتخذ منها موقفا محايدا فلم يتعرض لها بالرفض أو التضعيف أو النقد، ولعل ذلك يعود إلى عجزه عن بيان المصلحة (الغرض) من وراء الإبهام بـ(أو) في هذا النص. ويبدو أن الغرض من هذا الإبهام هو إطلاق العَنان للمخاطبين في تخيّل المساحة العددية لكثرة القوم الذين أرسل إليهم في هذا النص.

(1) سورة الصافات، الآية: 147 .
(2) ابن فلاح، المغني ص 1229.
(3) الفراء، معاني القرآن: (72/1)، أبو البركات الأنباري، الإنصاف: (478/2)، المالقي، رصف المباني: (211).
(4) ابن جني الخصائص 461/2، الفراء، معاني القرآن: (72/1)، أبو البركات الأنباري، الإنصاف: (478/2)، المالقي، رصف المباني: (211).
(5) ابن جني الخصائص، 461/2.
(6) ابن فلاح، المغني ص 1228.

ويواجهنا في هذا المبحث أيضا قول الشاعر[1]:

بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى
وَصُــوْرَتِها أَوْ أَنْتَ فِي العَــيْنِ أَمْلَــحُ

ففي هذا النص توجد إشكالية تحديد دلالة (أو)؛ فبعض النحويين يرى أنها على معنى (بل)، ويكون التقدير: بل أنت في العين أملح، ومستندهم في ذلك أن (أو) تأتي للإضراب بمعنى (بل) مطلقًا، دون قيد أو شرط[2]. وهذا ما أقرّ به ابن فلاح.

وأمّا ابن جني، فهو يرى أن (أو) هنا باقية على بابها من الشّك، فهو يقول:[3] " وقال: معناه: بل أنت في العين أملح. وإذا أرينا أنها في موضعها وعلى بابها -بل إذا كانت هنا على بابها كانت أحسن معنًى وأعلى مذهبًا - فقد وفَّينا ما علينا. وذلك أنها على بابها من الشك، ألا ترى أنه لو أراد بها معنى بل فقال: بل أنت في العين أملح، لم يفِ بمعنى (أو) في الشك؛ لأنه إذا قطع بيقين أنها في العين أملح كان في ذلك سرف منه ودعاء إلى التهمة في الإفراط له، وإذا أخرج الكلام مخرج الشك كان في صورة المقتصد غير المتحامل ولا المتعجرف، فكان أعذب للفظه وأقرب إلى تقبله.

ويبدو أن ما ذهب إليه ابن جني في هذا النص هو الصواب؛ لكونه تغلغل في أعماق المعنى الذي يجسد قصدية الشاعر؛ فحسُن المعنى، وبقيت (أو) على بابها.

ويواجهنا في هذا المبحث أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[4]. ففي هذا النص توجد إشكالية تحديد دلالة (أو)؛ فقد قال بعض العلماء: إنَّ (أو) ههنا بمعنى (الواو)[5] حتّى يتوجه النهي إلى المجموع. وقد اتخذ ابن فلاح موقفا رافضا لهذا الرأي؛ فحكم عليه بالضعف؛ إذ يقول:[6] "وهو ضعيف؛ لأنَّه وإن توجه النهي إلى المجموع، لا يتوجه النهي إلى أحدهما؛ لأنَّك إذا قلت: لا تجالس الحسن وابن سيرين، فإنَّما نهيته عن الجمع بينهما في المجالسة، ولا يلزم منه النهي عن مجالسة كلّ واحد منهما على انفراده؛ لأنَّ اللفظ لا يقتضيه".

وأما رأي ابن فلاح في بيان دلالة (أو) في هذا النص؛ فقد أوضحه بقوله:[7] "للإباحة، وكانَ قبل النهي يطيع آثمًا أو كفورا، فإذا ورد النهي عليه جاز أن ينصرف إلى المجموع الذي كان يجوز له النهي، وجاز أنْ ينصرف إلى ما تقتضيه (أو)، وهو أحدهما، وأحدهما يصدق على كل واحد منهما، فيلزم المنع من إطاعتهما؛ لوجود أحدهما في المجموع".

(1) ذو الرمة، ملحق ديوانه: (1857)، وابن جني، المحتسب: (99/1)، والخصائص: (457/2-458)، والفراء، معاني القرآن: 72/1، وابن الأنباري، الإنصاف: 478/2، والبغدادي، خزانة الأدب: 65/11.
(2) المرادي، الجنى الداني: (229).
(3) انظر: ابن جني، الخصائص: (458/2).
(4) سورة الإنسان، الآية: 24 .
(5) الفراء، معاني القرآن: (219/3- 220)، والنحاس، إعراب القرآن: (107/5).
(6) ابن فلاح، المغني في النحو: (1231)..
(7) ابن فلاح، المغني في النحو: (1231).

وهنا نلاحظ أن ابن فلاح يرفض القول بنيابة (أو) عن (الواو) وفقا لما يمليه المعنى وسياق النص الذي هو بصدده، لا تمسكا بقاعدة عامة سابقة، ويستنبط من النص ذاته معنى تتضح به دلالة (أو).

ويواجهنا في هذا المبحث أيضا قوله تعالى: ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾[1]. ففي هذا النص توجد إشكاليتان، الأولى: تحديد المعطوف عليه، والأخرى: تحديد دلالة (أو).

فأما الإشكالية الأولى، فقد أورد ابن فلاح ثلاثة آراء في ذلك، هي[2]:

- المعطوف عليه هو (الشحوم). أي أن المعطوف (الحوايا، ما اختلط) في موضع نصب إتباعا للمفعول به (الشحوم). وعلى ذلك تكون (الحوايا، ما اختلط) محرمة. وقد أجاز ابن فلاح هذا الرأي.
- المعطوف عليه هو (ما حملت). أي أن المعطوف (الحوايا، ما اختلط) في موضع نصب إتباعا للمستثنى (ما حملت). وعلى ذلك تكون(الحوايا، ما اختلط) محللة. وقد أجاز ابن فلاح هذا الرأي.
- المعطوف عليه (الظهور). أي أن المعطوف (الحوايا، ما اختلط) في موضع رفع، وهذا رأي الكسائي، وقد اتخذ ابن فلاح موقفا رافضا لهذا الرأي؛ فحكم عليه بالضعف معللا حكمه بقوله:[3] "وهذا ضعيف لوجهين: أحدهما: أَنَّه إنْ صحّ هذا التقدير في (الحوايا)، لا يصحُّ فيما بعده. والآخر: أنَّه يصير المحلل ما حملته (الحوايا) دون الحوايا نفسها".

وأما الإشكالية الثانية (تحديد دلالة أو)، فقد أورد ابن فلاح وجهين في ذلك، هما[4]:

- دلالة التفصيل؛ حيث يقول ابن فلاح: "وقيل لتفصيل مواضع التحريم أو التحليل على اختلاف العطفين". ويبدو أن هذا الوجه مع قبوله غير مفضل عند ابن فلاح؛ فقد أوحت عبارته (وقيل) بذلك.
- (أو) بمعنى (الواو). وهذا الوجه يتبناه ابن فلاح مع ما فيه من خروج (أو) عن بابها ونيابتها عن (الواو). وهذا أمر أملاه سياق النص ومعناه العام؛ فحتم على ابن فلاح الأخذ به.

(1) سورة الأنعام، الآية: 146 .
(2) ابن فلاح، المغني: 1229.
(3) ابن فلاح، المغني: 1229.
(4) ابن فلاح، المغني: 1229.

المبحث الثاني: دلالة حرف العطف (أم)

وفي هذا المبحث يواجهنا نصان قرآنيان، هو قوله تعالى:[1] ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ ﴾، وقوله تعالى:[2] ﴿ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ ﴾.

ففي النص الأول توجد إشكالية في تحديد دلالة (أم)؛ والعلماء في ذلك على قولين، هما:

- (أم) مقدرة في هذا النص بـ(بل) وحدها.
- (أم) مقدرة في هذا النص بـ(بل) و(الهمزة)؛ لتضمنها معنى الاستفهام ومعنى حرف العطف الذي يدل على ترك كلام إلى كلام.

ويتبنى ابن فلاح الرأي الثاني؛ حيث يقول:[3] "أي بل أتخذ بهمزة مقطوعة على الاستفهام، وهي في هذين السورة تدلُّ على الإنكار؛ لتضمنها معنى الهمزة الدّالة عليه، ولا يجوز تقديرها بـ(بل) وحدها؛ لأنَّ ما بعد (بل) محقق، فلو قُدّرت بـ(بلْ) وحدها لفسد المعنى؛ من وجهين: **أحدهما**: أنه يؤدي إلى إبطال معنى الاستفهام الذي يدل عليه، **والثاني**: أنه يفضي إلى الكفر في بعض الصور؛ لأنَّ (بل) يحقق له حصول البنات، واتخاذ بنات مما يخلق، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا".

وأما النص الثاني فعلى عكس النص السابق؛ حيث يفرض المعنى أن تقدر (أم) بـ(بل) وحدها؛ يقول ابن فلاح:[4] " فإنَّ المعنى يقتضي تقدير (بل) وحدها؛ لأنَّه يحقق لنفسه الخيرية ولا يشك فيها؛ لأنَّ من ادّعى الربوبية قطع بأنّه خير من غيره"

وهكذا يتبين لنا كيف تحكم المعنى الصحيح للنص في تحديد دلالة حرف العطف (أم) لدى ابن فلاح، وكيف استدل ابن فلاح بفساد معنى النص في دحض الرأي المغاير، وإن استوعبته القاعدة النحوية العامة.

(1) سورة الزخرف، الآية: 16.
(2) سورة الزخرف، الآية: 52.
(3) ابن فلاح، المغني: 1239.
(4) ابن فلاح، المغني: 1240.

المبحث الثالث: دلالة حرف العطف (إمّا)

ذكر ابن فلاح أن لـ(إمّا) العاطفة[1]، موضعين يحددان دلالتها[2]:

- **أن تأتي في الخبر، فتكون للشك والإبهام،** كقولك: جاءني إمَّا زيدٌ وإمَّا عمرو، فإن كنتَ عالمًا بمن جاء، كانت للإبهام على السامع لمصلحة ما، وإن كنت غير عالم، كانت للشكِّ. ويرى أنَّ دلالة (إمَّا) على الشّكّ تسري من أول الكلام، بخلاف (أو)؛ حيث يقول:[3] "والشك معها من أول الكلام بخلاف (أو) فإنه يسري معها من آخر الكلام إلى أوّله. فإن قيل: إذا كانت (إما) الأولى لا يستفاد منها إلا الشك من غير عطف، فهلا قدمت على الفعل؛ فيقول: إما قام زيد وإما عمرو. قلنا: لا يصح تقديمها؛ لأن الفعل غير مشكوك فيه، إنما الشك في الفاعل فلذلك تقدمت عليه، ولم تتقدم على غير المشكوك".
- **أن تأتي في الطلب، فتكون للتخيير والإباحة،** كقولك في التخيير: خُذ من مالي إمَّا دينارًا وإمَّا درهمًا. وفي الإباحة: جالس إمَّا الحسن وإمّا ابن سيرين.

والملاحظ في هذا المبحث أن مجموع الدلالات لدى ابن فلاح في الموضعين (الخبر والطلب) أربعة، هي: الشك، والإبهام، والتخيير، والإباحة. ولم يذكر من الدلالات التفصيل، والتخيير، وتفريق المجرد.

هذا، وقد انقسم العلماء في دلالة (إمَّا) على العطف إلى فريقين، هما:

- فريق يقول: إنَّها حرف عطف، ويتبنى هذا القول أكثر النحاة.
- فريق يقول: إنَّها ليست بعاطفة، وقد تبنى هذا القول كلّ من: يونس، وابن كيسان، وأبي علي الفارسي، والرماني، وابن مالك[4]؛ إذ يقول: [5] "ومذهب ابن كيسان، وأبي علي أن العاطف إنّما هو الواو التي قبلها، وهي جائية لمعنى من المعاني المفادة بـ(أو)، وبقولهما أقول؛ تخلصاً من دخول عاطف على عاطف، ولأن وقوعها بعد الواو، مسبوقة بمثلها، شبيه بوقوع (لا) بعد الواو مسبوقة بمثلها، في مثل: (لا زيد ولا عمرو فيها)، و(لا) هذه غير عاطفة، بإجماع. فلتكن (إمّا) مثلها، إلحاقًا للنظير بالنظير، وعملاً بمقتضى الأوْلَوِيّة". وهذا أيضًا مذهب ابن عصفور، فقد ذهب إلى أن هذا الحرف مما اتفق النحويون على أنّه ليس بحرف عطف، وما جيء به في حروف العطف إلا

(1) انظرالأقوال في كون (إمَّا) عاطفة في: سيبويه، الكتاب: (135/1)، وأبو علي الفارسي، الإيضاح العضدي: (297)، والمالقي، رصف المباني: (183)، والمرادي، الجنى الداني: (529-530)، وابن هشام، مغني اللبيب: 377/1.

(2) ابن فلاح، المغني: 1232.

(3) ابن فلاح، المغني في النحو: (1233).

(4) انظر: أبو علي الفارسي، الإيضاح العضدي: (224)، وابن مالك، شرح الكافية الشافية (1126/3)، والمرادي، الجنى الداني: (528-529)، والرماني، معاني الحروف : (131).

(5) ابن مالك، شرح الكافية الشافية: (1226/3).

لمصاحبته إياها، واستدلّ على مذهبه بشيئين: أحدهما: مجيئه مباشرًا للعامل، فتقول: قام إمّا زيدٌ وإمّا عمرو، وحرف العطف إنّما يكون بعد المعطوف عليه. والآخر: أنّها لما جاءت في محل العطف، دخلت عليها الواو، فقلت: وإمّا عمرو، وحرف العطف لا يدخل عليه حرف العطف[1]. وأورد المرادي أن الخلاف بين النحويين في دلالة (إمّا) على العطف يقتصر على (إمّا) الثانية، وأما (إمّا) الأولى فلا خلاف بينهم في عدم دلالتها على العطف[2].

ويقول الرماني:[3] "وليست (إمّا) من حروف العطف كما يذهب إليه بعض النحويين؛ يدلك على ذلك أنّك إذا قلت: رأيتُ إمّا زيدًا وإمّا عمرًا، لم يخل قولك: (إمّا زيدًا وإمّا عمرًا) أن تكون (إمّا) الأولى عاطفة أو الثانية، فلا يجوز أن تكون الأولى حرف عطف؛ لأنَّ حرف العطف لا يُبتدأ به. ولا يجوز أن تكون الثانية؛ لأنَّ الواو حرف عطف، ولا يجمع بين حرفي عطف في شيء من الكلام. وإذا تبيّن ذلك، بطل أن تكون عاطفة، ولكن النحويين لمّا أعربوا ما بعدها كإعراب ما قبلها، ذكروها مع حروف العطف تقريبًا واتساعًا". ويبدو هذا الرأي هو الصواب؛ لقوة ما احتّج له به.

ويبدو أن هذا الخلاف الكبير بين النحاة كان سببا في عدم وجود قاعدة عامة موحدة محددة دلالة عامة لـــ(إما) بوصفها حرف عطف؛ ولذا لم يقف ابن فلاح على نصوص تعارضت في ظاهرها مع هذه الدلالة.

المبحث الرابع: دلالة حرف العطف (بل)

تحدّث ابن فلاح عن (بل) بوصفها حرف عطف، فأثبت لها ثلاث دلالات، هي[4]:

- **الإضراب الاستدراكي**: ويكون في حالة النفي؛ يقول ابن فلاح:[5] " وتفيد الاستدراك بعد النفي قياسًا على (لكن) في مخالفة ما بعدها لما قبلها؛ لأنَّ ما بعدها الحكم المنفي عن الأول ثابتٌ له، كما بعد (لكن)".
- **الإضراب الإبطالي**: ويكون في حالة الإيجاب عند الغلط وسبق اللسان؛ يقول ابن فلاح: "ويقدر بعد (بل) فعل، ويكون الإضراب عن الإخبار عن الأول إلى الإخبار عن

(1) انظر: ابن عصفور، شرح الجمل: (1/226-227).
(2) انظر: المرادي، الجنى الداني: (528-529).
(3) الرماني، معاني الحروف: (131).
(4) ابن فلاح، المغني في النحو: (1247-1250).
(5) ابن فلاح، المغني: 1247.

الثاني، ويفيد إبطال الأول بالكلية، وهذا المعنى لا يأتي في التنزيل ولا في كلام فصيح".

- **الإضراب الانتقالي**: ويكون في حالة الإيجاب؛ يقول ابن فلاح: "أن يفيد الانتقال من قضية إلى قضية من غير إبطال حكم الأولى، ولا يمكن إنكاره لورود التنزيل به قال تعالى﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُم مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾[1] فهم متصفون بهذه الأحكام المذكورة، وقال تعالى﴿ لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُمْ مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾[2] وقال في آية﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [3] وفي موضع آخر ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ والمراد تعديد خطاياهم، وقال تعالى ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾[4] وقال تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾[5] انتقل من القصة الأولى إلى ما هو أهم منها".

والملاحظ في هذا المبحث أن استناد ابن فلاح على نصوص قرآنية كان في الدلالة الثالثة، أما الدلالتان الأولى والثانية فقد اقتصر توضيحه فيها بالأمثلة المصنوعة فقط؛ فكأنه بذلك يلمح إلى عدم ورودهما في القرآن الكريم.

المبحث الخامس: دلالة حرف العطف (لكنْ)

تحدّث ابن فلاح عن (لكنْ) بوصفها حرف عطف، فأثبت لها دلالة واحدة هي الاستدراك[6]، واشترط لكل حالة من حالتي العطف بها شروطا، هي:

1. أنْ يتقدّمها نفي على مذهب البصريين[7] في حال كون المعطوف بها مفردا؛ لأنَّها لا تدخل على المثبت، لأنَّها وُضعت للاستدراك، ولو قيل: ما جاءني زيدٌ، وسكت عن غيره ربما اعتقد السامع انسحاب حكم النفي على المسكوت عنه؛ لكونه تبعًا للمذكور، أو لأمر يغلب على ظنّه، فإذا قال: لكن عمرو، ارتفع الشكُّ عن قلب المخاطب؛ لإخراجه ما كان يتوهم أنَّه داخل في الخبر، والاستدراك يقتضي مغايرة

(1) سورة النمل، الآية: 66.
(2) سورة الكهف، الآية: 48.
(3) سورة الشعراء، الآية: 165، 166.
(4) سورة يوسف، الآية: 18.
(5) سورة السجدة، الآية: 3.
(6) ابن فلاح، المغني في النحو: (1247-1250).
(7) ينظر: ابن فلاح، المغني في النحو: 1252-1253، والأندلسي، ارتشاف الضرب: 1995/4، والمرادي، الجنى الداني: 591، والسيوطي، همع الهوامع 262/5.

ما بعدها لما قبلها، والمغايرة إنَّما تحصل بالنفي والإثبات، فإذا تقدمها نفي، صحّ العطف؛ لتحقق المغايرة، وإذا تقدّمها إثبات، كقولك: جاءني زيدٌ لكن عمرو، لم تحصل المغايرة، فلم يصلح العطف[1].

2. عدم الوقوف على ما قبلها في حال كون المعطوف بها جملة. وفي ذلك يقول ابن فلاح:[2] "وفائدة الخلاف تظهر في جواز الوقف على ما قبلها، فعلى العطف لا يجوز، وعلى كونها حرف ابتداء يجوز".
3. ألّا يدخل عليها الواو. وفي ذلك يقول ابن فلاح:[3] "وإذا دخلت عليها الواو انتقل العطف إليها، وتجردت (لكن).

وبهذه الشروط لم ترد (لكن) عاطفة في القرآن الكريم؛ ولذا لم يقف ابن فلاح على نصوص توجيها أو تأويلا بحثا عن دلالتها.

المبحث السادس: دلالة حرف العطف (لا)

تحدّث ابن فلاح عن (لا) بوصفها حرف عطف، فأثبت لها دلالة واحدة هي النفي[4]؛ حيث تنفي عن الثاني الحكم الثابت للأول كقولك: قام زيدٌ لا عمرو، ورأيتُ زيدًا لا عمرًا، ومررت بزيدٍ لا بعمرو[5]. واشترط لذلك شرطين، هما[6]:

- الأول: أنَّه لا يعطف بها بعد النفي؛ لأنَّها لنفي ما ثبت للأول، فإن كان الأول منفيًّا، بطل المعنى الذي وضعت له.
- الآخر: أنَّه لا يظهر معها الفعل؛ لأنَّ ظهور الفعل بعدها يلتبس بالدعاء.

وذكر ابن هشام شرطين هما: عدم اقترانها بعاطف؛ لأنَّه إذا قيل: جاءني زيد لا بل عمرو، فالعاطف هو (بل)، و(لا) ردٌّ لما قبلها، وليست عاطفة، وألّا يكون المفرد بعد (لا) صالحا أن يكون صفة لما قبلها أو خبرا أو حالا؛ فإذا صلح لشيء من هذا خرجت (لا) عن العطف ووجب تكرارها[7].

وبهذه الشروط لم ترد (لا) عاطفة في القرآن الكريم، وقد نص السيوطي على ذلك[8]؛ ولذا لم يقف ابن فلاح على نصوص توجيها أو تأويلا بحثا عن دلالتها.

(1) ابن فلاح، المغني في النحو: (1252.).
(2) ابن فلاح، المغني في النحو: (1252.).
(3) ينظر: ابن فلاح، المغني في النحو: (1252).
(4) ابن فلاح، المغني في النحو: (1247-1250).
(5) ينظر: ابن فلاح، المغني في النحو: (1255).
(6) ينظر: ابن فلاح، المغني في النحو: (1255).
(7) ابن هشام، مغني اللبيب: 302/3، 313.
(8) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: 270/2.

الخاتـــــــــمة

وفيها تلخيص لأهم نتائج البحث، وهي على النحو التالي:

- أسهمت النظرة الكلية للنص والاهتمام بسياقه في الوصول إلى معنى أعمق وأرحب جعل النص في تراكيبه يتوافق ويتلاءم مع القواعد النحوية العامة الحاكمة لدلالات حروف العطف في معظم توجيهات ابن فلاح وتأويلاته لنصوص تعارض ظاهرها مع هذه القواعد العامة.
- ابتعدت توجيهات ابن فلاح وتأويلاته عن التكلف والغموض في تعامله مع نصوص تعارضت في ظاهرها مع القواعد النحوية العامة الحاكمة لدلالات حروف العطف؛ حيث جاءت مقبولة معنى وعقلا ومنطقا.
- لجأ ابن فلاح إلى إجراء تعديل في القاعدة العامة الحاكمة لدلالة حرف العطف (ثم) وفقا لما أملته النصوص التي تعامل معها معنى وسياقا.
- سلك ابن فلاح منهجين في تعامله مع آراء العلماء المغايرة لرأيه؛ **أحدهما**: الرفض القاطع؛ فيحكم عليها بالضعف ويفندها معتمدا في ذلك على فساد معنى النص، **والآخر**: القبول والقول بغيرها؛ فيذكرها دون حكم أو تفنيد إيمانا منه باتساع النص أحيانا لاستيعاب معانٍ متعددة.
- لم يتعامل ابن فلاح مع نصوص قرآنية توجيها أو تأويلا عند حديثه عن دلالات بعض حروف العطف لوجود شروط حاكمة منعت ورودها في القرآن.
- كان قبول فكرة التناوب أو رفضها يأتي عند ابن فلاح وفقا لما يمليه معنى النص وسياقه لا وفقا للقواعد العامة الجاهزة.

- **قائمة المصادر والمراجع**

- ابن جني، أبو الفتح (392هـ)،الخصائص، تحـ: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، (د.ط)، (د.ت).
- ابن جني، أبو الفتح (392هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عليها، تح: علي النجدي ناصف، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار سزكين، (ط:2)، 1406ه.
- ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن الأشبيلي(669هـ)، شرح جمل الزجاجي (الشرح الكبير)، تح: د/ صاحب أبو جناح، عالم الكتب، بيروت، لبنان، (ط:1)، 1419هـ - 1999م.
- ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي (643هـ)، شرح المفصل، دار الطباعة المنيرية، (د.ط)،(د.ت).
- ابن فارس، الصاحبي، تح: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط 2، 1977م.
- ابن فلاح، أبو الخير منصور (680هـ)، المغني في النحو، دراسة وتحقيق القسم الثاني منه، محمد بن أحمد مهدلي النهاري، (دكتوراه)، قسم النحو والصرف وفقه اللغة بكلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، 1427هـ - 1428ه.
- ابن مالك، أبو عبدالله جمال الدين محمد بن عبدالله الطائي الجيائي، شرح الكافية الشافية، تح: د/ عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، (د.ط)، (د.ت).
- ابن هشام، الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحـ: عبد اللطيف محمد الخطيب، السلسلة التراثية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2000م.
- أبو نواس، الحسن بن هانئ، ديوانه، طبع جمعية الفنون، 1301هـ.
- الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد (577هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحـ: محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، (ط.1)، 1380هـ - 1961م.
- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي (745هـ)، ارتشاف الضرب، تحـ: د. رجب عثمان محمد، ومراجعة: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة، (ط.1)، 1418هـ -1998م.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر (1093هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، (ط:4)، 1418هـ- 1997م.
- خليفة، حاجي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (د. ط)، (د. ت).
- ذو الرمة، غيلان بن عقبة العدوي (117هـ)، ملحق ديوانه، شرح الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي صاحب الأصمعي، رواية الإمام أبي العباس ثعلب، حققه وقدمه وعلق عليه: الدكتور عبدالقدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت (ط:1)، 1402هـ - 1982م.
- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى (384هـ)، معاني الحروف، تح: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق للنشر والتوزيع، جدّة، (ط:2)، 1401هـ - 1981م.

- الزجاج، إعراب القرآن المنسوب إليه، تح: إبراهيم الإبياري، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1965.
- الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م.
- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (538هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي معوّض، مكتبة العبيكان، الرياض، (ط:1)، 1418هـ - 1998م.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (180هـ)، الكتاب، تحـ: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، (ط.1)، 1411هـ -1991م.
- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1974.
- السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط2، 1979م.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (911هـ)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تحـ: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1413هـ - 1992م.
- العلائي، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيلكلدي بن عبد الله العلائي الدمشقي الشافعي، الفصول المفيدة في الواو المزيدة، تح: د. حسن موسى الشاعر، دار البشير، عمان، ط1، 1990م.
- الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النحوي (377هـ)، الإيضاح العضدي، تح: كاظم بحر المرجان، عالم الكتب، بيروت، (ط:2)، 1416هـ - 1996م.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (207هـ، معاني القرآن تح: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، دار السرور، (د.ط)، (د.ت).
- المالقي، أحمد بن عبد النور (702هـ)، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تح: أ.د/ أحمد محمد الحرّاط، دار القلم، دمشق، (ط:3)، 1423هـ - 2002م.
- الماوردي، الحاوي الكبير، تح: د. محمد مطرجي، دار الفكر، بيروت، 1994م.
- المرادي، ابن أم قاسم الحسن بن عبدالله (749هـ)، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: د/ فخر الدين قباوة، والأستاذ/ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط:1)، 1413هـ - 1992م.
- النحاس، أبو جفعر أحمد بن محمد (338هـ)، إعراب القرآن، تح: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، (ط:2)، 1405هـ - 1985م.

شرط القرشية للولاية العامة
درس فقهي مقارن

د/ عبد الولي بن عبد الواحد بن لطف
(أستاذ مساعد بكلية الحقوق - جامعة تعز)

مقدمة

الحمد لله، وصلى الله وسلم على محمد المرسل رحمة وهدى للعالمين وبعد:

فإن مهمات المسائل جديرة بأن تكد في معانيها الأفهام، وتسرح في مراصدها الأقلام، ولا تلقب المسألة بالمهمة إلا بما لها من التأثير؛ وفي سبيل ذلك كان هذا التحرير.

المحتوى والأهمية:

قضية النسب القرشي كشرط من شروط الولاية الكبرى من أدق المسائل أثراً في أبلغ الظواهر تأثيرا وفعلا في الحياة؛ فبناظمة الحكم يصح الأمن والعدل والنهوض والبناء وصناعة الحضارة، ويكفي أنها جزء في نسيج النظرية السياسية الإسلامية، وارتخاء مداميكها يحمل دلالات صاخبة ومؤثرة.

ومع أهميتها في بنيان البحث الفقهي إلا أنها ليست من قطعيات الفكر، ولا مما جف له المداد وخُتم به الاجتهاد، فباب بحثها مشرع وفق ضوابط الشرع وقانون النظر الفقهي.

مشكلة الدراسة

ما توارد على موضوع هذا الدرس من القول في المدونة الفقهية بحاجة إلى إعادة ترتيب وتأمل في ظلاله وداعيه وظرفه وطرائق تفسير الأدلة وتنزيلها، لا سيما مع شهرة القول بحفظ الإجماع على شرط النسب القرشي لمن يلي الإمامة العظمى، ولم يخالف في هذا الشرط _ كما قيل _ إلا من لا عبرة بفقهه!

تشتغل هذه الدراسة برفع أظهر الأسئلة حول دليل الإجماع وعلاقة تنزيل الاجتهاد بواقع الحال، وتفكيك الاستدلال المتداول في المسألة وبحث الدلالات التعاضدية لنصوص الكتاب والسنة ذات الصلة، وهذا مسلك دقيق يسهم هذا البحث في تحرير بعض تطبيقاته.

المنهج

تعتمد الدراسة المنهج العلمي متعدد الأبعاد؛ فتوظف المنهج الوصفي في تحرير مضامين البحث بهيئته في المدونة الفقهية، وتأخذ بالتحليل في مواد المنقولات والحجاج، وتستعين بمنهجية النقد وإعادة التحرير حيث فرضت بنود المحتوى ذلك.

والبحث مركب على الإيجاز في بنود هيكله ومقدمته وفي الصياغة والنقل والتعليق وإلماحات الهوامش وترجمة الأعلام وتخريج النصوص وإحالات الاقتباس ومستخلص الختم وثبت المراجع من غير إخلال.

خطة الدراسة

نُظِم عقد هذا الدرس في مقدمة وطليعة ماهدة تُعرف بمصطلحات.. الشرط.. القرشية.. الولاية العامة، ثم في مبحثين:

الأول: يعرض أهم ما قيل في المسألة شاملا الأدلة ووجوه الدلالات وخلاصة ذلك في المذاهب الفقهية المعتبرة.

الثاني: درْس في الموازنة والتحليل والمناقشة والترجيح، متجاوزاً الأنماط المألوفة في العرض نفوذاً إلى عتبات الصياغة الميسرة مع الالتزام بقوانين الكتابة العلمية وأصولها.

خطة البحث:

مفتتح في المصطلحات:

أولاً: معنى الشرط

ثانياً مفهوم القرشية

ثالثاً: مصطلح الولاية العامة

المبحث الأول:

المحتوى النظري لشرط القرشية

المبحث الثاني:

شرط النسب القرشي للولاية العامة ...اختبار وترتيب

خاتمة

ثبت المراجع

مفتتح في المصطلحات

أولاً: معنى الشرط

جاء في مقاييس اللغة: الشين والراء والطاء أصل يدل على علَم وعلامة[1]، هذه العلامة ما عُرف بها الشيء إلا لأنها مؤثرة، وهذا التأثير هو ما عبر عنه بعض اللغويين بالإلزام، فجاء تعريف الشرط بأنه: إلزام الشيء والتزامه [2].

والشرط في الاصطلاح الأصولي: « ما يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته»[3]، كقولهم: الطهارة شرط لصحة الصلاة، والولي شرط لصحة عقد النكاح؛ فلا يلزم من وجود الطهارة وجود صلاة، ولا من وجود ولي تحقق عقد نكاح، لكن يلزم من عدم الطهارة عدم الصلاة التي لا تصح إلا بتحقق شرط الطهارة، ومن عدم الولي عدم صحة عقد النكاح الذي لا يصح إلا به، وهذا ما عبروا عنه بقولهم: « الشرط لا يلزم من وجوده شيء إنما المؤثر عدمه »[4] .

والمراد هنا هو الشرط الشرعي المؤثر في الحكم والتصرف من جهة الشرع، لا الشرط اللغوي الذي يحكي تعلق صيغ بأمور تواضع الناس على فهم لزومها بتحقق متعلقها كقول القائل إن حملت هذا أعطيتك أجرة، ولا الشرط العقلي الذي مثلوا له بشرط الحياة لتحقق العلم مع اتفاقها جميعا في دلالة القصد من الاشتراط.

وإذا قلنا إن من شروط الولاية العامة أن يكون المتصدر لها من قريش نسباً فهذا يعني أن كل من لا ينتسب لقريش لا تجوز ولايته؛ لأن المتقرر في الأصول أن الشرط ما لا يصح المشروط إلا به[5]، وبعبارة أخرى: « انتفاء الشرط يتضمن انتفاء المشروط »[6].

وبالمقابل إذا صح أن قرشية المتقدم لوظيفة الولاية العامة غير معتبرة في الشرع بنينا على ذلك صحة

(1) ينظر: المقاييس في اللغة، ابن فارس، 3/ 260.
(2) ينظر: تاج العروس، الزبيدي، 404/19.
(3) شرح الكوكب المنير، ابن النجار، 452/1.
(4) الفروق، القرافي، 96/2.
(5) اللمع، الشيرازي، 41.
(6) البرهان، الجويني، 50/2.

ولاية كل مسلم مهما يكن نسبه ما تحققت فيه بقية الشروط، ولأجل هذين الافتراضين تُقرأ المسألة لتحصيل جواب يغلب في الظن صحته.

ثانياً مفهوم القرشية

قريش في اللغة: اسم لقوم تجمعوا في موضع واحد، والتقرش التجمع، وقيل: قريش اسم لدابة من دواب البحر تغلب كل أحياء البحر، وسميت قريش باسمها لظهورها على غيرها من القبائل[1]،وقيل: مأخوذ من القرش وهو الكسب؛ لأنهم كانوا كاسبين بتجاراتهم وضربهم في البلاد، وقيل لأنهم كانوا يسدون خلة محاويج الحاج، فسموا بذلك قريشا، وقيل غير ذلك[2].

والقرشي من كان من نسل النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر فمن دونه، ومن لم يُنسب إلا لأب فوقه فهو عربي غير قرشي، والنضر هو الجد الثاني عشر للنبي محمد ﷺ[3].

وقيل: كل من لم يلده فهر فليس بقرشي[4]، ومهما يكن فالنسبة إلى قريش بين هذين القولين معلومة، فالفهري قرشي باتفاق، ومن كان من أولاد مالك بن النضر، أو أولاد النضر بن كنانة ففيه خلاف[5]، ومن كان من أولاد كنانة من غير النضر فليس بقرشي [6].

ثالثاً: مفهوم الولاية العامة

الولاية العامة أو الولاية العظمى: اسم للوظيفة السياسية الأولى في جهاز الدولة الناظمة لشؤون الحكم والإدارة ورسم السياسات وبناء العلاقات الدولية وحفظ الأمن وإقامة العدل.

وعرفها ابن خلدون[7] باعتبار فعلها فقال: « حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها؛ إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة؛ فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به »[8].

ويقوم بها شخص واحد، أو هيئة بحسب نوع نظام الحكم، ويطلق على القائم بها الرئيس أو الملك أو الوزير الأول أو رئيس الوزراء في النظام الوزاري، وفي التاريخ الإسلامي سمي الخليفة وأمير المؤمنين والإمام والسلطان، وهو ولي الأمر، والاعتبار للمسمى لا الاسم.

ولأهمية وخطر هذه الولاية درس الفقه الإسلامي شروط من يتولاها في ضوء الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وقواعد ومقاصد الشريعة دراسة كونت في مجموعها جزءاً مهما من نظرية الحكم في الإسلام، كان من مفرداتها شرط النسب القرشي في الذي يصح له أن يلي أمر الكافة.

ومبدأ الإشكال في تفسير النصوص التي حدثت عن إمامة قريش وتقدمها، والنص لا ريب حاكم لا يصح

---

(1) ينظر: المقاييس في اللغة، 70/5.

(2) ينظر: تاج العروس، 17/ 323 ؛ مفاتيح الغيب، الرازي، 32/ 297.

(3) ينظر: سيرة ابن هشام، 93/1؛ البحر الرائق، ابن نجيم، 139/3

(4) ينظر: تاج العروس، 17/ 323.

(5) ينظر: أضواء البيان، الشنقيطي، 52/1.

(6) وقيل قريش أولاد إلياس بن مضر، وهذا اختيار أبي عمرو بن العلاء وأبي الحسن الأخفش وحماد بن سلمة الفقيه وعبيد الله بن حسن القاضي، وسوار بن عبد الله وروي مثله عن أبي الأسود الدؤلي، وقيل: قريش هم جميع ولد مضر بن نزار، فأدخلت قيس غيلان فيها، وبه قال مسعر بن كدام، وروي مثله عن حذيفة بن اليمان.
ينظر: أصول الدين، البغدادي، 277، نقلاً عن، الإمامة العظمى، الدميجي، 247.

(7) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الحضرمي، عالم موسوعي، له (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر) والمقدمة المشهورة، توفي (808ه).
ينظر: نيل الابتهاج، التنبكتي، 252.

(8) مقدمة ابن خلدون، 97.

في منهج الفقه الخروج على ما صح من ظاهره وقطع بدلالته.
وفي مضامين المبحثين التاليين مناقشات تهدف لبيان ما يغلب على الظن صحته ورجحانه.

المبحث الأول
المحتوى النظري لشرط القرشية

تحرير في المضمون والدليل

لا يشترط أن يكون الخليفة هاشمياً (من بني هاشم)، ولا علوياً (من ولد علي بن أبي طالب) باتفاق المذاهب الفقهية المعتبرة؛ لعدم الحجة الصحيحة الصريحة على ذلك من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ ولأن الخلفاء الثلاثة الأول لم يكونوا من بني هاشمٍ، ولم يطعن أحد من الصحابة في خلافتهم، فكان ذلك إجماعاً على عدم اشتراط الهاشمية، أو العلوية في الخلافة[1]؛ لذلك فالبحث في محتواه لن يناقش آراء خالفت هذا المتفق عليه.

هذا عن محل المسألة موضوع البحث، أما الدليل فليس في نصوص القرآن ما يُفهم منه اشتراط النسب القرشي في الذي يلي أمر الولاية العظمى، والنصوص التي استند إليها الفقهاء في إدخال هذا الشرط ضمن شروط الولاية العامة نصوص من السنة، ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

الأول: نصوص مباشرة تحتمل أن تُفسر بما ذهب إليه كثير من الفقهاء في وجوب أن يكون ولي أمر الأمة قرشي النسب، وتحتمل أيضا تأويلاً منهجيا يعارض تلك الدلالة.

والثاني: نصوص وردت في فضائل قريش، وإذا صُنفت أحاديث الفضائل كغيرها من الأحاديث التي قيلت في فضائل غير قريش كان البحث محصوراً في نصوص القسم الأول.

المذاهب الفقهية في المسألة

المشتهر في هذه المسألة أن الاختلاف فيها يدور على رأيين فقط:

_ **رأي حُكي فيه الإجماع** يقول بشرط النسب القرشي لمن يلي أمر الكافة.

_ **آخر وصف بأنه شاذ** لا يعتبر يرى جواز اختيار الخليفة من غير قريش.

هذا التصدير يجب إعادة النظر فيه، وسيبين لنا البحث أن في المسألة أكثر من هذين المذهبين، وبخصوص شذوذ المخالف يجدر التأكيد على أهمية أن يُنظر للقول أو المذهب في ذاته لا من خلال قائله.

وهذا من مقررات العقل السليم، قال الغزالي[2]: (تهجين قضايا الأدلة بسبب قبول بعض المبتدعة لها واعتقاده إياها من دأب ذي الخور والجبن...ولا سبيل إلى اجتناب الحق ترفعا من خسة الشركاء)[3].

ومع هذا المتفق العقلي الذي قرره الغزالي إلا أن مسألتنا هذه يتجاوز بها البحث مناقشة رأي الخوارج وإن اتفق بها في مسلك من مسالك القول؛ لعدم صدورهم عن منهج في النظر.

---

(1) القائلون بشرط النسب القرشي مختلفون في أي قريش تصح الخلافة، فجمهور أهل السنة يطلقونه في قريش كلها، وقالت الشيعة: لا تجوز إلا من ولد علي، وقالت طائفة: تختص بولد العباس وهو قول أبي مسلم الخراساني وأتباعه، وقالت طائفة: لا تجوز إلا من ولد جعفر بن أبي طالب، وقالت أخرى: من ولد عبد المطلب، وقال بعضهم: لا تجوز إلا في ولد أمية، وقال بعضهم: لا تجوز إلا في ولد عمر.
ينظر: فيض القدير، المناوي، 3/ 189.

(2) محمد بن محمد بن محمد الغزالي، الطوسي، أصولي، فقيه، فيلسوف، من أئمة الشافعية، من مصنفاته: المستصفى والمنخول في أصول الفقه توفي (505هـ)، ينظر: طبقات الشافعية، السبكي 6/ 191-389.

(3) شفاء الغليل، الغزالي، 633.

مذاهب النظر في المسألة

الأول: رأي القائلين بشرط القرشية لصحة الخلافة.

الثاني: رأي من خالفهم فلم يعتبره.

الثالث: رأي من تردد بين القول به ونفيه.

الرابع: رأي من اعتبره معلقاً بعلة الغلبة والتأثير، يلزم بثبوتها ويرتفع بارتفاعها.

وقال الكعبية[1] القرشي أولى بالخلافة من غيره،[2] والمعنى أن شرط القرشية في الخليفة مستحب عندهم لا واجب، وهذا اتجاه خامس في المسألة إلا أنه لا عبرة به من جهة المنهج.

ولا محل لرأي بعض المعاصرين الذين اختصروا السبيل فشككوا في الأحاديث التي فُهم منها وجوب القرشية في من يلي أمر الولاية العامة؛ فهذا مسلك يمحو منطق البحث وينقض مؤسسات المنهج، وهو اتجاه سادس إلا أنه لا عبرة به لما عُلل آنفا، وفيما يلي عرض موجز لمذاهب الفقهاء في المسألة، يسلك سبيل الإيجاز بغير إخلال:

المذهب الأول: مذهب من قال بشرط القرشية لصحة الولاية العامة

ذهب **جمهور الفقهاء** من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة وابن حزم الظاهري إلى أن من شروط من يتولى الخلافة أن يكون قرشي النسب[3].

وحُكي انعقاد الإجماع على ذلك، قال النووي[4]: « الخلافة مختصة بقريش لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم، وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة فكذلك بعدهم، ومن خالف فيه من أهل البدع أو عرض بخلاف من غيرهم فهو محجوج بإجماع الصحابة والتابعين فمن بعدهم بالأحاديث الصحيحة، قال القاضي: اشتراط كونه قرشيا هو مذهب العلماء كافة، قال: وقد احتج به أبو بكر وعمر ﷺ على الأنصار يوم السقيفة، فلم ينكره أحد، قال القاضي: وقد عدها العلماء في مسائل الإجماع، ولم ينقل عن أحد من السلف فيها قول ولا فعل يخالف ما ذكرنا، وكذلك من بعدهم في جميع الأعصار » [5].

قال السبكي[6]: « لا تكون إلا في قريش ولا تختص بطائفة منهم؛ لقوله « الأئمة من قريش » ولا تجوز

---

(1) نسبة لأبي القاسم، عبد الله بن أحمد الكعبي، تلميذ أبي الحسين الخياط، معتزلي، خالفهم في مسائل منها: قوله: إن الله لا يرى نفسه ولا غيره إلا على معنى علمه بنفسه وبغيره..ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، 1/ 76.

(2) ينظر: رد المحتار، (حاشية ابن عابدين)، 1/ 548.

(3) ينظر: رد المحتار، 1/ 548؛ الذخيرة، القرافي، 24/10؛ المنهاج، النووي، 12/ 200؛ كشاف القناع، البهوتي، 159/6؛ المحلى، ابن حزم، 6/ 192؛ وتابع هذا القول كثير من المجتهدين كأبي حامد الغزالي وابن تيمية، وابن القيم، والشوكاني، ورده محمد رشيد رضا وذهب إلى أن من رجح عدم اشتراط النسب القرشي في الخليفة من معاصريه إنما قال ذلك محاباة للخلافة العثمانية التي حكمت العالم الإسلامي وخلفاؤها ليسوا من قريش، وهو رأي الشنقيطي صاحب أضواء البيان، وعبد الكريم زيدان وغيرهم.
ينظر: منهاج السنة، ابن تيمية، 315/8؛ حادي الأرواح، ابن القيم، 289؛ شرح صحيح البخاري، ابن بطال، 8/ 211؛ الخلافة، محمد رشيد رضا، 28؛ أضواء البيان، الشنقيطي، 24/1؛ أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان،215.

(4) يحيى بن شرف بن مري النووي، فقيه زاهد من أئمة الشافعية، من تصانيفه الروضة، والمنهاج، في الفقه، توفي سنة (676هـ)، ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، 8/ 395.

(5) المنهاج، 12/ 200؛ وينظر: الأحكام السلطانية، الماوردي، 20؛ فيض القدير، المناوي، 246.

(6) على بن عبد الكافي، السبكي، تقي الدين، فقيه أصولي مفسر، من تآليفه: الابتهاج في شرح المنهاج في الفقه. ينظر: الدرر الكامنة، 3/ 134.

في حليف لهم ولا مولى ولا فيمن أبوه غير قرشي وأمه قرشية »[1].
جاء في رد المحتار من الفقه الحنفي: « وقوله قرشيا لقوله ﷺ« الأئمة من قريش » وقد سلمت الأنصار الخلافة لقريش بهذا الحديث، وبه يبطل قول الضرارية[2] إن الإمامة تصلح في غير قريش والكعبية إن القرشي أولى بها »[3].
وجاء في البحر الرائق: « لا بد أن يكون الإمام مكلفا حرا مسلما عدلا مجتهدا ذا رأي وكفاية سميعا بصيرا ناطقا، وأن يكون من قريش »[4].
وقال ابن حزم: (فصح أن من تسمى بالأمر والخلافة من غير قريش فليس خليفة، ولا إماما ولا من أولي الأمر، ولا أمر له -: فهو فاسق عاص لله تعالى، هو وكل من ساعده أو رضي أمره، لتعديهم حدود الله تعالى على لسان رسول الله ﷺ)[5].

الأدلة

استدل الجمهور بنصوص من السنة منها:

_ قوله ﷺ : « الأئمة من قريش» [6].

_ ما جاء في الصحيح أنه « بلغ معاوية وهو عنده في وفد من قريش: أن عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث أنه سيكون ملك من قحطان، فغضب معاوية، فقام فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فإنه بلغني أن رجالا منكم يتحدثون أحاديث ليست في كتاب الله، ولا تؤثر عن رسول الله ﷺ، فأولئك جهالكم، فإياكم والأماني التي تضل أهلها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد، إلا كبه الله على وجهه، ما أقاموا الدين »[7].

_قوله ﷺ :« الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مسلمهم لمسلمهم، وكافرهم لكافرهم »[8].

_ قوله ﷺ :« الناس تبع لقريش في الخير والشر »[9].

قيل في شرح الحديث: « فيه دليل على أن الخلافة مختصة بقريش لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم»[10].

_قوله ﷺ: « لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان »[11].

قيل في شرح الحديث: « ولما كان الناس تبعا لقريش في الجاهلية ورؤساء العرب كانوا أيضا تبعا لهم

---

(1) فتاوى السبكي، 566/2.
(2) نسبة للقاضي ضرار بن عمرو الغطفاني، وتأتي ترجمته.
(3) رد المحتار، 1/ 548.
(4) البحر الرائق، 6/ 299.
(5) المحلى، ابن حزم، 420/8.
(6) ورد بألفاظ مختلفة، مرفوعاً إلى النبي ﷺ وموقوفا من كلام علي ﷺ، قال ابن حزم (الفصل، 74/4) عن رواية أنس: وهذه رواية جاءت مجيء التواتر، قال الحافظ ابن حجر: (فتح الباري، 32/7)...جمعت طرقه عن نحو أربعين صحابيا، وقال الألباني (إرواء الغليل، 298/2): « صحيح ورد من حديث جماعة من الصحابة منهم أنس بن مالك وعلي بن أبى طالب وأبو برزة الأسلمي ».
ينظر في طرقه وألفاظه والحكم عليه: مسند الطيالسي، 595/3؛ مسند أحمد، 183/3 ؛ المستدرك، الحاكم، 75/4 ، 76 ؛ جامع العلوم والحكم، ابن رجب، 248؛ صحيح الجامع الصغير، الألباني، 2758؛ إرواء الغليل، الألباني، 298/2-301.
(7) صحيح البخاري، برقم (3500).
(8) صحيح البخاري، برقم (3495)؛ صحيح مسلم، برقم (1818).
(9) صحيح مسلم، برقم (1819).
(10) طرح التثريب، العراقي،79/8.
(11) صحيح البخاري، (3501).

في الإسلام، وهم أصحاب الخلافة، وهي مستمرة لهم إلى آخر الدنيا ما بقي من الناس اثنان، وقد ظهر ما قاله ﷺ فمن زمنه إلى الآن الخلافة في قريش من غير مزاحمة لهم فيها، وإن كان المتغلبون ملكوا البلاد، ولكنهم معترفون أن الخلافة في قريش، فاسم الخلافة باق ولو كان مجرد التسمية »[1].

_ قوله ﷺ:« قدموا قريشاً ولا تقدموها » [2].

وأكثر النصوص تأثيرا في المعنى المراد قوله ﷺ « لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان » قوله ﷺ « إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد، إلا كبه الله على وجهه، ما أقاموا الدين » وقوله ﷺ «الأئمة من قريش ».

ومما قيل في دلالة هذا الأخير: إن الجمع المعرف بلام الجنس يدل على الاستغراق، وقولنا: بعض الأئمة من قريش لا ينافي وجود إمام من قوم آخرين، أما كون كل الأئمة من قريش ينافي كون بعض الأئمة من غيرهم [3]، وفي الأحكام السلطانية .. « وليس مع هذا النص المسلم شبهة لمنازع فيه، ولا قول لمخالف له»[4]، يؤيد ذلك:

_ احتجاج أبي بكر الصديق ﷺ به يوم السقيفة بحصر الأمر في قريش، وتراجع الأنصار بعد أن قالوا: منا أمير ومنكم أمير، ففيه دلالة على صحة الرواية والاتفاق على الدلالة.

_ إذعان الأنصار لما ذكر لهم الصديق ﷺ أن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، فيه دلالة على أن حجة الصديق كانت بمحل لا ينبغي الاختلاف فيه.

وعُضد ذلك بحديث « قدموا قريشا ولا تَقَدَّموها »، إذ عدوا التقديم في الإمامة الكبرى أولى ما يستفاد من هذا الحديث، وعليه فلا تجوز في غير قريش[5]، ومن دليلهم أيضاً:

_ تواتر عمل الأمة على هذا الشرط، قال الغزالي: « نسب قريش لا بد منه لقوله ﷺ : (الأئمة من قريش) واعتبار هذا مأخوذ من التوقيف ومن إجماع أهل الاعصار الخالية على أن الإمامة ليست إلا في هذا النسب؛ ولذلك لم يتصد لطلب الإمامة غير قرشي في عصر من الأعصار مع شغف الناس بالاستيلاء والاستعلاء »[6].

المذهب الثاني: رأي من تردد في القول بشرط القرشية

تومئ كتابات الفقهاء المندرجين في قائمة الجمهور إلى اختلاف في سياق ما يبدو اتفاقا؛ فحين يسرد بعضهم متعلقات الشرط بصيغة التأكيد والموافقة، يمكن العثور على تحرير مشوب بالتردد كما هو حال الإمامين الجويني[7] والقرطبي[8].

(1) عمدة القاري، 75/16.

(2) ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح، وقال: أخرجه عبد الرزاق بإسناد صحيح، لكنه مرسل وله شواهد، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (10/ 25) وقال: رواه الطبراني، وفيه أبو معشر، وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (2966).

(3) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، 3/ 571.

(4) الأحكام السلطانية، الماوردي، 20.

(5) تثبيت الإمامة، أبو نعيم الأصبهاني، 257؛ الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي، 128؛ فضائح الباطنية، الغزالي، 180؛ السيل الجرار، الشوكاني، 937/1.

(6) فضائح الباطنية، 180.

(7) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، أصولي، فقيه، من أئمة الشافعية، من مصنفاته: نهاية المطلب في الفقه والبرهان في أصول الفقه توفي (478هـ)، ينظر: طبقات الشافعية، السبكي 5/ 165 .

(8) محمد بن أحمد بن أبي بكر، القرطبي، فقيه، مفسر، محدث، من مؤلفاته: الجامع لأحكام القرآن، توفي (671هـ).

أولاً: رأي الجويني

ذهب إمام الحرمين إلى القول باشتراط النسب موافقاً الجمهور في الجملة، لكنه لم يجزم بترجيحه في كل حديثه عن شروط الإمامة، سكت عنه في لمع الأدلة [1]وأظهر تردده في الغياثي والإرشاد، لافتاً نظر المتلقي إلى تجاوز في وصف حديث (الأئمة من قريش) بالقطعية المنبثقة من استفاضته.

قال رحمه الله: « وذكر بعض الأئمة أن هذا الحديث في حكم المستفيض المقطوع بثبوته؛ من حيث أن الأمة تلقته بالقبول وهذا مسلك لا أوثره؛ فإن نقلة هذا الحديث معدودون، لا يبلغون مبلغ عدد التواتر»[2]، وقال عن معقول هذا الشرط والحكمة منه: « ولسنا نعقل احتياجَ الإمامة في وضعها إلى النسب »[3]، وقال في الإرشاد: (وهذا مما يخالف فيه بعض الناس ، وللاحتمال فيه عندي مجال)[4].

والعبارة كافية لإخراج رأي الجويني من قائمة الجمهور والجزم بتردده في موافقتهم، ولو قطع بدلالة النص في شرط القرشية ما أشار إلى معقول الشرط؛ فمن مقررات قانون الاجتهاد أن النص الصحيح الصريح لا يعارض بالعقل، والفقهاء لا يترددون في المسائل التي أصبحت مغلقة ومعززة بالإجماع الصحيح، والسؤال في هذا السياق يقول: إلى أي حجة يركن فقيه بمستوى إمام الحرمين لمخالفة إجماع قرره الفقهاء قبله وفي عصره؟

ثانياً: رأي القرطبي

الفقهاء الذين رجحوا القول بشرط النسب في جملتهم ينكرون من خالفهم ويعدون مخالفتهم شذوذاً لا عبرة به، لكن القرطبي يدلنا على تردده في موافقة رأي الجمهور، يفهم ذلك من قوله وهو يسرد شروط الخليفة: «أن يكون من صميم قريش، لقوله ﷺ : (الأئمة من قريش) ، وقد اختلف في هذا»[5]، ولا تكون الإشارة إلى الخلاف عابرة هنا بلا تأثير؛ لأنها موجهة في مسألة حصنت في الكتابة الفقهية برواية الإجماع المستند إلى نص وصف بأنه ترقى إلى درجة المتواتر.

المذهب الثالث: من لم يعتبر النسب في شروط الولاية

رأي الباقلاني[6]

نقل ابن خلدون أن الباقلاني لا يقول بشرط القرشية، جاء في المقدمة « ومن القائلين بنفي اشتراط القرشية القاضي أبو بكر الباقلاني؛ لما أدرك عليه عصبية قريش من التلاشي والاضمحلال واستبداد ملوك العجم على الخلفاء، فأسقط شرط القرشية، وإن كان موافقاً لرأي الخوارج »[7].

وذهب بعض الباحثين إلى أن الباقلاني تردد في قوله بشرط القرشية، حيث قال في الإنصاف:(ويجب أن يعلم أن الإمامة لا تصلح إلا لمن تجتمع فيه شرائط منها : أن يكون قرشيًا لقوله ﷺ: « الأئمة من قريش » ونفى شرط القرشية في كتابه التمهيد حيث قال : (إن ظاهر الخبر لا يقضي بكونه قرشيًا، ولا

ينظر: شجرة النور الزكية، مخلوف، 197.

(1) ينظر: لمع الأدلة، 130.

(2) الغياثي، الجويني، 36.

(3) المصدر السابق، 37.

(4) الإرشاد، الجويني، ص 427.

(5) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 1/ 270.

(6) محمد بن الطيب بن محمد، أبو بكر الباقلاني، أصولي من أئمة المالكية، توفي (403هـ).
ينظر: الديباج المذهب، ابن فرحون، 2/ 228.

(7) مقدمة ابن خلدون، 99.

العقل يوجبه)[1].

ظاهر عبارة ابن خلدون أن الباقلاني لم يقل بشرط النسب القرشي لولاية الأمر، أما التعليل فهو مذهب ابن خلدون، ولعل الباقلاني رجع عن موافقة الجمهور التي سردها في الإنصاف، وأعرب عن معتقد اجتهاده في التمهيد.

وهذا القول منسوب إلى الخوارج إذ قالوا إن الإمامة صالحة في كل مسلم صالح قادر على القيام بأمرها[2]، وهو مذهب ضرار بن عمرو[3].

رأي المقبلي[4]

رأى المقبلي أن شرط القرشية غير لازم، وما ورد فيه من النصوص لا تدل على لزومه، قال رحمه الله: (والحاصل أن الصحابة فعلوا فعلا وجدوه أقرب شيء في تلك الحادثة إلى تحصيل المقصود، فأخذ الناس الواقعات شروطا، ولا يلزم من الوقوع الوجوب، ثم عمود ذلك بعد إجماع الصحابة، ودون الإجماع الذي يكون حجة خرط القتاد، فإنا لم نعلم نص كل صحابي، وسكوتهم لا يلزم منه أنهم سكتوا عن حجة عندهم من الله بلزوم ذلك، وإنما هو كسكوتهم في سائر المسائل التي لا قاطع فيها، ولما كان سعد بن عبادة رئيسا لا يخفى حاله، اشتهر خلافه مدة أبي بكر وعمر حتى مات في خلافة عمر، وخرج إلى الشام لكلام جرى بينهما، ومات هناك)[5].

أدلة القائلين بعدم اعتبار شرط النسب القرشي:

تتوافر أدلة القائلين بنفي شرط النسب القرشي في كتابات المتأخرين من الفقهاء والباحثين، وبالجملة فأدلة هذا المذهب اهتمت أكثر بالدلالة التعاضدية لنصوص الكتاب والسنة، حيث عدت المفاهيم المنجزة لبعض النصوص متعارضة مع اشتراط النسب، وعملت لرفع التعارض مستعينة بجملة من التأويلات والاحتمالات وصولاً إلى النتيجة القائلة بأن اشتراط النسب في الولاية العامة مرجوح بما هو أقوى منه دلالة واعتبارا.

ويمكن عرض أدلة هذا الفريق من نصوص القرآن والسنة مؤيدة بطرف من الحجاج العقلية.

_ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ الحجرات: 13

وجه دلالة الآية أن الله ساوى بين الناس في التكليفات والحقوق وجعل التفاضل بينهم بالتقوى وصالح العمل لا بالنسب، وهذه المساواة تلغي اعتبار النسب معياراً لأعلى الوظائف وأخطرها (الخلافة)،

(1) ينظر: الإمامة العظمى، 255/1.
(2) ينظر: تحفة الترك، الطرسوسي، 17.
(3) هو القاضي ضرار بن عمرو الغطفاني، تنسب إليه فرقة الضرارية، قال الذهبي: له تصانيف كثيرة تؤذن بذكائه وكثرة اطلاعه على الملل والنحل، توفي نحو (190ه).
ينظر: سير أعلام النبلاء، 531/8؛ الأعلام، الزركلي، 215/3.
ورجح هذا من المعاصرين محمد أبو زهرة في كتابه (تاريخ المذاهب الإسلامية)، والشيخ عبد الوهاب خلاف في كتابه السياسة الشرعية، وعدد من الكتاب منهم: العقاد، و علي حسني الخربوطلي، وصلاح الدين دبوس في كتابه (لخليفة توليته وعزله) ومحمد المبارك، وغيرهم.
ينظر: الإمامة العظمى، 255/1.
(4) صَالح بن مهدي المقبلي، الصنعاني، إمام مجتهد ، معظم للسنة، حسن التأليف، توفي بمكة (1108ه).
البدر الطالع،288/1.
(5) المنار في المختار من جواهر البحر الزخار، المقبلي، 2/ 464.

وتناقض تقديم القادة بأنسابهم وتكريس المعيار الطبقي يعود على مبدأ المساواة الذي تقرره الآية بالإلغاء، يؤكد ذلك ما جاء في السنة من الأحاديث التي تلغي معيارية النسب في التقديم أو التفضيل، منها: قوله ﷺ: « أربعة بقين من أمر الجاهلية: الفخر بالأحساب، والطعن بالأنساب، والاستسقاء بالأنواء، والنياحة،..»[1].

_ قوله ﷺ: « إن الله ﷻ قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن»[2].

في الحديثين وما في معناهما تقرير لمبدأ المفاضلة بالتقوى والعمل الصالح، وطرح اعتبارات النسب في التمييز بين الناس حيث كان للتمايز معنى معقول، ومعلوم أن مستوى التمييز معقول المعنى في الولاية والحكم.

_ قوله ﷺ: « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل حبشي كأن رأسه زبيبة »[3]؛ فالحديث أوجب الطاعة لكل إمام وإن كان عبدًا، فدل على عدم اشتراط القرشية، ولو كانت القرشية من المحكمات في باب السياسة ما اقترب منها نص تحمل دلالته نقضها.

_ قول عمر بن الخطاب ﷺ (إن أدركني أجلي وأبو عبيدة بن الجراح[4] حي استخلفته فإن سألني الله لم استخلفته على أمة محمد ﷺ؟ قلت : إني سمعت رسولك ﷺيقول : إن لكل نبي أمينا ، وأميني أبو عبيدة بن الجراح، فأنكر القوم ذلك، وقالوا: ما بال عليا قريش ؟ يعنون بني فهر، ثم قال: فإن أدركني أجلي وقد توفي أبو عبيدة ، استخلفت معاذ بن جبل[5]، فإن سألني ربي ﷻ: لم استخلفته ؟ قلت: سمعت رسولك ﷺ يقول : إنه يحشر يوم القيامة بين يدي العلماء نبذة)[6].

قالوا: معاذ بن جبل أنصاري لا نسب له في قريش، فدل على أن القرشية غير معتبرة على سبيل الوجوب، وما كان لعمر أن يخالف واجباً، وفي النص أيضاً دلالة المنازعة بين فهم عمر ﷺ وفهم الامتياز بالنسب المعبر عنه بالقول (ما بال عليا قريش) هذه المنازعة تشير إلى أن الاختلاف في معيارية النسب كامن في فقه الصحابة، كما أنه يؤكد على ظنية القول بشرط النسب وخضوعه للنظر وتعميق الفهم.

_ وقوله: (لو أدركني أحد رجلين ، ثم جعلت هذا الأمر إليه لوثقت به : سالم[7] مولى أبي حذيفة[8] ،

(1) مصنف عبد الرزاق، 558/3؛ مسند أحمد، 343/5؛ المعجم الكبير، الطبراني، 285/3.
(2) سنن أبي داود، 331/4؛ سنن الترمذي، 242/5.
(3) صحيح البخاري، برقم (693).
(4) عامر بن عبد الله بن الجراح، أبو عبيدة، من جلة الصحابة، توفي بطاعون عمواس، سنة (18ه)، ينظر: الإصابة، 475/3.
(5) معاذ بن جبل بن عمرو، الخزرجي، شهد العقبة وبدرا، ولاه النبي ﷺ على اليمن، توفي قيل سنة (18ه)، ينظر: الإصابة 3/ 426.
(6) مسند أحمد، 18/1؛ مسند الشاشي، 93/2؛ مصنف ابن أبي شيبة، 222/7، قال ابن حجر(فتح الباري، 119/13): رجاله ثقات.
(7) سالم بن معقل، أصله من فارس، صحابي، شهد بدرا وأحدا وسائر المشاهد، استشهد يوم اليمامة (12هـ). ينظر: الإصابة 2/ 6 .
(8) أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، القرشي، من السابقين إلى الإسلام، استشهد في اليمامة، (12هـ)، ينظر: الإصابة، 74/7.

وأبو عبيدة بن الجراح)[1]، قالوا: سالم لم يكن من قريش، فكيف يصرح عمر بصلاحه للولاية وأنه كان سيرشحه، فدل على أن شرط القرشية غير معتبر.

الاستدلالات العقلية

من الاستدلال العقلي لهذا الرأي ما يلي:

_ إذا استوى الحال في القرشي والأعجمي، فالأعجمي أولى بها، والمولى أولى بها في الصميم، وما ذلك إلا لضعف العصبية لدى الأعجمي والمولى، مما ييسر للأمة عزله متى حاد عن الطريق المستقيم[2].

هذا الاستدلال لا يقنع بربط شرط القرشية بعلة العصبية المفضية للغلب بل يقتلع الشرط من جذوره، ويعكس الأثر الذي بني عليه ذاهباً إلى أن العصبية التي تؤازر الخليفة قد تتحول إلى عصا يخدم نزعة الاستبداد التي لا ينجو منها إلا القليل، ولا يصح رهن الأمة بتوجهات الأفراد، ويرى أن من لا عصبة له من نسب أولى بالولاية العامة من ذي العصبة.

_ الإمامة لو كانت لقريش لاعتبار شرف النسب، فهي في بني هاشم من قريش من باب أولى، وفي آل البيت من بنى هاشم من قريش من باب أولى الأولى، وهذا لم يقل به إلا الشيعة، وهو باطل.

الاستدلالات في سياق مناقشة الجمهور

من أهم ما رد به أصحاب هذا الرأي ضمن مناقشة أدلة الجمهور ما يلي:

_ لم يقع ذكر حديث (الأئمة من قريش) في أي مرة انتخب فيها خليفة راشد، كما هو الصحيح، فدل على أن استدلال الصديق ﷺ به لدرء الفتنة وحسم الخلاف الذي تتخلله علة العصبية القائمة آنذاك لقريش وانقياد العرب لها لا لتقريره حكما شرعيا مستقرا لا تقصده النصوص.

_ قوله ﷺ«إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد، إلا كبه الله على وجهه، ما أقاموا الدين»، يحمل على من خرج عليهم حال كمال العصبية لهم.

_ قوله ﷺ: « لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان » غير قطعي الدلالة بل ترد عليه احتمالات منها أن هذا الأمر لا يزال في قريش ما بقي في الناس من يرجح مكانتهم في لم الشمل وقوة العصبية، فإذا زالوا زال هذا الحكم، وفيه احتمال آخر وهو أن هذا الأمر لا يزال في قريش ما بقي منهم اثنان ممن يعتقد اختصاصهم به فإذا زال هذا الظن زال ما ترتب عليه.

_ قول الأنصار يوم السقيفة (منا أمير ومنكم أمير) فيه دلالة على أن المتقرر في أذهانهم أن القرشية غير معتبرة، ولو كانت معتبرة ما وسعهم جهلها لخطر محلها وأهميته، فلو لم يكن الأنصار يعرفون أنه يجوز أن يتولى الإمامة غير قرشي لما قالوا ذلك .

_ الأحاديث التي يستدل بها على تعيين القرشية إنما هي على سبيل الإخبار، وليس فيها أمر يجب امتثاله.

المذهب الرابع: رأي من اعتبره معلقاً بعلة الغلبة والتأثير، يلزم بثبوتها ويرتفع بارتفاعها.

مقتضى هذا المذهب عدم نفي شرط القرشية من أصله، وموافقة جمهور الفقهاء في اعتباره بالجملة مع ربطه بعلة مؤثرة في التمسك به مطلقا، وهذه العلة هي الغلبة والحمية التي تساعد على الانقياد للخليفة والتسليم له وتمكنه من بسط الأمن وقمع البغي، وهذا يعني أن النصوص التي وردت في تقديم قريش بأمر الخلافة لم تعين قريشاً لذاتها بل لما توافر لها من عصبية النسب بين قبائل العرب وبقي أثر تلك العصبية إلى حين.

(1) تاريخ المدينة، ابن شبة، 922/3.
(2) ينظر: تحفة الترك، 17.

وأشهر من قال بهذا هو العلامة ابن خلدون، [1]، وهو ظاهر كلام شاه ولي الله دهلوي[2].

وأهم ما وجه به أصحاب هذا القول مذهبهم ما يلي:

_ قول أبي بكر: (إن العرب لا تدين إلا لهذا الحي من قريش ...) فيه بيان لعلة كون الأئمة من قريش وهي طاعة العرب وانقيادهم لقريش وتعظيمهم لمكانتها فإذا تغير الحال تغير موضع الاختيار.

قال ابن خلدون: « ... ذلك أن قريشاً كانوا عصبة مضر وأصلهم وأهل الغلب منهم، وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف، فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك ويسكنون لغلبهم، فلو جعل الأمر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم، وعدم انقيادهم، ولا يقدر غيرهم من قبائل مضر أن يردهم عن الخلاف، ولا يحملهم على الكرة، فتفترق الجماعة وتختلف الكلمة، والشارع محذر من ذلك حريص على اتفاقهم، ورفع التنازع والشتات بينهم؛ لتحصل اللحمة والعصبية وتحسن الحماية، بخلاف ما إذا كان الأمر في قريش.... فاشترط نسبهم القرشي في هذا المنصب، وهم أهل العصبية القوية ليكون أبلغ في انتظام الملة واتفاق الكلمة، ..... فإذا ثبت أن اشتراط القرشية إنما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلب، وعلمنا أن الشارع لا يخص الأحكام بجيل ولا عصر ولا أمة، علمنا أن ذلك إنما هو من الكفاية فرددناه إليها وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهي وجود العصبية، فاشترطنا في القائم بأمور المسلمين أن يكون من قوم أولي عصبية قوية غالبة على من معها لعصرها، ليستتبعوا من سواهم »[3].

جمع ابن خلدون لمذهبه بين الاستقراء والبحث في العلل، فهو يرى أن اشتراط القرشية إنما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلب، وربط الحكم بعلته يفضي إلى نتيجة تنقل الحكم المفهوم من ظاهر قوله ﷺ (الأئمة من قريش) بما يفيد أن الولاية العامة لا تعقد لغير القرشي إلى حكم آخر يستخرج الدلالات الخفية فيقرر أنه حيث وجدت العصبية وكان الغلب صحت الولاية مع تحقق بقية الشروط، ويقرر بالاستقراء أن الشارع لا يخص الأحكام بجيل ولا عصر ولا أمة، ولما كانت قريش في عصر النبي ﷺ ليست نفسها فيما بعده من الأعصار وفق سنة كونية في تحول الأحوال على مستوى الجماعات والدول، وتغير التركيب السكاني علم أن مقاصد الشارع في باب الخلافة تدور في فلك بناء الدولة القادرة على حفظ البيضة وتأمين المعاش وبناء الإنسان القادر على الإنتاج، وهو مقصد يمكن تحققه بغير أن يرتبط بنسب فئة بعينها هي في الأصل كسائر الناس.

وإلى مثل ذلك ذهب شاه ولي الله دهلوي، وفيه قال: « وَقد اجْتمع فيهم حمية دينيه وحمية نسبيه، فَكَانُوا مَظَنَّة الْقيام بالشرائع والتمسك بهَا »[4].

المقصد إذاً هو القيام بالشرع كما يجب، وسياسة الدنيا به، وهو أمر لا يقوم به إلا من حاز قوة تمكنه من ذلك، ومن كان مظنة ذلك تحقق فيه الشرط سواء كان قرشياً أم غير قرشي.

(1) نبه عليه عبد الرزاق السنهوري في كتابه فقه الخلافة، 112.
(2) أحمد بن عبد الرحيم، الدهلوي الملقب شاه وَليُّ الله، محدث من فقهاء الحنفية بالهند، توفي (1176 هـ). ينظر: الأعلام، الزركلي، 149/1.
(3) مقدمة ابن خلدون، 100.
(4) حجة الله البالغة، 2/ 230.

المبحث الثاني
شرط النسب القرشي للولاية العامة ...اختبار وترتيب

سيكون تحليل فقه المسألة في خلال التالي:
رأي الجمهور القائلين بشرط القرشية.
رأي معارضيهم النافين له.
رأي من ربط الشرط بعلل حاكمة، هذا يعني استثناء رأي الفقهاء الذين ترددوا في المسألة؛ فهم بترددهم مندرجون في قائمة المنكرين أو المعللين.

أولاً: رأي الجمهور (القرشية شرط في الخليفة)

رأي جمهور الفقهاء وفق ما سلف عرضه يفرض بيانه في مراكز الاستدلال التي دارت حولها الفتوى بوجوب قرشية النسب، وأصول الاستدلال المتصلة بالمسألة، وتفصيله على النحو التالي:

1_ الشرط في القرآن

لم يرد في القرآن ما يدل على شرط القرشية، ولا قال جمهور الفقهاء بأن آية منه تدل على هذا الشرط، بل إن في القرآن مفاهيم ودلالات قوية تعارض هذا الشرط وتقضي بنفيه، كما سيرد لاحقاً.

2_ الشرط في السنة

المستند لشرط القرشية ظواهر بعض النصوص التي تحدثت عن دور قريش وفضلها ومكانها بين قبائل العرب، ويغني عن التوسع في دراسة الأحاديث التي انبثق عنها هذا الاجتهاد (من جهة الرواية) تعاضدها على ظاهر المعنى وتعددها وورود بعضها في الصحيحين.

لهذا لم يشتغل البحث هنا بجمع كل الأحاديث التي فهم منها تثبيت شرط القرشية فبعضها يغني عن بعض من جهة الدلالة، ولا اشتغل بالدراسة الحديثية لها سنداً ومتنا؛ فالقضية الأهم في مجال البحث هو تنضيد الدلالات وإعادة النظر فيها لاستنباط الحكم بها، ومن مخرجات البحث في نصوص السنة من جهة الدلالة ما يلي:

الاحتجاج بالنص (الأئمة من قريش)

حديث (الأئمة من قريش) إخبار ليس فيه ما يدل على وجوب اختيار الأئمة من قريش دلالة قطعية، لذلك قيل فيه إنه كحديث (الأمانة في الأزد والحكم أو القضاء في الأنصار)[1]، فلا يفهم من الحديث وجوب اختيار القضاة من الأنصار أو الأمناء من الأزد، غاية ما يؤخذ منه أن يقال: أكثر القضاة من الأنصار أو أصلحهم، والأمناء كثر في الأزد، ولو قيل الكرم في العرب لا ينفيه في غيرهم، وإن عرفوا به جملة، ومثله الإمامة في قريش لا يصح حصرها فيهم وإن بقيت فيهم حيناً من الدهر لهيمنة شروط تاريخية وثقافية وعرقية.

ورأى البعض أن هذا الحديث جاء على سبيل توصيف الواقع فهو خبر مجرد عن دلالة الحكم، قال المقبلي: (وأما حديث (الأئمة من قريش) فهو خبر محض عن الواقع، وهو ظاهر ألفاظ الروايات، ففي المتفق عليه (الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم) فهل يقول أحد: إن هذا الخبر في معنى الأمر؟ وفي مسلم: (الناس تبع لقريش في الخير والشر) وفي المتفق عليه (

(1) مسند البزار، 235/16؛ وروي في المعجم الكبير للطبراني، 394/22؛ بلفظ « الْأَمَانَةُ فِي الْأَزْدِ وَالْحَيَاءُ فِي قُرَيْشٍ» وضعفه الألباني بهذا اللفظ، في ضعيف الجامع الصغير برقم (6452)؛ ورواه الترمذي في جامعه، برقم (3936) بلفظ (الملك في قريش، والقضاء في الأنصار، والأذان في الحبشة والأمانة في الأزد).

لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان)[1].

أما عن صيغة العموم في قوله ﷺ (الأئمة من قريش) فلا تقوم بها دلالة على الوجوب؛ لأن دلالة العموم مختلف فيها[2]، ولو سلمنا بها فهو عموم مخصص بنصوص ومبادئ الشريعة التي تقضي بطرح الأنساب في مقاصد الديانة، والولاية العامة من أعلى مصالح الدين والدنيا..

الاحتجاج بحديث: قدموا قريشا

استدل البعض بحديث (قدموا قريشاً ولا تقدموها) لوجوب تقديمهم على غيرهم في استحقاق الولاية العامة، وعدوا تقديمهم في كل أمر يكون لهم فيه دور، بل ذهب البعض إلى تقديم الشافعي على غيره من الأئمة لقرشيته، وفي الحديث عموم بتقديمها في كل أمر، ويصرفه عن الوجوب إلى الندب فعله ﷺ: جاء في المفهم:

« قدَّم النبيّ غير قريش على قريش، فإنه قدَّم زيد بن حارثة وولده أسامة ومعاذ بن جبل، وقدَّم سالِمًا مولى أبي حُذيفة على الصلاة بقباء، فكان يَؤُمُّهُم وفيهم أبو بكر وعمر وغيرهم من كبراء قريش»[3].

وهذا الفعل منه ﷺ ينسجم مع سائر مبادئ الإسلام في ترتيب مقامات البشر ومعايير التفضيل، والولاية العامة من أهم ما يستدعي المساواة في التكليف، ولو أمضينا النص بعمومه لعارضه فعله ﷺ والشرع منسجم لا تتعارض حججه، فدل على أن تقديمهم توقير يصح في سياقات بعينها وليس مطلقا ولا حتما ولا اصطفاءً وظيفيا خصوا به دون العالمين.

3_ الاحتجاج بالإجماع

لم يرد الاستدلال بالإجماع بمستوى واحد عند القائلين بشرط النسب القرشي، إذ حكاه بعضهم بصفة اليقين في حين أورده البعض بصيغ يفهم منها التردد، قال في مآثر الإنافة « وقد ادعى الماوردي الإجماع على اعتبار هذا الشرط مع ورود النص به »[4]، أضف إلى ذلك أنه لا يستقيم القول بالإجماع والصحابة لم يتفقوا عل شرط القرشية، وليس في فقههم ما يصرح بوجوبه على صفة القطع، وموافقة فقهاء الصحابة على ما تم في السقيفة لا يفهم منه إجماعهم على شرط القرشية، غاية ما يفهم من قبولهم هذا إقرارهم بتمام البيعة للصديق وسدادها، والإجماع على خلافة أبي بكر وصحتها لا يلزم له الإجماع على صحتها لقرشيته.

والواقع في فقه الصحابة ومن بعدهم يعترض دعوى الإجماع، ويدل على عدم اعتبار النسب القرشي كشرط من شروط الولاية العامة، ويقضي التفسير المنطقي في الموازنة أن مسألة تتقوى بإجماع يستند إلى نص لا يقبل أن يجهلها أقل الناس فقها فضلاً عن كبار الفقهاء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وهذه إشارات سريعة في شواهد من معترضات الإجماع:

_ ما سبق سرده من المرويات عن عمر ﷺ.

_ موقف سعد بن عبادةﷺ[5] في السقيفة وما بعدها، وهو موقف يشير في أقل أحواله إلى أن القرشية ظاهرة مرتبطة بعلة ظنية غير مقطوع بها.

---

(1) المنار في المختار من جواهر البحر الزخار، المقبلي، 2/ 464.

(2) رأى الرازي أن الاستدلال بالعموم في الحديث ليس من المتفق عليه، فلا تعتمد في الاستدلال، ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، 3/ 571.

(3) المفهم، القرطبي، 67/12.

(4) مآثر الإنافة في معالم الخلافة، 1/ 38.

(5) سعد بن عبادة بن دليم، الخزرجي، حامل لواء الأنصار ، لم يبايع الصديق، توفي بالشام، سنة (15ه)، ينظر: الإصابة، 274/4.

_ موقف أنس بن مالكﷺ[1] الذي أيد بيعة عقدها جمع من المسلمين لعبد الرحمن بن الأشعث[2] وهو كندي غير قرشي، وقيل إنه بايعه ا[3].

_ موقف النعمان بن بشير[4] ﷺعنه لما خرج عن حكم الأمويين ودعا لنفسه فقتلوه [5].

_ مما يقلل من درجة الاعتماد على دليل الإجماع فيها ما ورد في الصحيح أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما حدث أنه سيكون ملك من قحطان، وإن خالفه غيره وأنكر عليه.

_ بيعة التابعي الجليل سعيد بن جبير وهو من فقهاء التابعين لابن الأشعث وقتله بسبب ذلك[6].

_ آراء الجويني والباقلاني والقرطبي وابن خلدون ونشوان الحميري والمقبلي، والفقيه الشافعي سعيد بن صالح ياسين وغيرهم، توحي بأن حكاية الإجماع في المسألة تعميم اعتمد نقل المشتهر في المسألة لعدم بواعث بذل الجهد في بحثها وتحرير القول فيها.

قال المقبلي عن دعوى الإجماع في المسألة: (ودون الإجماع الذي يكون حجة خرط القتاد؛ فإنا لم نعلم نص كل صحابي، وسكوتهم لا يلزم منه أنهم سكتوا عن حجة عندهم من الله بلزوم ذلك، وإنما هو كسكوتهم في سائر المسائل التي لا قاطع فيها، ولما كان سعد بن عبادة رئيسا لا يخفى حاله، اشتهر خلافه مدة أبي بكر وعمر حتى مات في خلافة عمر، وخرج إلى الشام لكلام جرى بينهما، ومات هناك) [7].

_ استشكال ابن حجر هذا الإجماع، قال في ذلك: « ويحتاج من نقل الإجماع إلى تأويل ما جاء عن عمرﷺ من ذلك فقد أخرج أحمد عن عمرﷺ بسند رجاله ثقات أنه قال إن أدركني أجلي وأبو عبيدة حي استخلفته فذكر الحديث، وفيه فإن أدركني أجلي وقد مات أبو عبيدة استخلفت معاذ بن جبل الحديث ومعاذ بن جبل أنصاري لا نسب له في قريش »[8].

وفهم عموم النصوص الواردة في تقديم قريش في ضوء قول عمر ﷺ أمتن موافقة لدلالات جمة حشدتها نصوص ومبادئ وأسس تشريعية متفرقة في العدل الاجتماعي وإلغاء التمييز الطبقي من التماس تأويل لقول عمرﷺ.

4_ الاحتجاج بالوقوع

لو صح الاحتجاج بالوقوع لعورض بأقوى منه، فالدولة العباسية (مثالا) في عصرها الثاني حكم العالم الإسلامي أئمة ليسوا من قريش، بل ليسوا من العرب، وانتهت خلافة العباسيين القرشيين إلى مثال لا

(1) أنس بن مالك بن النضر، الحزرجي، خادم رسول الله ﷺ من المكثرين في الرواية، توفي بالبصرة سنة (90ه)،ينظر: الإصابة، 251/1.

(2) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، الكندي، خلع عبد الملك بن مروان، خاض حروبا انتهت بقتله سنة (84ه). ينظر: الوافي بالوفيات، 134/18.

(3) ممن بايع ابن الأشعث مسلم بن يسار، وجابر بن زيد، وماهان العابد، وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعامر الشعبي، وطلحة بن مصرف، والحكم بن عتبة، وعون بن عبد الله بن مسعود الهذلي، ينظر: الوافي بالوفيات، 134/18.

(4) النعمان بن بشير، الخزرجي، ولي الكوفة وحمص في عهد معاوية، خرج على مروان بن الحكم فقتله سنة(65ه). ينظر: الإصابة، 77/11.

(5) كان ذلك بعد موت معاوية بن يزيد حيث دعا لنفسه، فقاتله مروان بن الحكم سنة (65ه)، ينظر: الإصابة، 77/11.

(6) ينظر: المنتظم، ابن الجوزي، 6/ 318؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، 294/6 ؛ المحن، التميمي، 294.

(7) المنار في المختار من جواهر البحر الزخار، المقبلي، 2/ 464.

(8) فتح الباري، 119/13.

يمكن معه القول إنها ولاية سياسية؛ فالولاية العامة التي درس الفقه السياسي الإسلامي نصوصها واجتهد لوضع شروطها كانت ولاية تنفيذية حقيقية لا إسمية.

ولا يتصور أن يعد النمط المفرغ من مضمون الحكم ولاية عامة، وهذا يعني أن الولاية المقصودة هي التي كانت بيد غير القرشيين من بداية العصر العباسي الثاني مرورا ببني عباد وغيرهم بالأندلس، وعبد المؤمن وذريته ببلاد المغرب وحتى آخر خليفة من بني عثمان، ومنهم محمد الفاتح الذي أثنى عليه النبي ﷺ، وعلى جيشه.

تلك حقبة طويلة، عاش فيها فقهاء وأئمة مجتهدون، ولو كان في شرط النسب إجماع معتبر ما وسعهم السكوت على مخالفته مع تعاقب السنين، كما أن للواقع إثبات أجلى لفقهاء عارضوا صراحة حصر الإمامة في قريش، ومنهم من حمل السيف لفصل هذا التعلق عن واقع الحياة السياسية للمسلمين[1].

الثاني: رأي من خالف الجمهور فلم يعتبر شرط القرشية.

لا يؤثر عن هذا المذهب مناقشات تفصح عن تصور معمق للمسألة، لكنهم مع الجمهور متفقون على أن إنكار الشرط مع ورود النص به عمل غير منهجي؛ ومقتضى المنهج معالجة ظاهر النص ودلالاته الخفية وعلله ومقاصده مع انسجامه في حركة المفاهيم التي ولدتها نصوص ومبادئ الشريعة وقواعد الفقه، وليس على منصة البحث فقه موسع لهذا الرأي.

ولا يوجد قاعدة مشتركة بين هذا المذهب وما اشتهر عن الخوارج في المسألة؛ فمن المعلوم أن الخوارج لا فقه لهم معتبر، وما استدل به المتأخرون لتقوية هذا المذهب قوي من جهة المعنى قليل التوجيه من جهة الموقف من النصوص، وأدلتهم تكاد تقوي وجهة القائلين بربطه بعلة العصبية.

الثالث: رأي من اعتبره معلقاً بعلة الغلبة والتأثير، يلزم بثبوتها ويرتفع بارتفاعها.

جمع هذا الرأي بين فهم ظاهر النص وتتبع علته ومقصده، وأشهر من تكلم وفق هذه الرؤية العلامة ابن خلدون، ومن المدرك بالتجربة أن للعصبية شأنا في بقاء الممالك وتقوية السلطان عند العرب وعند غيرهم، وفي تأكيد معنى العصبية ودورها قيل: « يقال فارس والروم قريش العجم »[2]، أي في عصبية الملك فيهم[3].

---

(1) من الفقهاء الذين أنكروا شرط النسب القرشي نشوان بن سعيد بن نشوان، الحميري كان فقيها فاضلا عارفا باللغة والنحو والتاريخ وسائر فنون الأدب، خرج على حكم الزيدية في اليمن واستولى على قلاع وحصون، وقدّمه أهل جبل صبر حتى صار ملكا.

ومنهم الفقيه الشافعي سعيد بن صالح ياسين ت (1257 ه) ناهض حكم الهاشميين القرشيين في اليمن، وخرج عليهم بالسيف، وتلقب (إمام الشرع المطهر) وسك العملة باسمه، ونصب الولاة واستقل بحكم ما خرج عن الأئمة الزيدية من اليمن، ومنهم عبد الرحيم بن عبد الرحيم الخزرجي أبو القاسم ابن الفرس، كان فقيها، جليل القدر، رفيع الذكر، عارفا بالنحو واللغة والأدب، دعا إلى نفسه فأجابه الجم الغفير، ودعوه بالخليفة، وحيوه بتحية الملك؛ فأحاطت به جيوش الناصر، وهو في جيش عظيم، فقطع رأسه، وعلق على باب مراكش، وذلك سنة إحدى وستمائة، وهو ابن ست وثلاثين سنة.

وحمل تلك الدعوة مفكرون كثر منهم الحسن بن أحمد بن يعقوب، الهمداني، (ت 334ه) وهو أديب وفيلسوف ولغوي ومؤرخ، قاوم حكم الهاشميين لليمن وتقوى بالقحطانيين عليهم، ومنهم القاضي محمد محمود الزبيري، (ت 1965م) وانسلك في الثورة على طائفية قريش عدد من فقهاء اليمن منذ 1962م.

ينظر: معجم الأدباء، الحموي، 2745/6؛ الأعلام، الزركلي، 96/3؛ معجم المؤلفين، 3/ 204؛ بغية الوعاة، السيوطي، 93/2.

(2) الجامع في الحديث، ابن وهب، 66.

(3) مراعاة العصبية للأسر أمر قائم لم تضعفه إلا الإنجازات الحضارية للإنسان في بناء السلطة السياسية؛ ففي إنجلترا حصر الملك في أسرة (جورج هانوفر) وفي هولندا حصر في أسرة (أورانج ناسو) وفي وحصر

ولا يصح الفصل بين نص (الأئمة من قريش) وما في معناه من النصوص التي فُهم منها تقديم قريش وبين دوافع الاستدلال بها، ومن توغل في وقائع السقيفة وحواراتها سيصل إلى فهم يخفى على القراءات السطحية؛ فالصديق ﷺ كان يرمق مستقبل الأمة وجمع كلمتها، ويخشى أن تتناوشها رماح الغدر ومكائد المتربصين، ورأى ببصيرته ما لم يتنبه له غيره؛ لذلك حشد ما استطاع من الدلالات ليقنع الأنصار بجمع الكلمة على قرشي تذعن له القبائل؛ لبروز دور العصبية التي كانت مرعية في حقبتهم، ويمكن القول إنها علة تتلاشى في المجتمعات التي يتطور فيها مفهوم الدولة، أو تتشكل في صيغ أخرى.
ولعل مضمون هذا الرأي أعمق من غيره، حيث النص قائم له دلالته، والمعنى الذي تجسده العلة ويؤطره المقصد معتبر أيضاً، لا سيما ولقريش في العصر الجاهلي ثم في زمن الرسالة والعصور القريبة منه قوة ظاهرة تجلت في النفوذ الثقافي والإعلامي حيث كان لها أسواق تعد مهرجانات أدبية كبرى، وكانت المسابقات الشعرية التي أنتجت المعلقات السبع كلها بإدارة قريش (إن صح التعبير).
وكان لقريش نفوذ اقتصادي واسع الانتشار؛ فكبار تجار الجزيرة العربية منهم ورحلتا الشتاء والصيف لهم، وهذا النشاط الاقتصادي صنع لقريش علاقات قوية مع القبائل العربية شمالا وجنوبا أكسبتهم تقديرا كبيرا.
ولقريش أيضاً نفوذ ديني حيث هم سدنة البيت الحرام ولهم شرف جوار المشاعر المقدسة التي يحج إليها الناس في كل عام، لهم الرفادة والسقاية وشرف الجوار.
ثم زادوا قوة ونفوذا بظهور الإسلام؛ فكان النبي ﷺالخاتم منهم والقرآن نزل عربيا وترجحت في نطقه لغتهم، وزاد لهم بعد الإسلام مزية العسكرية فأبطال المعارك وفرسان الجهاد منهم، كل ذلك جعل عصبية قريش في محل من التأثير لا يسوغ تجاوزه في سياق الواقع الذي يفرضه.

الترجيح في خلال الدلالة التعاضدية للنصوص

يعبر مصطلح الدلالة التعاضدية للنصوص عن: حال الموائمة والتعاضد القائم بين الأدلة من جهة إعمال الدلالات المنتجة بلا تعارض.
ومن فروضه المقررة في علم أصول الفقه أن (الأدلة لا تتناقض)[1]، وبعبارة مرادفة: (حجج الشرع لا تتناقض، وإنما يتأيد نوع منها بنوع آخر)[2].
وبالمستخلص من مجموع الدلالات التي ينتجها النص وفق منهج الاستنباط يمكن للفقيه الاستنباط والترجيح، وهو المعنى الذي يُعبر عنه بالنظر في تصرفات الشرع، أو المعهود من تصرفات الشرع.
وهذا النوع من النظر من جملة المعقولات التي لا يُختلف في أصلها، وفي معناه قيل: (من عاشر إنسانا من الفضلاء الحكماء العقلاء وفُهم ما يؤثره ويكرهه في كل ورد وصدر، ثم سنحت له مصلحة أو مفسدة لم يعرف قوله فإنه يعرف بمجموع ما عهده من طريقته وألفه من عادته أنه يؤثر تلك المصلحة ويكره تلك المفسدة)[3].
إذا اعتبرنا ما سبق وزدنا عليه النظر في ضوء السياق الجمعي لنصوص أخرى تتجاذب المضمون ذاته أدركنا أن القول بوجوب أن يكون الحاكم من قريش مرجوح، وهذا ما يمكن تأكيده في خلال النماذج التالية:.

في بلجيكا في أسرة (ساكس كابورج) وفي السويد حصر في أسرة (برنادوت).
ينظر: الخليفة، توليته وعزله، د/ صلاح الدين دبوس، 281.
(1) المعتمد، أبو الحسين البصري، 56/2.
(2) أصول السرخسي، 69/2.
(3) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبد السلام، 189/2.

1_ طرح الامتياز بصلة النسب، وتقرير مبدأ الامتياز بالكسب، وهذا من المبادئ المقررة بالنص، قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ البقرة: ١٢٤ قيل في تفسيرها: من كان ظالما من ذريتك يا إبراهيم لا ينال رتبة الإمامة، وإنما ينالها من كان عادلا بريئا من الظلم[1]، فلم يعتبر قربى النسب وإنما عد الولاية دنيوية كانت أو أخروية مما يستحق بالعدل والصلاح، وقال سبحانه: ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ هود: ٤٦

قال القرطبي: وهذا يدل على أن حكم الاتفاق في الدين أقوى من حكم النسب[2].

2_ تقرير مبدأ العدل بين الناس بالتوحد في معيار التفضيل بالتقوى، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ الحجرات: ١٣

ومن فقه البخاري رحمه الله أنه عنون لحديث (الناس تبع لقريش في هذا الأمر) بهذه الآية، وفيه إشارة ذكية إلى وجوب الجمع بين ما تدل عليه الآية وما دل عليه الحديث، وقال تعالى: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ۘ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ ۚ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ المائدة: ٢٧ في الآية حصر لمعيار القبول وهو التقوى، يؤكد ذلك إلغاء الامتياز الذي صنعته قريش لنفسها في الحج، إذ كانوا يفيضون من المزدلفة، ويعللون ذلك بمكانتهم التي فرضوا بها الامتياز عن سائر العرب قال تعالى﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ البقرة: ١٥٥ قال صاحب الكشاف في تفسير الآية: « ثم لتكن إفاضتكم من حيث أفاض الناس، ولا تكن من المزدلفة؛ وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن أن يساووهم في الموقف»[3].

فإذا ثبت مفهوم المساواة كواحد من مبادئ الإسلام ارتفع كل ما يناقضه، فلا يصح إذاً أن يبقى في أهم وأخطر مهمات الدين والدنيا؟

وكانت الهجرة إلى المدنية الخطوة الأولى لتفكيك مفهوم العصبية القبلية، والانتقال إلى فكرة الدولة ثم دولة الفكرة، وتم ذلك بتأسيس مجتمع مدني جانسته المبادئ وبينات المدنية الإسلامية العاقلة، أيعقل بعد ذلك أن يعيدها جذعة في صورة التمكين للسلالة؟

3_ إحلال مبدأ الأخوة الذي يؤسس لوحدة الأمة، وهو مبدأ لا يمكن تحقيقه في مجتمع طبقي يخص سلالة بأحكام وثيقة الاتصال بالتدابير الدنيوية كالخلافة، قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا

(1) ينظر: الكشاف، 211/1.
(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 46/9.
(3) الكشاف، 1/ 247.

تَفَرَّقُواْ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ :ال عمران ١٠٣

4_ فهم النصوص التي أنتجت ظواهرها القول بشرط القرشية في ضوء تفسير الصحابة لهذا التعيين، وهذا ما ندركه جلياً في قول أبي بكر الصديق ﷺ للأنصار: (ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسبا ودارا)[1].

فالتعليل الذي اعتمد عليه الصديق ﷺ واضح يقول: لقريش عصبية نسبية ومكانة بين العرب ضرورية لبسط نفوذ الدولة الفتية، ومنع انفراط عقدها بعد وفاة الرسول ﷺ، وهي علة مؤثرة لاقت قبولاً من كبار الصحابة؛ وبقيت هذه العلة من جهة سعد بن عبادةﷺ ظنية، فلم يبايع الصديق ﷺ بالخلافة، ولو كانت شريعة ما وسعه تجاوزها وهو من كبار الأنصار، وما كان أبو بكر ليقول مثل ذلك، ولو كانت القرشية شرطاً شرعياً لازما لبين ذلك اللزوم واحتج به ولم يقف عند شرح نظرة العرب لقريش!

5_ الجمع بين النصوص التي فهم منها هذا الشرط وبين قوله ﷺ :(يهلك أمتي هذا الحي من قريش قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «لو أن الناس اعتزلوهم) [2].

جاء في فتح الباري: « والمراد أنهم يهلكون الناس بسبب طلبهم الملك والقتال لأجله؛ فتفسد أحوال الناس ويكثر الخبط بتوالي الفتن، وقد وقع الأمر كما أخبر ﷺ، وأما قوله لو أن الناس اعتزلوهم محذوف الجواب وتقديره لكان أولى بهم والمراد باعتزالهم أن لا يداخلوهم ولا يقاتلوا معهم ويفروا بدينهم من الفتن» [3].

ولهذا المعنى حضور قديم قبل أن تتعاظم مصائب التعلق السلالي بعرش الخلافة، وإدراك لخطر ديمومة النزعة العائلية على الحياة، قال محمد بن علي بن أبي طالب، المعروف بابن الحنفية: (..أهل بيتين من العرب يتخذهما الناس أندادا من دون الله نحن وبنو عمنا هؤلاء يريد بني أمية)[4].

6_ الجمع بين نصوص الشرط القرشي وقوله: (سترون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني)[5].

ولا شك أن مراعاة واقع قريش ومكانتها في أمر الخلافة أنتج أثرة أخبر النبي ﷺ صحبه من الأنصار أنها واقعة بعده وأرشدهم إلى الصبر حتى يلقوه يوم القيامة على الحوض؛ فهي إذاً أثرة فرضها الواقع فليصبروا عليها تغليبا للمصلحة وثوابهم على الله، ولو كانت الخلافة السياسية في قريش حكما ثابتا ما أشار إليها بالأثرة فحكم الله لا ينقض بتتابع الدهور، ولا أثرة فيه ولا مجاملة، ولا يمكن أن تكون في أحكام الله الثابتة الدائمة شائبة الأثرة ويطلب من المؤمنين الصبر عليها، فدل ذلك على أنها أثرة عارضة بإملاءات ظرفية لا علاقة لها بالحكم الشرعي، هذه الدلالات المكثفة لا تسمح بتفسير حديث (الأئمة من قريش) وما في معناه بوجوب أن يكون الإمام قرشياً؛ لأن مثل هذا التقرير يفضي إلى تناقض الدلالات المتولدة من النصوص، وهذا لا يكون في الشريعة مطلقاً؛ لذلك كان من الضروري تأويل النصوص التي فهم منها شرط القرشية تأويلاً منهجياً يذعن للنص لكن في سياق نصوص أخرى ليخرج بدلالات منسجمة على منوال ما أوصل إليه العرض السابق للنصوص.

ومن يرُد ذلك بحجة أن الخلافة وفق المفهوم السياسي الإسلامي محض تكليف وأثقال ولا مزية لها

(1) صحيح البخاري، برقم، (6830) .
(2) صحيح البخاري، برقم (3604).
(3) فتح الباري، 10/13.
(4) سير أعلام النبلاء، 58/5.
(5) صحيح البخاري، برقم (2376).

ولا امتياز، كان كلامه مفرطاً في المثالية المتجاوزة لمراعاة الشريعة لفطرة الخلق وواقعهم؛ فعلو السلطنة أمر واقع، ولو لم تكن كذلك ما حاول أبو بكر ﷺ كسر هذا الامتياز بقوله بعد مبايعته بالخلافة: (وُليت أمركم، ولست بخيركم)[1].

ولا قال عمر بعد أن صار خليفة مخاطباً نفسه (عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ، والله لتتقين الله بُني الخطاب أو ليعذبنك)[2]؛ ففضيلة الدرجة المرتقاة بالولاية السياسية كامنة في النفوس ملموسة التأثير في الواقع، نبه أبو بكر ﷺ إلى ضرورة التخلص من علائقها بقوله (ولست بخيركم) وشد جماحها عمر ﷺ بقوله (لتتقين الله).

ونظرة عابرة في صفحات التاريخ السياسي في الإسلام من نهاية العهد الراشدي إلى اليوم تكفي لتؤكد عظم المفاسد الناتجة عن تطلع فئة القرشيين للحكم بعده امتيازا سلاليا مشرفا يجب حفظه وتقديم المهج لأجله كونه من مقررات الشرع المحكم ومنازع السمو والاحتكام للوحي، وهذا الاعتقاد هو فتيل الحروب الضروس التي طحنت القرشي غالباً ومغلوبا وغير القرشي المعتقد بالقرشية أو المنكر لها، وليس بعد الدماء مفسدة ولا في مستواها خطر يتعين دفعه وبتر أسبابه، ودفع المفاسد من مظان الإذعان للشرع.

7- لا يستقيم الجمع بين القول بقرشية النسب ومبدأ الشورى؛ فالشورى من أسس الحكم وأصول السياسة الشرعية، ولو اجتمع عدلان استويا كفاءة أحدهما من قريش والآخر من غير قريش، ومال أهل الشورى إلى غير القرشي لامتياز رجحوه، لزم بموجب القول بشرط النسب القرشي زحزحة غير القرشي بغير حجة، وبهذا سلب أهل الشورى حقهم وفرغ المبدأ من محتواه، وضرب عليه قيد لا دليل عليه إلا الظنية في الاستدلال بنصوص محتملة لو أمضيت لأفضت إلى طمس أصل لا اختلاف فيه، أو حولته إلى أصل منتقص لا جوهر له ولا ثمرة.

يضاف إلى ذلك أن قرشية الخليفة وجه من وجوه الحكم الوراثي، فهي وراثة بمعنى أوسع، حيث لا حكم إلا لقريش وما نسلته، والحكم الوراثي يناقض مبادئ الشورى ويحولها إلى نظرية مفرغة بلا أثر، وإذا قُيدت الشورى في حق اختيار الخليفة فأي معنى لها بعد هذا؟

وبالإضافة إلى أن القول بحصر الرئاسة في قريش ينقض منهج الاستدلال في صورة بند الجمع بين دلالات النصوص وحفظ انسجامها وعدم تعارضها فإنه يلغي أصولاً قطعية أهمها:

أصل التمايز بالتقوى والعمل.

أصل العدل الاجتماعي.

أصل العدل في التكليف والتشريف.

أصل حرية الأمة في اختيار الحاكم.

أصل الشورى.

8_ قوله ﷺ : «كان هذا الأمر في حمير فنزعه الله تعالى منهم وصيره في قريش، وسيعود إليهم»[3].

(1) الموطأ، مالك بن أنس، برقم (631).

(2) البداية والنهاية، ابن كثير، 184/10.

(3) الفتن، نعيم بن حماد، 384/1، برقم (1154)؛ مسند أحمد، 91/4، برقم (1682)؛ السنة، ابن أبي عاصم، 528/2، برقم (1115)؛ المعجم الكبير، الطبراني، برقم (4227)؛ جامع المسانيد والسنن، ابن كثير، 676/2؛ الجامع الصغير، السيوطي، 153/2، برقم (6210) وقال الحافظ في الفتح (116/13): سنده جيد، وقال الهيثمي في: مجمع الزوائد، 193/5؛: (رواه أحمد، والطبراني، ورجالهم ثقات).

ضم هذا الحديث إلى جملة ما ورد من النصوص في خلافة قريش يحول دون تمكين رأي الجمهور، ويؤكد أن ما ورد في إمامة قريش إخبار مجرد وليس قانونا ملزما؛ فليس من معهود تصرفات الشرع أن يتفق نص التكليف والخبر المجرد في الدلالة في قضية بعينها ثم يتناقضان.

ولو كانت الخلافة للقرشي إلزام شرعي ما اتسع مع هذا الإلزام قبول انتقالها إلى غيرهم، فالحكم ليس له زمن ينتهي إليه، وليس إلا أنها واقعة في التاريخ وصفها النبي ﷺ ولم يصدر فيها حكما، وراعى أبو بكر تأثير هذا الواقع فأقره، وترجح لدى عمر إمكان ارتفاع علة القرشية من الواقع فأشار إلى إمكان تجاوزها لما نبه على ترشيح معاذ بن جبل لو كان حيا.

خاتمة

جرت المحررات الفقهية في الفقه السياسي على اشتراط قرشية ولي أمر الكافة وهو رأس سلطة التنفيذ في الدولة.

ولم تعرض لهذا التقرير عوارض أو تعم به بلوى تفرض إعادة النظر فيه؛ فلم تزل السلطة السياسية في حيازة المتصلين بهذا النسب حقيقة أو شكلا ردحا من الزمن مع وجود من لا يعتبر القرشية شرطا.

غير أن تداعي الفتن وتموجات المحن التي عصرت المجتمع الإسلامي وانعكاسات التطوير الذكي للأنظمة السياسية في العالم فرض إعادة بحث هذه القضية فظهرت مذاهب نظرية تخالف ذلك المشهور.

تعد هذه المسألة من جملة ما يجدر وضعه على منصة النقد المنهجي، وهي ظاهرة علمية مصاحبة للتدوين الفقهي وإن قصرت عن خدمتها الأقلام في بعض الحقب لعوارض شتى.

الاختلاف في المسألة محكوم بقواعد المنهج الفقهي في التنظير والتفنيد والتعليل والترجيح؛ لذلك لم يكن من جملة الفقه قول من ينكر النصوص التي تحمل فيما تحمل من الدلالات شرط القرشية في الحاكم؛ فالنص الصحيح حاكم وكل رأي محكوم بدلالات النصوص، ومهمة الباحث تجلية ظاهر النص ومقاصده وإشاراته وعلله وسياقات وروده وسائر دلالاته.

إعادة ترتيب العلاقة بين النصوص التي استند إليها من قال بهذا الشرط مهم في ضوء ما صح من العلة واستوى من المقصد، ولابن خلدون فضل في لفت النظر إلى ذلك.

يمكن اعتبار الظنية في النصوص التي استدل بها أكثر الفقهاء مدخلا أولياً لترجيح القول بأن شرط القرشية ليس قطعيا ولا مطلقاً، ولا يستقيم فهمه مقطوعاً عن سياقات العلة وحاكمية المقصد.

ومن موانع ترسيخ شرط القرشية بينات المبادئ الكلية التي رسمتها نصوص أخرى قننت العدل الاجتماعي ومعايير التفضيل وتقسيم المراتب وتنظير التراتيب المفروضة بإكراهات الزمان والمكان، والأخبار الموازية لنصوص القرشية التي تخبر عن انتقال الحكم من قريش إلى غيرهم.

ثبت المراجع

- الأحكام السلطانية، الماوردي، أبو الحسن، علي بن محمد، توفي (450هـ)، دار الحديث، القاهرة، ط.د،ت.د.

- الإرشاد إلى قواعد الأدلة في أصول الاعتقاد، الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، توفي (478هـ)، مكتبة الخانجي، مصر تحقيق: محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، ن.د ، م.د، ط.د،ت/: 1369هـ .

- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الألباني، محمد ناصر الدين، توفي (1420هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الثانية، ت/ 1405 هـ = 1985م.

- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد، العسقلاني، توفي (852هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ت/ 1415 هـ.

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، توفي (1393هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ت/ 1415 هـ = 1995 مـ.

- الأعلام، الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، توفي (1396هـ)، دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر،ت/ 2002 م.

- الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، توفي(505هـ)، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى،ت/ 1424 هـ = 2004م.

- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المصري توفي (970هـ)، دار الكتاب الإسلامي، ط: الثانية، ت.د.

- البداية والنهاية، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، توفي (774هـ)، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط: الأولى، ت/ 1418 هـ = 1997 م.

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، توفي (1250هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط.د،ت.د.

- البرهان في أصول الفقه، الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، توفي (478هـ)، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ت/ 1418هـ = 1997 م.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، توفي (911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، ط.د،ت.د.

- تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض،

توفي (1205هـ)، تحقيق مشترك، دار الهداية، ط.د،ت.د.

- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز توفي (748هـ)، تحقيق: بشار عوّاد، دار الغرب الإسلامي، ط: الأولى، ت/ 2003 م.

- تاريخ المدينة ابن شبة، عمر بن شبة، النميري، البصري، أبو زيد، توفي (262هـ)، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ن.د، م.د، ط.د،ت.د.

- تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة، الأصبهاني، أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد، توفي (430هـ)، حققه:علي بن محمد بن ناصر، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط: الأولى، ت/ 1407 هـ=1987م.

- تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، الطرسوسي، إبراهيم بن علي بن أحمد، نجم الدين، توفي (758هـ)، تحقيق: عبد الكريم محمد مطيع الحمداوي، م.د، ن.د، ط: الثانية، ت.د.

- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد، توفي (795هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: السابعة، ت/ 1422هـ = 2001م.

- جامع المسانيد والسُّنَن الهادي لأقوم سَنَن، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، توفي (774هـ)، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، دار خضر للطباعة، بيروت،ط: الثانية، ت/ 1419 هـ = 1998 م.

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد زهير، دار طوق النجاة، ط: الأولى، ت: 1422هـ.

- الجامع في الحديث، ابن وهب، عبد الله بن مسلم، القرشي، أبو محمد المصري، توفي (197هـ)، تحقيق: مصطفى حسن حسين أبو الخير، دار ابن الجوزي، السعودية، ط.د،ت/ 1996م.

- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، توفي (671 هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط. د، ت/ 1423 هـ= 2003 م.

- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين، توفي (751هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.د،ت.د.

- حجة الله البالغة، الدهلوي، أحمد بن عبد الرحيم، الشاه ولي الله، توفي (1176هـ)، تحقيق: السيد سابق، دار الجيل، بيروت، ط: الأولى، ت/ 1426 هـ = 2005م.

- الخليفة..توليته وعزله، دبوس، صلاح الدين، مؤسسة الثقافة الجامعية، الأسكندرية، مصر، ط.د،ت.د.

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد، العسقلاني، توفي (852هـ)، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، ط: الثانية، ت/ 1392هـ= 1972م.

- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد، توفي (799هـ)، تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ط.د،ت.د.

- الذخيرة، القرافي، شهاب الدين، أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، أبو العباس، توفي (684هـ)، تحقيق: مجموعة محققين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى، ت/ 1994 م.

- رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين)، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز، توفي (1252هـ) ن.د،م.د، ط.د،ت.د.

- السنة، ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك، الشيباني، توفي (287هـ)، المكتب الإسلامي، ط:الأولى، ت/ 1400هـ= 1980م.

- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير، السِّجِسْتاني، توفي (275هـ)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط:الأولى، ت/ 1430 هـ = 2009 م.

- سنن الترمذي (الجامع)، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، توفي (279هـ)، تحقيق: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 م.

- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، الذهبي، توفي (748هـ)، دار الحديث، القاهرة، ط.د،ت/ 1427هـ-2006م.

- السيرة النبوية (سيرة ابن هشام)، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، توفي (213هـ)، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط. د،ت.د.

- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، توفي (1250هـ)، دار ابن حزم، ط: الأولى، ت.د.

- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، مخلوف، محمد بن محمد بن عمر، توفي (1360هـ)، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط: الأولى، ت/ 1424 هـ = 003 2م.

- شرح الكوكب المنير، ابن النجار، أبو البقاء محمد بن أحمد، الفتوحي، توفي (972هـ)، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط: الثانية، ت/ 1418هـ = 1997 مـ.

- صحيح الجامع الصغير وزياداته، الألباني، محمد ناصر الدين، الأشقودري، توفي (1420هـ)، المكتب الإسلامي، عمان، ط.د، ت.د.

- طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين، تاج الدين، توفي (771هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الثانية، 1413هـ.

- طرح التثريب في شرح التقريب، العراقي، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم، أبو الفضل، توفي (806هـ)، ط: المصرية وصورتها دور عدة ت.د.

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، بدر الدين، توفي (855هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط.د،ت.د.

- غياث الأمم في التياث الظلم، الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، أبو المعالي، إمام الحرمين، توفي (478هـ)، تحقيق: عبد العظيم الديب، مكتبة إمام الحرمين، ط: الثانية، ت/ 1401هـ.

- فتاوى السبكي، السبكي، تقي الدين، علي بن عبد الكافي، السبكي، توفي (756هـ)، دار المعارف، ط.د،ت.د.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، أحمد بن علي، العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ط.د، ت/ 1379 م .

- الفتن، المروزي، نعيم بن حماد بن معاوية، أبو عبد الله، توفي (228هـ)، تحقيق: سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد، القاهرة، ط: الأولى، ت/ 1412ه.

- الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق)، القرافي، شهاب الدين، أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، المالكي، أبو العباس، توفي (684هـ)، عالم الكتب، ط.د،ت.د.

- فضائح الباطنية، الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد، توفي (505هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، ط.د،ت.د.

- فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، زين الدين، محمد المدعو بعبد الرؤوف، توفي، (1031هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ت/ 1415 ه = 1994م.

- كشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، منصور بن يونس بن صلاح الدين، توفي (1051هـ)، دار الكتب العلمية، ط.د،ت.د.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، محمود بن عمر الخوارزمي، أبو القاسم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط.د،ت.د.

- لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف توفي(478هـ)، تحقيق: فوقية حسين، عالم الكتب، لبنان، ط: الثانية، ت/ 1407هـ= 1987م.

- اللمع في أصول الفقه، الشيرازي، أبو اسحاق، إبراهيم بن علي بن يوسف توفي (476هـ)، دار الكتب العلمية، ط: الثانية، ت/ 1424 هـ=2003 م.

- مآثر الإنافة في معالم الخلافة، القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري، توفي (821هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ط: الثانية، ت/ 1985م.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، توفي (807)ه، بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر، مقابلة مع طبعة دار الفكر، بيروت، ط.د، ت/ 1412 هـ= 1992 م.

- المحلى بالآثار شرح المجلى بالاختصار، ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، الأندلسي، توفي (438ه)، ط.د،ت.د.

- المحن، التميمي، محمد بن أحمد بن تميم المغربي، الإفريقي، توفي (333هـ)، تحقيق: د/ عمر سليمان العقيلي، دار العلوم، الرياض، ط: الأولى، ت/ 1404هـ = 1984م.

- المستدرك على الصحيحين، الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد، توفي(405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، الأولى، ت/1411 ه= 1990م.

- مسند أبي داود، الطيالسي، سليمان بن داود، الفارسي، البصري، توفي (204ه) دار المعرفة، بيروت، ط. د،ت.د.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال، الشيباني، توفي (241هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط: الأولى، 1416 هـ = 1995 م.

- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله، النيسابوري، مسلم بن الحجاج، توفي: (261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط.د،ت.د.

- المصنف، ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، توفي (235 ه)، ضبطه وعلق عليه: سعيد اللحام، تصحيح: مكتب الدراسات، والبحوث في دار الفكر، ط.د،ت.د.

- المصنف، الصنعاني، عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، توفي (211هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، ط: الثانية، ت/ 1403ه.

- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي، توفي (626هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى، ت/ 1414هـ=1993 م.

- المعجم الكبير، الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، توفي، (360هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط: الثانية، ت.د.

- معجم المؤلفين، كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني، توفي (1408هـ)، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط.د،ت.د.

- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن، الملقب بفخر الدين الرازي، خطيب الري، توفي (606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الثالثة،1420 هـ.

- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبيُّ، أحمَدُ بنُ أبي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ إبراهيمَ الحافظ، الأنصاريُّ، توفي (656ه) ، ن.د، م.د، ط.د.ت.د.

- المقاييس في اللغة، ابن فارِس، أبو الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، توفي (395) تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون، اتحاد الكتاب العرب، ط.د، ت/ 1423 هـ = 2002م.

- الملل والنحل، الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر، توفي (548هـ)، مؤسسة الحلبي، م.د، ط.د، ت.د.

- المنار في المختار من جواهر البحر الزخار، المقبلي، صالح بن مهدي، توفي (1108) ه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى، ت/ 1408ه= 1988م.

- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، توفي (597هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ت/ 1412 هـ = 1992 م.

- موطأ مالك (رواية يحيى الليثي) الأصبحي، مالك بن أنس، دار إحياء التراث العربي، مصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط.د،ت.د.

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر، السوداني، توفي (1036هـ)، عناية: عبد الحميد الهرامة، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ط: الثانية، ت/2000 م.

- الوافي بالوفيات، الصفدي، صلاح الدين، خليل بن أيبك بن عبد الله، توفي (764هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ط.د،ت/1420هـ=2000م.

دور المعابد وقدسيتها عند عرب الجنوب

د. ناجي محمد سعيد علي

أستاذ التاريخ القديم المشارك بجامعة عدن

ملخص:

يحاول البحث أن يعطي جوابًا من الناحية العلمية لهذا السؤال: ماهية المعابد؟. ولمحاولة الإجابة عن هذا السؤال، توزع البحث على ثلاثة محاور تبرز دور المعابد: **المحور الأول**: نفوذ المعابد الذي تجلى من خلال أبعاد، هي: طرق البناء والزخرفة، والبعد المالي بامتلاكها الاقطاعيات، والضرائب، والبعد السلطوي المتمثل في مشاركة الحاكم في أمور الحكم. و**المحور الثاني**: طقوس المعابد التي تبرز مقدار خضوع الاتباع للآلهة، والمتمثل في حرمة دخول المعابد وطهارة الداخلين عليها، والقرابين، والحج، و**المحور الثالث**: رجال المعابد (الكهنة) بوصفهم أداة تربط بين الدنيوي والديني.

Abstract:

The researcher endeavors to give an answer from a scientific aspect for the following question: What are temples? In an attempt to answer that question, the research was distributed into three essential axes ,which make temple's meaning standout, as hereunder:

First axe: Temples influence, which is manifested through the following dimensions: Ways of building and decorations. Financial dimension by possessing lands and taxes._Authoritarian dimension in participating with the ruler in ruling matters. Second dimension, rituals of temples ,which make the amount of Goddess followers submission prominent. It is represented in sanctity of temple entry as well as purity of entrants to temples, offerings and pilgrimage. Third axes, the priests as a linking tool between religious life and worldly one.

تمهيد:

هناك آراء متعددة حول الدين وأسباب منشئه وتطوره. ومن هذه الآراء ما تقتصر على تعريف الدين تعريفًا لغويًا وحصر معناه في جملة من التعابير والاشتقاقات اللغوية (المنطقية)، كالقول بأن الدين (بكسر الدال وسكون الياء) في اللغة العربية، ومن الألفاظ التي تعددت مدلولاتها ومعانيها العامة والخاصة. وقد جاء معناه في كتب اللغة والتفاسير على النحو الآتي:

الدين يعني: الجزاء، الطاعة، الغلبة، الورع، الخضوع والعزة، أو أنه بمقام الحال أو السلطان أو الحساب...إلخ، من هذه المفاهيم والأحكام[1]. كما نرى أن لفظة (دين)، التي تقابلها كلمة (Religion) الإنجليزية المأخوذة من كلمة "(صلة) باللاتينية (ReligareovReligere)، وتعني اللزوم والانقياد"[2]. ولذلك تتبين لنا أصالة اللفظة العربية التي "حاول المستشرقون أن يشوهوها"[3]. كما ترد لفظة الدين بمعنى (الحشر) في اللغة الآرامية والعبرية. وتقابل الكلمة الآرامية (دينو) لفظة الديان في اللغة العربية بمعنى (القاضي)، في حين جاءت في اللغة البابلية بمعنى (القضاء) وفي الثمودية بمعنى (بدين/ ود/ أمنت)؛ أي: "بمعناه على دين ود أموت"[4]، أما لفظة دين، ففي النقوش "الصفوية صفة من صفات الآلهة"[5]، وفي النقوش العربية الجنوبية (اليمن) بمعنى دين (𐩣𐩨𐩣) يعني الزكاة والواجب الإلزامي الذي يدفعه المتمكن، وإن لم يؤدِ حقوقه يكون خارجًا عن أوامر الآلهة، ويبقى حق الزكاة في ذمته حتى يؤديه، كما يتضح لنا من الجملة (𐩣𐩨𐩣 𐩲𐩨𐩱𐩲𐩥 𐩲𐩨𐩱𐩲𐩥) "دين الإله عثتر بعد تأدية الحق"[6]، وربما يقصد به هو ما يتقرب به للإله عثتر.

كما وردت لفظة دين في إحدى النقوش بعبارة (دين ود)، ولذا فإن "الوفاء بالنذور ضرورة يزاح عن كاهل الشخص"[7]، ويعرف الدين بأنه الطاعة والتعبد، فيما يذهب آخرون إلى تصنيفه حسب مكوناته إلى عناصر نظرية ونفسية وأخرى عملية، ومن بين هؤلاء من يعرَّفه بأنه إيمان وعمل، إيمان بوجود قوى فوق طاقة البشر لها تأثير في حياته وفي مقدراته، و"عمل في أداء طقوس معينة تعين شكلها الأديان للتقرب إلى الآلهة ولاسترضائها"[8]، بل الدين منظومة تتكون من التصورات والمعتقدات الدينية (الأسطورية) الخيالية، فضلًا عن عنصر الأمزجة والانفعالات النفسية – العاطفية، وكذا الممارسة العملية التي تتجلى في شكل الطقوس والشعائر الدينية، التي يقوم بها الإنسان المتدين تجاه معتقده كعنصر ثالث.

ومع ذلك فإن التعريف الأخير هو أقرب إلى الصحة؛ حيث يشرح البنية الداخلية للدين، أي تركيبه الداخلي، الذي يكشف بدوره مضمونه، فالتصورات إنما تكون وجهة النظر تجاه العالم. وهي

1) ينظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين – بيروت، مكتبة النهضة بغداد، 1970م، (7/6 وما بعدها).
2) دراز، محمد عبدالله: الدين (بحوث ممهدة لتاريخ الأديان) مطبعة السعادة – القاهرة،1969م، ص25-26.
3) The Ency ISLam London (1965) Vol, 11, pp293-295.
4) جواد علي: المفصل، مرجع سابق، (7/6).
5) جواد علي: المفصل، مرجع سابق ، (322/6-323).
6) جواد علي: المصطلحات الزراعية والري في كتابات المسند، مجلة الحكمة، صنعاء، 1988م، ص25.
7) منقوش ثريا: دولة معين، الكويت، 1976م، ص168. لمزيد أنظر النقوش:
Ry 4626/2, CIH541/64, CIH541/49, Ry 506/6, Ja1028/116.
8) جواد علي: المفصل، مرجع سابق، (28/6).

من ثم تحدد علاقة الإنسان وتصرفاته تجاه القوي التي يؤمن بها أولاً، ومن ثم تجاه الطبيعة والمجتمع الذي يعيش فيه، أما المشاعر الدينية أو الأمزجة، فتكون الرابطة العاطفية إزاء تلك القوى. وهذه المشاعر متولدة، وليست موجوده سلفًا بصورة فطرية طبيعية كما يدعي اللاهوتيون.

كما تمثل الممارسة الطقوسية شكل العلاقة في وجهها العملي بين الإنسان والقوى التي يقدسها، وهي الممارسة؛ إذ تلعب دورًا مهمًا في تثبيت تلك التصورات الدينية وترسيخها في وعي المتدينين، كما تلبي هذه الطقوس حاجات غير دينية أيضًا، مثل حاجة الإنسان للاجتماع بالآخرين، وتبادل الآراء معهم بشأن أمور الحياة الدنيوية الأخرى. وفي البدء قبل ظهور الطبقات، كانت التصورات الدينية بمثابة تصورات أسطورية بدائية في مستوى تلك الأشكال البدائية من الأديان السائدة آنذاك المرتبطة بها، ولم ترق إلى مستوى الوعي النظري المجرد إلا مع ظهور الطبقات والمجتمعات الطبقية. ولقد عرفنا أن الدين قد نشأ منذ تكون المجتمعات المشاعية البدائية، كنتاج للظروف الاجتماعية ذاتها، وكان آنذاك عبارة عن تصورات وآراء وأفكار أولية، وبحكم محدودية معارفهم المحدودة بحدود هذه العلاقة: علاقة إنتاج طبيعية وأدوات عمل بدائية، وبحكم ذلك لم يستطيعوا تعليل الظواهر الطبيعية المختلفة والمحيطة بهم وفهمها، كالرعد، والبرق، والرياح، والعواصف والأمطار...إلخ وأسباب الحياة، والموت، الشر، والخير، العافية والمرض، وما إلى ذلك من الظواهر والأسباب.

أرجعوا كل ذلك إلى قوى غيبية غريبة عنهم وموجودة خارجهم (الأرواح، الآلهة، الملائكة، والشياطين، وغيرها)، وعلى هذا النحو بالذات نشأت الآلهة الأولى. إنَّ فكرة الألوهية قد مرت في مراحل من الوثنية عديدة، فكانت البداية بعبادة الوثن مباشرة، ثم بعبادة الوثن المجسد، ممزوجة بأفكار تجردت عن المادية شيئًا فشيئًا، ودارت حول الخير العام، والدعوة إلى مسلك خلقي يتدرج نحو العلو شيئًا فشيئًا.

بدأ الإنسان يؤمن بإله يقيه شر الرياح والرعود، أو يجلب له المطر، ويحفظ له زرعه، وقطعان ماشيته، ويحمي له أطفاله من المرض والموت. وقد كان هذا الإله محدود النفوذ لا يتجاوز القبيلة، بل إن القبيلة الواحدة كانت تؤمن بآلهات عدة. بل لكل بطن أو فخذ من القبيلة إله خاص به، وقد يكون بينه وبين إله القبيلة شبه في المظهر العام، فالغرض منها كان تحقيق أغراض القبيلة أو أجزاء من القبيلة تتصل بالحياة اليومية، من توفير الطعام وتكثير الماشية، وري الأرض، وصيد الأسماك، أو الطيور والحيوانات.

كان تنافس القبائل على موارد الرزق هذه شديدًا، وكانت المعارك تقع بسببه، فكان من الصعب أن يكون لهذه القبائل المتنافسة إله واحد يظلها جميعًا، ويحقق لها مصالحها كلها، فقد كانت مصالحها متعارضة لا سبيل إلى التوفيق بينها، ولكن حين كتب الفوز والغلبة لبعض القبائل الكبيرة على ما عداها، فرضت على القبائل المغلوبة آلهتها، عباداتها وطقوس دينها، ولم يلبث هذا النصر أن أُتبع بنصر آخر، حتى وإن دان الإقليم كله لسلطان قبيلة واحدة، وإلى إله واحد لهذه القبيلة وعقيدتها، ومراسيم دينها، وعرف الإله الواحد للمنطقة، ثم أتسع سلطان هذه القبيلة بعد أن استحالت إلى دولة، فانتقلت ثقافتها، ومنها فلسفتها الدينية، آلهتها إلى الدول المغلوبة "فعرف الناس لأول مرة، و"بسبب

سياسي وعسكري بحث الإله الذي يظل بظله شعوبًا اختلفت عاداتها، وثقافتها، جنسها ولغاتها"[1]، وهذه الآلهة التي اتخذت لها في سير التطور الديني صورة قوى خارج العالم، ومن ثم نشأ مع تطور الفكر الديني، مفهوم الإله الواحد بدلاً من الآلهة متعددة الوجوه التي لها سلطان محدود.

ولم يكن الدين في المجتمع المشاعي البدائي، نظامًا أو نسقًا من الإيديولوجية، بل هو شكل جنيني للوعي الاجتماعي المتمثل في تلك التصورات والمعتقدات الأسطورية البدائية الساذجة، وتلك الأعمال الطقوسية الملتصقة بها، كالصلوات، وشعائر العبادة والتقديس الأخرى، التي كانت تجري في أماكن محددة أطلق عليها فيما بعد بالمعابد.

البحث:

المعابـــــد:

درج الناس على تخصيص مكان معين يتخذونه مقامًا للإله، يطلق عليه (معبد) يؤدون فيه شعائرهم التعبدية، ويتقربون فيه إلى الإله الخالق، وقد أطلقوا على هذه الأمكنة أسماء اختلفت باختلاف لغاتهم وبيئاتهم، وربما طبيعة شعائرهم وعباداتهم أيضًا. ومن تلك الأسماء (الصلاة، التقديس، والحج)، ولذلك أصبحت المعابد مكونًا أساسيًا من مكونات الحياة الدينية في العربية الجنوبية (اليمن)؛ لأنها المكان الذي يؤدون الناس فيه مناسك شعائرهم التعبدية وممارسة الطقوس الدينية الأخرى، بهدف التقرب إلى الإله "وتدل لفظة معبد على مكان العبادة"[2]، بل كانت المعابد هي أماكن وجود الآلهة، وتمثل المكانة المقدسة لكل الأتباع، وكانت المصطلحات الدالة على المعبد التي جاءت في خط المسند، قد تعددت معانيها، ويمكن أن نجملها بالآتي:

لفظة مكربن (𐩣𐩱𐩲𐩨)، ووردت في النقوش عبارة مكرب يعوق (𐩱𐩲𐩨) "وتعني معبد يعوق"[3]، وأحيانًا تأتي لفظة مكرب بمعنى "دار ندوة، كنيسة، بيعة معبد"[4]، وبالمصادفة فقد تم العثور "على نفس هذه التسمية في مملكة أكسوم"[5]، كما جاءت في خط المسند لفظة (أحرم) (𐩠𐩲𐩧𐩺) و(حرم) (𐩲𐩧𐩺) وتعني (حرم) في المعجم السبئي: (فرض وقيد)، في حين جاءت في ترجمة ريكمانس Ry4176/6-9 وجام JA723 بمعنى أحرم (في الحج)، أما لفظة (حرم) (𐩲𐩧𐩺)، فقد جاءت في النقوش الموسومة RES4945/16+4233/5+JA2116/8.

كما جاءت لفظة معبد تحت مسمى (هجرم) (𐩣𐩲𐩧𐩺)، وكلتا اللفظتين تعنيان (حرم) و(حظر)، أما في النقش Ry4176/9، فقد جاءت لفظة (تحرم) (𐩲𐩧𐩹𐩺) وتعني تحريم، في حين وردت في

1) فتحي رضوان: الإسلام والإنسان المعاصر، دار المعارف، القاهرة، 1975م، ص69-70.
2) الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، القاهرة، الطبعة السادسة، 1926م، (270/1).
الثعالبي: فقه اللغة، تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة، (د.ط) 1938م، ص305.
ابن منظور: محمد بن مكرم (ت11هـ): لسان العرب، دار صادر – بيروت، 1956م، مج3، ص226.
حسن، عباس: النحو الوافي – القاهرة، 1963م، (271/3).
3) طه باقر: حول المعابد العراقية القديمة، راجع: معابد العراق القديمة، مجلة سومر مج3 – بغداد، 1947م.
4) للمزيد راجع: مهدي علي محمد: دور المعبد في المجتمع العراقي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – بغداد، 1975م.
5) يحيى، لطفي عبدالوهاب: العرب في العصور القديمة، دار النهضة العربية، ط2، بيروت، 1979م، ص393.

النقشين CIH563+956/4 لفظتان: (𐩣𐩲𐩧) و(𐩨𐩣𐩲𐩧) بمعنى حرم و(حرمت) بمعنى نجاسة شرعية، وفي النقش CIH523/3 وردت لفظة (حرمو) ويقصد بها مدة إحرام، ولربما يحصل هذا الإحرام في أثناء مدة الحج، أو تحريم بعض الأشياء على الأتباع للمعبود، ويعني أن ينهي عن فعلها.

وإذا ما أمعنا النظر في لفظتي (أحرم) (𐩣𐩲𐩧𐩺) و(محرم) (𐩣𐩲𐩧𐩨) الواردتين في النقوش الموسومة JA517/18، CIH537+RES4919/4 اللتين تعنيان مسكن ملك، دار مُلك، و"اللفظتان (محرم) (𐩣𐩲𐩧𐩨) و(محرت) (𐩨𐩲𐩧𐩨) الواردتان في النقشين الموسومين JA629/28، CIH323/5 بمعنى حرم"[1].

إن تعدد الألفاظ واختلاف المعاني الواردة في النقوش العربية الجنوبية (اليمن)، حول تسمية المعبد يقودنا ذلك إلى الاستنتاج مفاده تعظيم، وتحميد الآلهة، وإدراك أهمية وقدسية الحرم عند أهل اليمن القدماء.

وما تزال هذه اللفظة معروفة في اليمن إلى يومنا، كقولهم (محرم بلقيس) بمعنى (معبد بلقيس)، في حين لفظة معبد كانت شائعة بين عرب الشمال بمعنى بيت (𐩱𐩡𐩣)، ففي الأكدية جاءت (بيت أيل) وتعني بيت الإله. أما في العربية الجنوبية، فقد جاءت بألفاظ متعددة: بت (𐩣𐩱) وبيت (𐩱𐩡𐩣) وأبت (𐩣𐩱𐩺)، وتتجلى قدسية المعابد من خلال ثلاثة محاور جوهرية، هي:

المحور الأول:

نفوذ المعابد:

ويمكن للبحث إبراز نفوذ المعابد من خلال ما يأتي:

1- المال:

نجد أن المعبد امتلك أراضي زراعية (اقطاعيات) عن طريق أراضي الفتوح، التي كانت توهب للمعابد، أو الأراضي المستصلحة بعمل السخرة، أو الأراضي الموقوفة من قبل المؤمنين لصالح المعابد، أو الأراضي المشتراه، أو عن طريق هبات الملوك، فالملوك كانوا يستقطعون جزءًا من الأراضي، التي يتم الاستيلاء عليها في حالات الحروب "لصالح الإله المنتصر"[2]، راجع النقش الموسوم (حدقان) الذي ينص على إقرار بهبة من الأراضي، التي قدمها للإله (تالب) (𐩲𐩵𐩺𐩨) "التي أصبحت ملكًا للمعبد"[3]. وقد أهديت للمعابد أراضي زراعية تشمل "على مزارع النخيل والعنب، وغيرها ومنشآت الري وأحواض مياه وقنوات"[4]، وكان يتم استغلال أراضي المعابد ومزارعها أساسًا عن طريق تأجيرها للعشائر والقبائل والأفراد مقابل جزء من المحاصيل. ولا يستبعد أنها كانت تؤجر "لسادات الأسر القريبة من المعبد لاستغلالها"[5].

---

1) Sabaic: Dictionary: p. 70-71.

2) رودوكاناكيس: الحياة العامة من كتاب التاريخ العربي القديم، مرجع سابق، ص147.

3) رودوكاناكيس: الحياة العامة من كتاب التاريخ العربي القديم، مرجع سابق، ص147.

4) سلطان أحمد، زيد: تاريخ اليمن القديم، مرجع سابق، ص44.

5) ريكمانز، ج: السماء والأرض في نقوش جنوب الجزيرة، ترجمة خالد العسلي، مجلة العرب، مج7، ج20، الرياض، 1392هـ، ص102.

وقد ورد عقد الإيجار في لغة المسند "(𐩣𐩥𐩧) بمعنى (وقف)"[1]، وجاء في المسند العبارة الآتية: (𐩥𐩧 𐩲𐩺𐩵 𐩧𐩨 𐩴𐩲𐩣𐩺𐩧 𐩱𐩲𐩴𐩧 𐩠𐩧𐩲𐩨 𐩥𐩧𐩲𐩴 𐩺𐩧𐩵) بما معناه قدم شخص يدعى وهيب للإله ذي سمي وقف. كما نجد أملاك الإله (المقه) من الأراضي في قبيلة (بكيل)، كانت تقوم بزراعتها عشيرة (مرثد). ويبدو أن المعابد قد جنت موارد مالية كبيرة من أملاكها، وهو عبارة عن عوائد مالية من أراضيها، فضلًا عن نسبة العُشر، وهي ضريبة تفرض على الإنسان تجاه الآلهة وتقدم إلى المعبد، ثم صارت تفرض على تجارة اللبان والمر، والمحاصيل الزراعية، والثروة الحيوانية، وضريبة الميراث، وكانت تفرض حصة من ميراث المتوفى من أراضٍ ومبانٍ وأموال.

كما ظهرت ضريبة المشتريات، وربما كانت تأخذ على الأسواق التجارية، وعلى البضائع التجارية التي يتم تبادلها، وربما تفرض على التجار الأجانب، الذين يأتون لليمن لممارسة البيع والشراء، كما فرضت ضريبة المرور، ونعتقد أنها تعني تجارة (الترانزيت)، وكانت تفرض على السفن أو القوافل التجارية؛ لأن معظم المعابد كانت تبنى على الطرق التجارية، وبالقرب من الأسواق، التي يتم فيها المبادلات التجارية، وقيل كانت تقدم كهدية للإله، ولكن في الحقيقة كانت فرضًا واجبًا دفعه. وهناك بعض الضرائب تدفع تعويضًا لإعفاء دافعيها من أعمال السخرة؛ حيث كانت القبائل تسخرها للمعابد بأمر إلهي في إنجاز المباني العامة، "ومنها المعابد وفي حالة عدم مشاركتها في السخرة تحسب عليهم بوصفها ضرائب تدفع للمعبد"[2].

كما أن هناك "ضريبة أخرى كانت تقدم للإله كهدية"[3]، وكانت هذه الضريبة تدفع بموجب أمر ملكي يصدره الملك، مثال: أصدر الملك (شهرهلل) أمرًا ملكيًا بجابية الضرائب لمعبد "الإله (𐩢𐩣𐩱) حطب، و(𐩲𐩣𐩨) صاف، و(𐩺𐩱𐩣) أنبي"[4]، وكانت تورد تلك الأموال إلى المعبد، ومنها ينفق على الكهنة وبناء المعابد، وترسيمها والإنفاق على بعض المشاريع العامة، مثل: الطرق، والسدود، وقنوات الري، وبناء الحصون والقلاع والمدن. وبذلك لعبت المعابد دورًا مهمًا في الحياتين الاقتصادية – الاجتماعية في جنوب الجزيرة العربية، ومن ثم تطلب الإلمام "بعلم الحساب للتدقيق في الأرقام الخاصة بالممتلكات العائدة للمعبد"[5].

2- **السلطة**:

لقد لعبت المعابد دورًا مهمًا ليس في الحياة السياسية، بل في إدارة شؤون سلطة الدولة، خاصة في وضع التشريعات والقوانين، التي اعتقد أهل اليمن أنه عمل موصى به من قبل الآلهة. وكان الهدف من تلك التشريعات، تنظيم حياة الناس، وتحقيق العدل والمساواة، والحفاظ على حقوق المواطنين في مجتمع المعبد، ومن يخالف القانون "كمن يتعمد في مخالفة أحكام وأوامر الآلهة"[6]، ولذا فقد كان للمعبد مكانة مهمة، يتم حفظ الوثائق الخاصة بالتشريعات والقوانين، والقرارات التي تصدرها المحاكم، وقرارات الأسر الملكية، بل كانت سلطة المعبد جزءًا من سلطة الدولة، حتى إن

1) رودوكاناكيس: الحياة العامة من كتاب التاريخ العربي القديم، مرجع سابق، ص148.
2) رودوكاناكيس: الحياة العامة من كتاب التاريخ العربي القديم، مرجع سابق، ص149.
3) رودوكاناكيس: الحياة العامة من كتاب التاريخ العربي القديم، مرجع سابق، ص149.
4) منقوش، ثريا: تاريخ الآلهة، مرجع سابق، ص28.
5) مقبل، سيف علي: حضارة وثقافة اليمن، ص87.
6) رودوكاناكيس: الحياة العامة في كتاب التاريخ العربي القديم، مرجع سابق، ص149.

الملك كان أكثر تعاطفًا تجاه المعبد والدين معًا، فالملك حاكم، ووردت لفظة (مقرب)، التي عرفت في النصوص (مكرب)، وتعني أقرب الناس إلى الآلهة، أو المقرب للآلهة، ومن هنا جاءت لفظة "(مكربة) إلى المكان إلى الله"[1]، ومكرب هو حاكم ديني ودنيوي في المراحل الأولى من تاريخ ممالك اليمن قديم، وفي مرحلة الملوك أصبح هناك حاكم دنيوي وأتخذ له رجلًا ثانيًا يهتم بالحياة الدينية سمي بالكاهن؛ حيث كانت سلطة المعبد تفرض على كل الجرائم التي تخص المعبد، وهو الذي يتولى القضاء فيها، وجاء في النقش الموسوم (CIH522) لفظة (𐩣𐩨𐩺𐩲)، بمعنى الوثن للمعبد؛ أي: الحد قد تهدم، ولم يستطع التوصل إلى فاعله، عوقبت القبيلة التي تعبد هذا الإله.

وجاء في النقش الموسوم (CIH398) من عهد الملك (إل يشرح يحضب)، ما نصه أنه "إعفاء عن سيد (عبد)؛ لأنه قام بسرقة معبد المقه أيام الحروب في حين نجد في النقشين الموسومين (CIH602+RES2859)، ما نصه "أن المعبد قرر تحريم تقبل القرابين من رجل اسمه (عبد) وأن من يؤديه مصيره النفي"[2]، وهذا يدل على مدى قوة سلطة المعبد، التي تستطيع إلغاء قرار سلطة الدولة التي أصدرها الملك الذي يمثل الدولة. كما نلاحظ في النقش الموسوم (RES4176/12)، الذي جاء فيه أوامر وأحكام صدرت بحق رجلين قتلا (عبدًا)، قضى المعبد "بدفعه (100 𐩧𐩣𐩵) 100 دعت"[3]، وفي النقش (CIH152=CIH548) جاء فيه ما نصه أن ينظم سلوك الأفراد في مجتمع المعبد (محرم)، يدخلون ويخرجون منه كما يشاؤون، وهذا يبين لنا مدى قوة النفوذ الديني عند عرب الجنوب، فضلًا عن أن سلطة المعبد القوية في الحياة الدينية والاقتصادية والتشريعية، وقدرتها على توفير الموارد الضرورية للمعبد، ورجال الدين الذين يخدمون المعبد.

3- **البناء**:

وجدت مشيدات ذات طبيعة أخرى ربما تحمل "صفة عشائرية، أسرية، بيت، ضيعة معبد"[4]، ويحتمل هي الأخرى كانت مواضع للعبادة قد وجدت في كل بيت. بمعنى أن أماكن التعبد في البدء كانت أماكن عادية، فاعتقد الأقدمون أن الآلهة كانت تعيش فيها، مثل نبع ماء، صخرة أو شجرة، وبذلك تصبح المنطقة الواقعة حول ذلك المكان موقعًا مقدسًا.

وبدأ الشكل البدائي للمعبد "بتشييد جدران تحيط بالموقع المقدس، وكان هذا الشكل "مميزًا في البداية لمبعد (أوام) في مأرب ومعبد (المقه) في صرواح والمساجد"[5]، وهكذا أصبح المعبد هو الكعبة، المسجد، البيت، المحرم والمسكن، كقول حاتم الطائي: "(أرى المال عند الباخلين المسكين معبدًا)"[6]، تشبهًا بسكن الإنسان "والاعتقاد بأن للآلهة بيوتًا تسكن فيها"[1]، وهكذا أصبح لهذا

1) منقوش، ثريا: التوحيد في تطوره التاريخي، مرجع سابق، ص85. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، (400/6).
2) Grohmann: op. cit. p.249.
3) جواد علي: مقومات الدولة، مرجع سابق، ص67.
4) Sabaic: Dictionary: p. 34.
5) ج، م، باور – أ. لوندين: تاريخ اليمن القديم، جنوب الجزيرة العربية في أقدم عصورها: ترجمة أسامه أحمد، الطبعة الأولى 1984م، دار الهمداني – المعلاء عدن، ص67.
6) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت321هـ): الاشتقاق، تحقيق عبدالسلام هارون، مطبعة السنة المحمدية، مصر، 1958م، ص11. راجع: **ابن منظور**: لسان العرب، مرجع سابق، (665/2).

المكان قدسيته الخاصة عند الناس جمعاء، في ما بعد صارت مباني المعابد أكثر تعقيدًا من ذي قبل "فقد نشأت الأعمدة عند المدخل، و"شيدت الصالات داخل السور، وأحيط المحراب بعدد من الأعمدة لتفصله عن بقية الصالات"[2].

أصبحت المعابد عند العرب نوعين: (المحجات – المعبد)؛ حيث كانت المحجات وهي أكبر حجمًا؛ فيقوم الأتباع بزيارتها، أو يحجون إليها في مواسم محددة، ومكانتها أعلى من مكانة المعبد الصغير الحجم "الذي يشيد لتأدية الطقوس الدينية اليومية والأسبوعية"[3]، وتختلف المعابد من حيث الشكل حسب البيئة، فأهل الصحاري كانت معابدهم بسيطة على شكل خيمة مقدسة، يُسهل نقلها من مكان إلى آخر تبعًا لبيئتهم المعيشية القائمة على الترحال وراء الماء والكلاء، عكس معابد سكان المدن المستقرين في مدنهم الثابتة، ويتم بناؤها بالأحجار الصلبة وتزينها الأعمدة من الداخل، ويشيد في منتصف المعبد ما يسمى (قدس الأقداس)، أي المكان الذي يوضع فيه الإله (المعبود)، وأمامه يقام حوض من الحجر البرونزي يملئ بالماء الخاص بالنظافة الطقوسية.

كما يتفنن في بنائها وزخرفتها بالرسومات والنقوش التي تصور الحيوانات المقدسة، كما تغطى "الأعمدة بالنقوش المكرسة للمعبود ولمباركة إتمام عملية البناء"[4]؛ حيث نجد أن عرب الجنوب كانوا يشيدون معابدهم في قمم الجبال، مثل "معبد أوام (𐩱𐩣𐩧𐩺 𐩣𐩵𐩲𐩱) في الو (𐩧𐩵𐩲𐩺)[5]، وكان الملوك اليمنيون يحرصون على بناء المعابد وترميمها بشكل دوري، مما يدل على الوازع الديني لديهم، كما يدل "على المسؤولية الدينية للملك تجاه الشعب"[6].

ولم تقتصر المعابد على عرب الجنوب، ولكن انتشرت المعابد في العصور القديمة على نطاق واسع بين شعوب منطقة الشرق الأدنى القديم، فقد بينت لنا الدراسات الدينية لشعوب الشرق الأدنى وجود معابد في كل من العراق، مصر الفرعونية، إيران، وكان لكل معبد من هذه المعابد تصاميمه الخاصة، التي تتناسب مع معتقد ومزاج ونفسية الأتباع "إلا أن الكثير من المعابد يقوم بتشييدها العامة، تبركًا وتقربًا للآلهة، و"تسمى بأسمائهم في أكثر الأحيان"[7]، ودواعي بناء هذه المعابد هي الاستخدامات التي كانت تمارس في هذه المعابد، مثل "إقامة الاحتفالات الدينية والمآدب والولائم المرتبطة بالطقوس، والشعائر التي كانت تقام في المعبد"[8].

---

1) بلياييف: العرب والإسلام والخلافة العربية، ترجمة: أنيس فريحة، الدار المتحدة للنشر – بيروت (1937م)، ص116.
2) ج، م، باور: تاريخ اليمن القديم، مرجع سابق، ص67.
3) جواد علي: المفصل، مرجع سابق، (403/6).
4) ج. م باور: تاريخ اليمن القديم، مرجع سابق، ص67-68.
5) جواد علي: المفصل، مرجع سابق، (405/6).
6) للتفصيل راجع: wissmann, vonH .: Hofner, M.: Beitrage Zurhistoric hengeographie des vorislami schensudarabien., Wiesbaden 1953.p.169. **الثور**، عبدالله أحمد: هذه اليمن، مطبعة المدني، صنعاء (1969م)، ص129-131.**البكري**: منذر عبدالكريم: دراسات اليمن قبل الإسلام، مجلة المؤرخ العربي، عدد4، بغداد، 1979م، ص226-239. **أحمد فخري**: اليمن ماضيها وحاضرها، معهد الدراسات العربية والعالمية، جامعة الدول العربية – القاهرة، 1957م، ص262. **ثريا منقوش**: تاريخ الآلهة اليمنية والتوحيد الإلهي، مجلة المؤرخ، عدد9، بغداد، 1987م، ص16-61. **مهران**، محمد بيومي: دراسات في تاريخ العرب القديم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض، 1977م، ص281.
7) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، مرجع سابق، (403/1).
8) العريقي، منير عبدالجليل، الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2002م، ص201.

وتدلنا أشكال المعابد وهندستها على مدى تطور الإنسان وحضارته، ودرجة تفكيره، فهي "نموذج معبر عن نفسية الجماعة والفرد"[1]، ولهذا نرى المعماري قد تفنن في بناء المعابد على مدى العصور القديمة، والعناية في "تزويق الجدران والأعمدة والسقوف وزخرفتها[2]، مما يعني اهتمام اليمنيين القدماء بالحياة الدينية، وكانت تقام هذه المعابد "وفقًا للظروف المكانية من جهة والاتصال الحضاري بما يحيط به"[3] من جهة أخرى؛ حيث نرى المعابد تختلف بعضها عن بعض ليس فقط بالأساسات، ولكن حتى في مواد البناء فقد "كان السبئيون متفوقين في فن البناء وعبقريين في المعمار عامة"[4].

ويتبين لنا أن معابد اليمن قد استخدم في بنائها الحجارة الضخمة المقطعة من الصخور من أجل "بناء الجدران والأرض والأعمدة"[5]؛ لأن البيئة اليمنية كانت زاخرة بالأحجار، وبخاصة "الجرانيت، والبازلت، والرخام"[6]، لهذا كانت معابد اليمن ضخمة وجميلة "لا تضاهيها المعابد التي أقيمت في شمال الجزيرة العربية"[7]؛ حيث اعتمد اليمنيون على الحجارة موادًا أساسية في بناء معابدهم، فقد وفَّرت جيولوجية اليمن للمعماري أنواعًا كثيرة من الأحجار، أهمها الحجر الجيري، والحجر الرملي، والجرانيت، البازلت، الرخام والمرمر، وتعد "من أهم المواد التي تؤثر في تطور العمارة"[8]، والبناء في اليمن القديم.

ومثل استخدامهم لهذه النوعية من مواد البناء بهدف إطالة عمر المباني بشكل عام، والدينية بشكل خاص. ويتضح لنا أن استخدام هذه الحجارة في المباني الدينية، قد ظهرت في أغلب المباني القديمة، وخاصة المعابد منها: معبد وعول صرواح المبني للإله مقه (𐩣𐩱𐩺-𐩦𐩲) في مملكة سبأ؛ "حيث قطعت وصقلت بعناية فائقة ونفذت بها الجدران"[9]، ولم يقف استخدام هذا الحجر في هذا المعبد فقط، بل إنه قد تعداه وجرى استخدامه في بناء معبد بران(𐩣𐩲𐩵 𐩤𐩨𐩣) "وخاصة الجدران، أعمدة الأروقة والبوابات"[10].

ويمكن القول إن هذه الأحجار لم تكن حكرًا في بناء المعابد السبئية، بل جرى استخدامها في مملكة معين، في معبد نكرح (𐩣𐩨𐩤 𐩤𐩨𐩣) إله الشمس في مدينة براقش، ومعبد الإله عشتر ذي رصفم (𐩣𐩱𐩺 𐩿𐩤 𐩵𐩧𐩵 𐩦𐩲𐩦) خارج مدينة نشن ومملكة حضرموت، بل في كل الممالك اليمنية

1) جواد علي: المفصل، مرجع سابق، (409/1).
2) جواد علي: المفصل، مرجع سابق، (409/1).
3) العريقي: الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم، مرجع سابق، ص201.
4) البكري، منذر عبدالكريم: دراسة في الميثولوجيا العربية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مج8، عدد20، الكويت، 1988م، ص102-136.
5) نلسن: الديانة العربية القديمة، من كتاب التاريخ العربي القديم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (لا-ت)، ص172-224.
6) جواد علي: المفصل، مرجع سابق، (409/6).
7) جروهمن: الناحية الأثرية لبلاد العربية الجنوبية، مرجع سابق، ص150-151.
8) الأكوع، محمد علي الحوالي: اليمن الخضراء مهد الحضارات، القاهرة، 1971م، ص220. **وجروهمن**، أدولف، البناء في اليمن القديم، مجلة اليمن الجديد، العدد(4)، صنعاء، 1988م، ص28.
9) Fakhry, Ahmed, An Archaeological Journey to Yemen. Op.cit, 1952, p.32.
10) Schmidt Jurgen, Fist Short Preliminary report on The Excavation of The German Archaeological institute at marie (un published) Goamm, Sana'a, 1988, p.3.

القديمة، وقد وردت هذه الأحجار في المعجم السبئي تحت تسمية (فمرتن) (𐩣𐩧𐩲𐩵𐩺) على سبيل المثال، وتعني حجر كلسي[1]، و"بلق وتعني حجر كلسي أيضًا"[2].

كما استخدم اللبن في الأعمال المعمارية، وقد كانت معظم تلك الاستخدامات في مملكة حضرموت، وإن كان قد شاع استخدامها في المدة السابقة في مملكة سبأ، وهي مادة اللبن الآجر، ودلت الاكتشافات الأثرية في معبد بران (𐩣𐩨𐩲𐩵 𐩤𐩱𐩺) على استخدامه بكثافة في المدة المتأخرة من تاريخ المعبد. وقد ورد الطوب (اللبن) بمعنى قوالب طين مجفف دون حرق في RES287/5، كما جاء بأن"... اللبنة التي يبنى بها، والجمع لبن... ومن العرب من يقول لبنةٌ ولبنٌ مثل لِبدة ولِبد "لَبَنَ الرجل اتخذ اللبن والملبن قالب اللبن"[3].

أما الملاط (القضاض)، فقد ورد في المعجم السبئي بمعناه "جصص، ملط، كلس، جير، وتجصيص تطين تمليط"[4]، ويعني يتم وضعه بين حجارة البناء لزيادة تماسكها بعضها ببعض، فضلًا عن ذلك يتم طلاء واجهة الجدران، خزانات المياه، السدود، البرك، وقنوات الري، لضمان عدم تسرب المياه "وهو يشبه الأسمنت في وقتنا الحالي"[5]، كما استخدم المعماري المعادن في تشييد المباني والسدود، ومن أهم تلك المعادن هما: **النحاس، والرصاص؛** إذ يستخدمان في عملية الربط بين الحجر والأخرى، أو سد الفجوات في السدود والمعابد القديمة؛ حيث نلاحظ ذلك في بوابة جدران التصريف في سد مأرب بنيت بحجارة منحوتة، وصلت ببعضها بواسطة أوتاد "من الرصاص على شكل قضبان تلصق بين حجرين"[6].

أما مادة النحاس، فقد تعددت استخداماتها، ففي الوقت الذي تستخدم مع مواد أخرى في تقوية بناء السدود وتمتينها، فهو يتداخل ضمن سبائك أخرى مثل سبيكة البرونز، التي استخدمت في اليمن القديم بشكل واسع خاصة في طلاء أرضيات أحواض مياه المعابد، مثل حوض معبد الإله ال مقه (𐩣𐩺𐩲 𐩱𐩧 𐩺𐩱𐩧𐩧 𐩤𐩱𐩺) أوام في مأرب، كما استخدم في تثبيت الأعمدة في المعابد، وصب النقوش النذرية البرونزية التي "كانت على شكل صفائح وتعلق في المعابد"[7].

كما استخدم المعماري الأخشاب التي تعد من أهم مواد البناء المستخدمة على نطاق واسع في العمارة اليمنية القديمة، لتوفرها بكميات كبيرة في البيئة اليمنية، وذكرت الأخشاب في النقوش "بصيغتي (عض) – (عضم) أسم خشب RES2789/2"[8]، وقد استخدمت في كل ممالك اليمن القديم سواء أكان في المباني الدينية أم المدنية، ويفضل من الأخشاب أشجار السدر (العلب)؛ لأنها

1) البيستون: المعجم السبئي، مرجع سابق، ص87.
2) الأغبري، فهمي علي: معجم الألفاظ المعمارية في نقوش المسند، إصدارات تريم عاصمة الثقافة الإسلامية، 2010م، ص31. **البيستون**: المعجم السبئي، مرجع سابق، ص29.
3) الأغبري، فهمي علي: معجم الألفاظ المعمارية في نقوش المسند، مرجع سابق، ص175.
4) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر (666هـ): مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، 1979م، ص306.
5) البيستون: المعجم السبئي، مرجع سابق، ص52.
6) العريقي: الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم، مرجع سابق، ص146.
7) العريقي: الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم، مرجع سابق، ص147.
8) الأغبري: معجم الألفاظ المعمارية في نقوش المسند، مرجع سابق، 143.

تتصف بالقوة والصلابة وقدرتها على تحمل الأثقال، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم؛ حيث قال تعالى: ﴿**وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ**﴾[1].

أما تصاميم المعابد العربية، فقد كانت مكعبة، مربعة، مستطيلة أو بيضاوية. وقد تبين لنا أن النوع المكعب كان أكثر انتشارًا عند عرب الشمال، العراق وسوريا. في حين عثر على معبد واحد في (خورروي) وهو ميناء حضرمي، ويحلو لبعض الباحثين القول إنه في ماجان (عمان)، الذي كشفت عنه البعثة الأمريكية وماجان (عمان)، وقتها كانت "تابعة للمملكة الحضرمية"[2]، وقد بذل أهل الجنوب العناية الفائقة في بناء المعابد على مدى القرون القديمة من جهة، أو من حيث تفاصيل البناء ذاته من جهة أخرى، وهذا يدل على مدى اهتمام عرب الجنوب بالحياة الدينية.

ونرى أن هذه الظاهرة استرعت أنظار عدد من الكتاب الكلاسيكيين، منهم (بلبنبوس) الروماني الذي قال إن: Gebanitae (القتبانيين)، كانت إحدى مدنهم، وهي Thomna (تمنع) تضم 65 معبدًا، وفي Sabota (شبوة) عاصمة Atrammitae (الحضرميين)، وتضم 60 معبدًا. والحقيقة لم يكن الأمر قاصرًا على هذا العدد الهائل من المعابد، بل يبدو أن شيئًا غير قليل من البذخ كان ظاهرًا في بناء هذه المعابد؛ إذ كان هذا يصل إلى مستوى ما يبذل في بناء القصور الملكية ذاتها، كما نستنتج من حديث الجغرافي اليوناني (استرابون)، الذي تحدث عن مدن العربية الجنوبية (اليمن) "التي يزينها جمال المعابد والقصور الملكية"[3]، وهذه الظاهرة في حد ذاتها تعد من ظواهر حياة الاستقرار التي كانت تسود المناطق ذات الاقتصاد الزراعي المنظم، "إلا أن Graomann يرى في ذلك مبالغ به"[4].

ويرى الباحثون أن المعابد في اليمن القديم قد تنوعت، وتعددت في أشكالها وهندستها، فالشكل المستطيل قد مثل الطراز الأول المبكر؛ حيث كان ترتيب الغرف فيه أكثر تعقيدًا، وفي الغالب يوجد فيه فناء ضخم من ثلاث مقصورات بالخلف، ويحيط بالفناء ثلاثة أروقة بها ستة أعمدة إلى ثمانية أعمدة مربعة مع تيجان مربعة، والشيء المؤكد أن هناك عملية مستمرة في تصميم المعابد المستطيلة وبنائها، مع اختلافات أخرى. وقد استمر هذا الطراز حتى القرن الأول قبل الميلاد، وأبرزها معبد إله الشمس "الذي تم العثور عليه في شمال صنعاء في حقة همدان"[5]. كما وجدت المعابد ذات الشكل المربع مثل "معبد ريبون في حضرموت"[6].

غير أن أشهر الأبنية الدينية في اليمن هو "الطراز البيضاوي الشكل"[7]، وهو الغالب في أنماط المعابد في الحضارة اليمنية القديمة، وبغض النظر عن التباينات والاختلافات بين المعابد من حيث

---

1) القرآن الكريم: سورة سبأ، الآية 16.

2) وندلس، فلبيس: كنوز مدينة بلقيس، ترجمة: عمر الديراوي، دار العلم للملايين، بيروت، 1961م، ص371. **موسكاتي**، سيبنو: الحضارة السامية القديمة، ترجمة: يعقوب بكر، دار الكاتب العربي، القاهرة، (لا-ت)، ص198.

3) منقوش، ثريا: التوحيد في تطوره التاريخي، دار أزال، بيروت، الطبعة الثانية، 1981م، ص77. **لطفي** عبدالوهاب: تاريخ العرب القديم، مرجع سابق، ص392-393.

4) philby: Shebas. P.99-101, Grohmann: op.cit. p. 247. و**ندل فليبس**: كنوز مدينة بلقيس، مرجع سابق، ص180.

5) باسلامة، محمد عبدالله: شبام الغراس، دراسة تاريخية أثرية، دار الفكر المعاصر، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م، ص81.

6) باسلامة: شبام الغراس، مرجع سابق، ص81.

7) باسلامة: شبام الغراس، مرجع سابق، ص81.

تفاصيلها الداخلية، إلا أن ذلك لا يخل بالإطار المفهومي العام للمعبد. ومن أشهرها "معبد محرم بلقيس في مأرب"[1]، الذي عثرت عليه البعثة الأمريكية؛ إذ عدَّ "تاريخ بنائه يرجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد"[2]، وقد تأثرت المنطقة المحيطة بهذا الطراز المعماري للمعابد؛ حيث تم العثور في مملكة (أكسوم) على معبد بيضاوي على الطراز نفسه في مدينة (يحاء)، و"يحمل الاسم نفسه محرم بلقيس الأفريقي"[3]، ويذكر أن محرم بلقيس في بلاد اليمن "كان معبدًا للإله المقه"[4]، وقد تبين للآثاريين أن طول قطره الأكبر يبلغ 90 مترًا، وكان له سور كبير يبنى من صخور جميلة، سمكها ثلاثة أمتار وآثار أبراج، "ويبلغ ارتفاع السور فيه نحو تسعة أمتار ونصف المتر"[5]، وفي أعلى السور شريطان من الزخارف، "تتكون من مربعات بينهما فراع"[6]، وله بابان كبيران أحدهما في الجهة الشمالية الشرقية، والآخر في الجهة الشمالية الغربية، "وفي وسط البناء كانت تقوم الأعمدة"[7]؛ وهذه الأعمدة ربما كانت مربعة "أولها ثمانية أضلاع أو ستة عشر ضلعًا"[8] أو "تكون أسطوانية"[9].

كما يوجد في واجهة المعبد ثمانية أعمدة مربعة، ومدخل "من ثلاثة أبواب جنبًا إلى جنب تؤدي إلى رواق"[10].

وما يلفت الانتباه هو الاهتمام الواضح من قبل أهل اليمن في تزيين معابدهم بالتماثيل والنقوش التي تصور الحيوانات المقدسة، ومناظر ميثولوجية، مما جعلها تمتلئ بالأعمدة والنقوش المكرسة للمعبود، أو لمباركة إتمام عملية بناء المعبد. كما تظهر حوائطها المزينة والمزخرفة بنقوش قشرية بارزة، وكان يقوم مدخل المعبد ذو الأعمدة الضخمة المنحوتة من حجر واحد "بطول (7,5-8 متر) بلا رؤوس مطلية بأحد المعادن لتزيين سطحها الحجري"[11]، وقد تم العثور على رسومات

1) باسلامة: شبام الغراس، مرجع سابق، ص81، للتفاصيل عن المعابد وهندستها راجع: **فيليبس**: كنوز مدينة بلقيس، مرجع سابق، ص330,317,46,207,205,16.
رووكناكيس: الحياة العامة في الدول العربية الجنوبية من كتاب التاريخ العربي القديم، ص113-149. **أحمد فخري**: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مكتبة الأنجلو – القاهرة، 1958م، ص183,170,133. **شرف** الدين، أحمد حسين: اليمن عبر التاريخ، مطبعة السنة المحمدية، الطبعة الثانية، 1964م، مصر، ص116-122. **الثور**، عبدالله أحمد: هذه اليمن، مطبعة المدني – صنعاء، 1969م، ص202,243,238. **يوسف**، شريف: الكعبات المقدسة عند العرب قبل الإسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد29، بغداد، 1978م، ص188-218. **الحداد، محمد** يحيى: تاريخ اليمن السياسي، دار وهران، الطبعة الثانية – القاهرة، 1968م، ج1، ص93,83,79. **بافقيه، محمد** عبدالقادر: تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، 1973م، ص62-64.

2) Albright, f .p. Albert, Jamme, Science on mrch, ABronze Statue from Mareb, Yemen, The scientific monthly January 1953. P.33، فليبس: كنوز مدينة بلقيس، مرجع سابق، ص237.

3) Grohmann, A.: kulturge schichte des ALten orients (III,4) Arabien, Muenchen (1963). P. 172-176., Nielsen, D.: Die sethipoischen Goetter (ZDMG. Bd.66), Leipzig, 1912, p. 589.

4) جروهمن: الناحية الأثرية من كتاب التاريخ العربي القديم، مرجع سابق، ص155.

5) جروهمن: الناحية الأثرية من كتاب التاريخ العربي القديم، مرجع سابق، ص155.

6) جروهمن: الناحية الأثرية من كتاب التاريخ العربي القديم، مرجع سابق ، ص155.

7) Albright, op. cit. p33.

8) موسكاتي: الحضارة السامية، مرجع سابق، 198.

9) وندل فليبس: كنوز مدينة بلقيس، مرجع سابق، ص246.

10) موسكاتي: الحارة السامية، مرجع سابق، ص198.

11) جاكلين بيرن: الفن في جنوب الجزيرة العربية، دراسات يمنية، العددان (23-24)، يناير-يونيو، 1986م، مركز البحوث والدراسات – صنعاء، ص20.

وكتابات بالخط المسند عند مداخل المعابد، تسجل عليها التشريعات وانتصارات الدولة اليمنية، وهذا ما رأيناه في معبد (الهرم) (𐩣𐩧𐩺𐩲) في معين.

وانتشرت في المدن اليمنية المعابد الضخمة، التي تشهد على أن جزءًا كبيرًا من إمكانيات الدولة، قد تم حشدها بصورة رئيسة لبناء تلك المعابد وتشييدها، "وتأثيثها بأثمن الأثاث وأغلاها، وتزويدها بأجمل التحف وأثمنها، وفرشت أرضها بأجود أنواع المرمر، وزينت جدرانها بأنواع الصدف"[1]، وقد جاءت لفظة (صلم) (𐩤𐩵𐩲)، في أحد النقوش التي نشرها (جام) المحفوظة في متحف برلين، وهو عبارة عن تمثال من ذهب في صومعة الإله، "قد يكون ذلك رمزًا للإله أو حيوانًا مقدسًا له"[2]، وقد تباينت التفسيرات حول لفظة (مختن) (𐩤𐩧𐩨𐩣)؛ حيث يرى جواد علي أنها "تطلق على الغرفة التي توضع بها الأصنام"[3]، في حين يرى جروهمن أن لفظة (مختن) تطلق "على المكان الذي تحرق فيه (القرابين)"[4]، إلا أن ثريا منقوش - بالاستناد على نص النقش (Glaser1600) - ترى أن لفظة (مختن) "تطلق على موضع ذبح الذبائح المقدسة"[5]. كما ترد في النقش الموسوم (RES4708) لفظة (مصرب) (𐩢𐩧𐩣𐩨). ومسود (𐩦𐩧𐩣𐩨)، وتعني المكان الذي يحرق فيه الأخشاب العطرية لاعتقاد الأتباع للإله، بأن الآلهة تبتهج عندما تشم الروائح العطرية للمبخرة، وهي ميزة شائعة عند العرب عامة، كما هو الحال "عند العراقيين في عصر العُبيد"[6].

وكانت عملية التبخير من أهم شروط أداء فروض العبادة في المعابد، و"كان لابد من حرق البخور فيها"[7]، وجاءت تسمية المبخرة في لغة المسند "تحت لفظ (مقطر) (𐩣𐩨𐩫𐩲)"[8]، وتكون على شكل مكعب وقوائم مربعة قصيرة مع تجويف في الشكل المكعب، واسم العطر المبخر فيه[9]. وكانوا في بعض الأحيان يرسمون رموزًا وصورًا للحيوانات، وغالبًا تكون من الوعول[10]. وترد في خط المسند لفظة (مذبح) (𐩱𐩢𐩣𐩨)، كما في النقوش Ry24+RES610+3340+408.

وعرف موضع ذبح الذبائح المقدسة مفرد (مذبحم) (𐩤𐩱𐩢𐩣𐩨)، وهي المواضع التي تذبح عليها القرابين المقدسة؛ بمعنى ذبحن (𐩦𐩱𐩢𐩣) وذبحم (𐩤𐩱𐩢𐩣)، وقد تنوعت المذابح، فكان منها ما هو صغير، ومنها ما هو كبير، وهي التي كانت تذبح عليها الحيوانات الضخمة، وأطلق عليها في

1) منقوش، ثريا: التوحيد في تطوره التاريخي، مرجع سابق، ص77-78.
2) البكري، منذر عبدالكريم: دراسة في المثيولوجيا العربية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد2، مج8، الكويت، 1988م، ص124.
3) جواد علي: المفصل، مرجع سابق، (413/6).
4) Grohmann: op. cit. p.251.
5) منقوش، ثريا: التوحيد في تطوره التاريخي، مرجع سابق، ص77.
6) Grohmann: op. cit. p.248.
7) لويد سبينون: آثار بلاد الرافدين، ترجمة سامي الأحمد، دار الرشيد، بغداد، 1980م، ص48.
8) غالب عبده: عرض موجز لتاريخ الآثار اليمنية، مجلة دراسات يمنية، العدد (25-26) صنعاء، 1986م، ص154.
9) Grohmann: op. cit. p. 248
10) راجع: غالب عبده: عرض موجز لتاريخ الآثار اليمنية، مرجع سابق، ص154.

النقوش اسم "(𐩣𐩺𐩲𐩧 𐩧𐩵𐩠𐩣𐩧) مذبحة حردن"[1]، ومفردها الحرد، وتأتي في المعجم السبئي بما معناه "الأرض الذي يسقيها الإله"[2]، وقد ذكر (جروهمن) عددًا كبيرًا من المذابح، التي عثر عليها في اليمن أبرزها مذبح قدم للإله (سين) (𐩣𐩱𐩲)، وهو عبارة عن دكة مستطيلة حسنة التشذيب من مادة المرمر، بطول 16,4سم وعرض 17,94سم، مقعرة البطن قليلاً ولها مصبان. وفي الجهة المقابلة تم العثور على مذبح في مملكة (أكسوم) يماثل المذابح اليمنية، بطول 56سم وعرض 49سم، وفي أعلاه حوض محفور، وهو مسطح وله مصب ينساب منه "دم الأضحية المقدمة للإله إلى حوض تحته"[3]. وهناك مذابح خاصة بالقرابين السائلة أطلق عليها (مسلم) (𐩲𐩣𐩧) ويقصد بها "مذابح لسيل الدم فقط"[4]، وتسمى هذه الأنواع من مذابح قرابين الدم في اللغة المسندية (𐩧𐩣𐩨𐩲𐩧) منطقة[5].

والمذابح في مملكة أوسان اتخذت شكلاً مميزًا، كانت تنحت من مادة الرخام الأبيض؛ حيث تم العثور على مذبح منحوت من الرخام الأبيض محفوظ الآن في متحف الفن في فيينا. ويمكن القول إن مذابح اليمن القديم كانت تمتاز بأنها منحوتة من حجر واحد، أو قطعة واحدة من الرخام أو المرمر، وأغلب ما فيها زخارف الرموز للآلهة، والحيوانات الرمزية التي تقدم إليها القرابين على شكل ذبائح وبخور، يتم حرقه في المعبد، وأن ذبح الحيوانات يتم خارج المعبد أمام تماثيل حجرية. والمعترفون بذنوبهم كانوا يتطهرون في أماكن خاصة من المعبد، قبل أن يقدموا الشكر لآلهتهم عن طريق الانحناء والسجود، وبعد هذه المراسيم يقومون بتقديم الذبائح، وأن كثيرًا من الشعائر الدينية القديمة، قد "استمر العمل بها حتى في ما بعد ظهور الأديان السماوية التوحيدية"[6]، وكان للمعبد فناء خارجي يطلق عليه (مهرمن) (𐩧𐩨𐩲𐩧) و(من) (𐩲𐩨)، كما "وردت في النقش الموسوم CIH1379/6"[7].

المحور الثاني:

قدسية المعابد:

لا يمكن التحدث عن المعابد دون الإشارة إلى العبادات والشعائر الطقوسية، التي كانت تقام فيها، وكان لكل ديانة طقوسها، وعباداتها الخاصة بها، ففي اليمن لم يصل إلينا إلا الشيء اليسير منها، ربما يرجع ذلك إلى عدم العثور على كتابات، وتراتيل دينية، كما هو الحال في الديانات الأخرى، في مصر والعراق...إلخ من منطقة الشرق الأدنى القديم. والطقوس تعني حالة من الشعور واللاشعور، فهي تثير المشاعر العاطفية عند التابع نحو المتبوع، وتنعكس في مجموعة من

1) Grohmann: op. cit. p.247.
2) Sabaic Dictionary: p.70.
3) Grohmann: op. cit. p. 247.
4) Grohmann: op. cit. p. 247.
5) راجع عن معنى (منطقة) في اللغة العربية الفراهيدي، (436/7).
6) سلطان أحمد، زيد: تاريخ اليمن القديم، مجلة الكلمة، العددين (49-50)، يناير 1979م، صنعاء، ص68.
7) جواد علي: مقومات الدولة العربية قبل الإسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج38، ج2، بغداد، 1987م، ص53.

الاستهلالات، التي يقوم بها التابع ويقصد بها إرضاء المتبوع. كما نجد أن اليمنيين القدماء، قد عرفوا الطقوس الدينية بشكل عام، وقد تعددت تلك الطقوس، واتخذت أشكالًا متنوعة، وهي:

أولًا: طقوس الدخول المعابد:

هناك مجموعة من الشروط فرضتها الآلهة عند دخول المعبد، بهدف ممارسة الشعائر والطقوس الدينية، وهذه الشروط والواجبات تندرج تحت مفهوم أحكام العبادات وشروطها وهي:

1- **مراعاة حرمة المعبد**:

يصبح للمعبد قدسية خاصة لدى الأتباع نحو متبوعهم بوصفه بيت الإله، وقد عمل اليمنيون على بناء الأبنية الخاصة للمعابد، التي يعتقدون بأن المعبود يعيش فيها، ويقوم الكهنة بتلقي الهبات والهدايا والاستماع للدعاء، ويشيد في منتصف الصالة بناء صغير (قدس الأقداس)، وهو مخصص للمعبود نفسه، وأمامه يقام حوض من الحجر أو البرونز يمتلئ بالماء، الذي يتوجب على الزائرين الاغتسال قبل أداء الطقوس الدينية، ويشمل "غسل أجسامهم وملابسهم بالماء الخاص بالنظافة الطقوسية"[1]، وذلك لحرمة هذه البيوت، وكل من يخالف ذلك يعد آثمًا ويعاقب على فعله، وجاء في النقش الموسوم (GL1052) ما نصه أن رجلًا اتصل بامرأة، ثم دخل المعبد بملابسه التي كان يلبسها، حين فعل فعلته بها فيعد ذلك آثمًا، ودفع فدية عن أثمه إرضاء للآلهة، وفي (ربوتوار3956) ورد فيه: أن رجلًا دخل معبد الإله (ذي سموي) بملابس متسخة، فدفع "فدية عن فعلته "جزاء ما أرتكبه من إثم"[2].

2- مراعاة الطهارة:

هي خلاف الدنس[3]، ويعدها العرب ركنًا أساسيًا في تأدية الطقوس[4]؛ حيث كان العرب "يتجنبون الأكل مع الحائض ومشاربتها ومجالستها"[5]، ويعد الدم من المحرمات ليس في الديانة الوثنية في جنوب الجزيرة العربية، فحسب، وإنما قد شملت كل الديانات في العالم القديم كله، فالدم يعني النجاسة، وكانت "الحائض لا تدني من أصنامهم ولا تمسح بها"[6]، وبالغسل يستطيعون أن يزيلوا النجاسة عندهم سواء أكانت الجنابة من الحيض أم الدم.

ويذكر نقش عثر عليه في مأرب ما نصه: أن امرأة قدمت قربانًا للإله (ذو سمي) وهي حائض، فلزمت كفارة، وأخرى تضرعت للإله نفسه أن يغفر لها خطيئتها؛ حيث أخطأت بحق المعبد؛ لأنها ذهبت إليه وهي غير طاهرة؛ لأن القانون اليمني القديم يمنع دخول المرأة إلى المعبد، وهي نجسة، فإذا فعلت ذلك "عوقبت لخروجها على القانون"[7]، وقد تم العثور على نص (مصنوع من البرونز)، يحكي أن امرأة دخلت معبد الإله (ذو سمي) بثوب نجس وبالٍ، ثم ندمت على فعلتها وأنّبها ضميرها على ارتكابها هذا الخطأ، "فركعت وسجدت (صلاة)، وقدمت كفارة للإله راجية غفران

1) زيد، سلطان أحمد: تاريخ اليمن القديم، مرجع سابق، ص43.
2) الجرو، أسمهان سعيد: الديانة عند قدماء اليمنيين، دراسات يمنية، العدد (48)، أكتوبر، ديسمبر، 1992م، صنعاء، ص348.
3) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج6، ص406.
4) الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسين: مجمع البيان في تفسير القرآن، دار الفكر، الطبعة الثانية، بيروت، 1957م، (212/2).
5) الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد بن علي (816هـ): التعريفات، الدار التونسية للنشر – تونس، 1971م، ص75.
6) ابن الكلبي: الأصنام، مرجع سابق، ص32.
7) جواد علي: المدونات، مرجع سابق، ص222.

ذنبها"[1]، وفي النقش الموسوم (CIH506) ما نصه: أن امرأة اسمها (حلوزاد)، قد قدمت كفارة عن ابنتها المسماة (أبعلي) (𐩱𐩣𐩲𐩵)؛ لأنها استقت ماء من بئر (عدن)، وكانت ابنتها نجسة، ولم تذكر نوع النجاسة، ولعلها كانت "نجاسة الحيض التي تعد من المنجسات"[2]، ومن نقوش الاعتراف العلني النقش (كوربوس523)، وهناك عديد من النقوش تحمل المضمون نفسه، ولكن جاء في نص هذا النقش، الذي تقدم به (حرم بن ثوبان) للإله (ذي سموي) يعترف فيه عن خطاياه، وجميعها كانت جنسية، وتعد في نظر القانون الإلهي من الآثام التي "يستحق مرتكبها العقوبة الشديدة"[3]؛ حيث نص النقش على:

1- ح ر م/ب ن/ ث و ب ن/ ت ن ح ي/ و ت ن د ر/ ل ذ س م و ي/ ب ه ن/ ق ر ب/ م ر ا ت ن/ ب ح ر م و.
2- و م ل ث/ ح ي ض.
3- و ه ن/ ب ه أ/ ي ل ي/ ن ف س م/ و ه ن/ ب ه أ/ غ ر ط ه ر/ و ي أ ب/ م آ ك س و ت ه و/ ط ه ر.
4- و ه ن/ ا ن ث/ ح ي ض/ و ل و/ ي غ ت س ل.
5- و ه ن/ ن ض ح/ أ ك س و ت و/ و ه م ر/ ف ه ض ر ع/ و غ ن و/ و ي ح ل ن/ و ل ي ث و ب ن[4].

ويعني نص هذا النقش:

1) حرم بن ثوبان اعترف وكفر للإله (ذي سموي)؛ لأنه قارب امرأة في مدة الإحرام.
2) جامع (امرأة) حائض.
3) دخل على نفاس، وهو غير طاهر، وكذلك كسوته غير طاهرة.
4) لمس أنثى حائض، ولم يغتسل وكانت كسوته متسخة.

فهو "يتضرع للإله لقبول توبته والتكفير عن أخطائه"[5]، ونلاحظ الاعترافات العلنية ليست عند عرب الجنوب فحسب، بل موجودة في كل الديانات القديمة، وإن اختلفت من دين إلى آخر شكل الخطيئات وتوائمها الشاملة، بل حتى من كتب الاعترافات التي عددت الخطايا و"يأخذ الاعتراف أشكالاً مختلفة بين الشعوب المختلفة"[6].

ويتضح لنا بأن النجاسة ليست مرتبطة بدم المرأة في مدة الحيض أو الولادة، بل تعني سيلان الدم بشكل عام، حتى وإن كان جرحًا أو خدشًا، تم في مكان مقدس كالمعبد مثلاً، يعد "تدنسيًا لحرمة المعبد"[7]، ويذكر في أحد النصوص: أن كاهنًا ذبح ضحية للإله، فوقعت قطرات من دم الضحية في

1) Grohmann: op. cit. p. 252.
2) جواد علي: المدونات العربية قبل الإسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج31، ج3، بغداد، 1980م، ص226.
3) الجرو، أسمهان سعيد: الديانة عند قدماء اليمنيين، مرجع سابق، ص350.
4) الجرو، أسمهان سعيد: الديانة عند قدماء اليمنيين، مرجع سابق، ص350.
5) الجرو، أسمهان سعيد: الديانة عند قدماء اليمنيين، مرجع سابق، ص350.
6) كونتينو، جورج: ترجمة سليم التكريتي وآخرين، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ص447.
7) الجرو، أسمهان سعيد: الديانة عند قدماء اليمنيين، مرجع سابق، 348.

ثوبه "فكان عليه تنظيفه، وعدم دخوله المعبد وبه نجاسة الدم[1]. ولذا كان على مقدمي النذور أو المعترفين بذنبهم، أن يتطهروا أي "يغتسلون أو يتوضئون، قبل دخولهم إلى المعبد"[2]، ويغسلون ملابسهم؛ لأن "انتهاك مبدأ الطهارة يستدعي الاعتراف علنًا به"[3]، كما أن ابتعاث الروائح الكريهة كالبصل والثوم ..إلخ "يغضب الآلهة يتوجب دفع الكفارة"[4]، كما ذكر (ريكمانز) خمسة نقوش تكفيرية، أصحابها يقدمون اعترافات علنية موجهة للإله (ذي سمي)، هذا يدل على "عمق التدين عند اليمنيين"[5].

ويبدو أن تلك العقوبات لم تكن مقتصرة على بعض معابد الآلهة، بل كانت تتخذها كإجراءات عقابية في كل المعابد للآلهة في اليمن القديم خاصة، والعالم عامة.

ثانيًا: طقوس الحج:

عرف اليمنيون القدماء الحج، كظاهرة من مظاهر العبادات، ونعني به زيارة الأماكن المقدسة في أوقات معينة من السنة؛ لغرض التبرك بالآلهة والتقرب إليها بما اصطلح "عليه الحج"[6].

ويعد الحج "أقدم ظاهرة في الشعائر الدينية"[7] وجاء في المعجم السبئي تحت "لفظة (gh) بمعنى (حج)"[8] وبلفظ (hd)[9]، وقد تناولت النقوش المسندية لفظة (𐩣𐩧) (حج) كما "ورد في النقشين الموسومين (CIH547/6+548/14)"[10]، وفي النقش الموسوم (CIH5334) جاءت فيه لفظة (𐩣𐩧𐩵)، بمعنى (حجت)، ويبدو أن اللفظتين السابقتين تعطيان معنى (الحج)، وبالنظر إلى النقش الموسوم (RES3546/8) يذكر الإله (𐩠𐩱𐩲𐩺) (انبي) معرفًا ب(بعل حجت) (𐩣𐩧𐩵 𐩱𐩣𐩺)؛ أي: بمعنى (رب الحج)، ولعله إله الحج، في حين ورد في المعجم العربي و"يعني القصد إلى الشيء العظيم"[11]، وفي العرف قصد مكة للنسك، وبابه رد فهو "حاج وجمعة حُجّ له"[12]، ونحن نقصد أن الحج يعني القصد للزيارة ليس إلى الكعبة، وإنما زيارة المعبد المخصص للحج الذي تسكنه الآلهة التي يحج إليها.

وكان الحج قديمًا يجري له استعدادات وتحضيرات عديدة مثل: تحضير القرابين التي ستقدم للإله، مؤن السفر إلى الحج، الذي قد يستغرق عدة أيام وليال، وكان عرب الجنوب يؤدون مناسك الحج

1) جواد علي: المدونات، مرجع سابق، ص326.
2) Caskel, w.: Die alte arabschekeonigreichlihyan – koein, (1951). P. 12.
3) موسكاتي: الحضارة السامية، مرجع سابق، ص196.
4) الجرو، اسمهان سعيد: الديانة عند قدماء اليمنيين، مرجع سابق، ص349.
5) wellha usen, J.: Reste Arabischen Heiden tums, 2 ed, Berlin, 1961. P. 136. / Grohmann. Op. cit. p. 251.
6) الرازي: مختار الصحاح، ص75-76.
7) الحوت، محمود سليم: في طريق المثيولوجيا عند العرب، دار النهار، الطبعة الثانية، بيروت، 1979م، ص146-147.
8) بستون: المعجم السبئي، مرجع سابق، ص66.
9) راجع: أ، لوندين: دين اليمن القديم وفنه، ترجمة قائد طربوش، مجلة الثقافة، العدد (34)، 1997م، صنعاء، ص104.
10) Beestone, A.F.L: Epigraphic south Arabian Calendars and Daing, London (1956), p. 859/ Sabaic: Dictionary. P. 66.
11) الجرجاني: التعريفات، مرجع سابق، ص44.
12) الرازي: مختار الصحاح، مرجع سابق، ص75-76.

التي كانت واجبة، وتقام كل عام؛ حيث يتوجه الناس إلى الإله الحافظ (للوطن) "الإله الذي يعد تجسيدًا للدولة"[1]، ويبدو أن إله الحج هو الإله المركزي المجسد في الدولة الفيدرالية، وهو زعيم كل الآلهة الصغيرة في إطار الدولة المركزية. ولكن النقوش لم توضح وقت معين لمواسم الحج، وهل كانت تتم مناسك الحج لكل إله من تلك الآلهة المتعددة؟ وأنه كان "حجًا ثابتًا في شهر معين"[2]، لكننا نلاحظ في النقوش الموسومة (CIH533/4+348/41+546/6) تكرر "اسم شهر (𐩣𐩧𐩲 𐩦𐩣) (ذو حجت) أي ذي الحجة"[3]، وربما "أصبح ذو الحجة بأنه شهر الحج الثابت"[4]، ودارت مناقشات كثيرة حول شهر ذي الحجة، ووقته في الشتاء أم في الصيف، ولكن لسنا معنيين بإيرادها في هذا الحيز، ولكن بالإجمال يقع في فصل الصيف، بالنظر إلى ما جاء في النقش الموسوم (CIH621) بأنها "تقع في أشهر الصيف"[5]، ويبدو أن الحج قد ارتبط بالتقويم القمري، وهكذا يصبح الحج غير مرتبط بموسم معين وثابت؛ لأن التقويم القمري أسهل على الناس من التقويم الشمسي "لاعتمادهم فيه على رؤية الهلال"[6].

ومن موجبات الحج هي "الاغتسال ولبس ملابس طاهرة"[7]، وتحريم ممارسة الجنس في أثناء مناسك الحج، وتحريم حمل السلاح والصيد، كما يحرم على العامة الدخول إلى الغرفة المخصصة للآلهة، و"يكتفي بالسماح لهم بالطواف حولها ولمس جدرانها"[8]، كما يتم تسليم العشور للمعبد، وهي "تتطابق مع الضرائب الحكومية"[9]، وكانت تقدم القرابين في عدد من المذابح المُعدَّة لها؛ حيث يقيم المعبد وجبات الطعام لزواره في موسم الحج، وقيل "إنها طقوس زراعية"[10].

ثالثًا: طقوس القرابـــــين:

هي مجموعة من الهدايا، والعطايا، والهبات، التي تقدم من قبل التابع للمتبوع، وتعد من أهم الشعائر الدينية عند عرب الجنوب، وأبرزها: (قرابين الأضاحي، المراقة السائلة والمحروقة)، التي تقدم للمعبود (الإله)، ويعد "القربان دين الآلهة"[11]، وتقدم لها للاستعطاف والتبرك بها داخل تلك المعابد التي هي بيوت الآلهة، ويصبح القربان هو "مفهوم الدين عند العرب"[12]، ويعد القربان من أولى الطقوس عند عرب الجنوب، لما له من أهمية مباشرة في حياتهم اليومية.

وهكذا ربما يقدم القربان تبعًا للمناسبة أو الحاجة، وكانت تقدم من قبل كل مكونات المجتمع: (المكاربة الملوك، سادات القبائل، الكهنة والعامة)، كما عرفنا من النقش الموسوم (Ja584)، وكانت

1) أ، لوندين: دين اليمن القديم وفنه، مرجع سابق، ص103.
2) جواد علي: مقومات الدولة، مرجع سابق، ص33.
3) جواد علي: مقومات الدولة، مرجع سابق، ص33.
4) Muller, D.H: Sabaeische Inschriften entdecktund gesammelt von Siegfried langer (ZDMG. Bd.37), Leipzig (1883), p. 369.
5) البكري، في تاريخ اليمن، مرجع سابق، ص233.
6) جواد علي: المدونات، مرجع سابق، ص117.
7) جواد علي: المفصل، مرجع سابق، (406/6).
8) جواد علي: المفصل، مرجع سابق، (406/6).
9) أ، لوندين: دين اليمن القديم وفنه، مرجع سابق، ص104.
10) أ، لوندين: دين اليمن القديم وفنه، مرجع سابق، ص104.
11) منقوش، ثريا: تاريخ الآلهة اليمنية والتوحيد الإلهي، مرجع سابق، ص23، منقوش، ثريا: دولة معين اليمنية، مرجع سابق، ص167.
12) جواد علي: المفصل، مرجع سابق، (345/6).

المعابد عادةً مفتوحةً للملتمسين، في أيام محدودة يتم فيها الاعترافات العلنية أوالتبرك بالآلهة، و"يصاحبها إحراق البخور والنذور"[1]، مع الصلاة والدعاء. كما تقدم ضحايا المناشدة وضحايا الشكر للآلهة، للتعبير عن الامتنان والشكر لوفاء الآلهة في تحقيق مطالبهم.

أما الهدف من تقديم القرابين من قبل الأتباع للمتبوع، فهو من أجل أن يحميهم ويجنبهم كل الأعمال السيئة، وبالنظر إلى تلك النقوش التي نشرها (جام)، يتبين أن أهداف مقدمي القرابين في الغالب "تصب في العودة من ساحات المعارك الحربية سالمًا"[2]، و"النصر وإخماد الحروب والتمردات"[3]، و"طلب الحصول على الترقي في مناصب الدولة"[4]، و"منحهم السعادة والسلامة والنعمة"[5]، و"جلب لهم الخير وزيادة المحصول"[6]، و"لميلاد طفل ذكر"[7]، أو "عند انحباس السيول والأمواج"[8]، و"مساعدتهم على تعقب الجناة والقبض عليهم"[9]، و"طلب نزول المطر"[10]، و"الشفاء من المرض"[11]، و"بمناسبة إتمام البناء"[12]، و"سوء الطالع"[13]، و"طلب حمل المرأة العاقرة"[14]، أما أنواع القرابين، فقد تنوعت واختلفت حسب طلب التابع من المتبوع (الإله)، وتشمل أنواع كثيرة أهمها:

1- **قرابين حيوانية**:

قدمت الأبقار والجمال والماعز، وهي حيوانات أليفة، وقد يصل القربان ما بين (30-40) بقرة أو ثور. ويطلق عليها الأضاحي، وتحتل هذه الأضحية مكانة رفيعة عند المتعبدين والمعبود معًا، فمن خلالها تراق الدماء، إرضاء للإله، ويعتقدون أنه يأكل منها، ويشاركه المتعبد في ذلك. كما قدمت الحيوانات المتوحشة (كالفهود) و(الوعول) و(الغزلان). وكانت تذبح هذه الحيوانات خارج المعبد أمام تماثيل حجرية، ويزين المعبد بالتماثيل والنقوش التي كانت تصور الحيوانات المقدسة، والكهنة ومقدمي الضحايا، وهي عبارة عن تأكيد التابع للمتبوع سواء أكانوا ذكورًا أم إناثًا، ونحرت الذبائح تحت أقدامها تأكيدًا "للولاء وتعميد الطاعة المقدمة لها"[15].

ومن الملاحظ أن كثيرًا من الشعائر الدينية القديمة، قد استمر العمل بها حتى بعد "ظهور الأديان السماوية التوحيدية"[16]، ويمكن القول إن قرابين الأضاحي في اليمن القديم، قد احتلت مكانة عالية عند الأتباع تجاه المتبوع، ونستدل على ذلك من "كثرة المذابح الصغيرة والكبيرة التي تم العثور

1) ج. بايور: اليمن القديم، مرجع سابق، ص69.
2) ج، بايور: تاريخ اليمن القديم، مرجع سابق، ص69.
3) Ja: 622+647+665+668.
4) Ja: 662.
5) Ja: 652+668.
6) Ja: 655+657.
7) Ja: 647+664+669.
8) Ja: 671.
9) Ja: 660.
10) Ja: 653.
11) Ja: 620+661+669+670.
12) Ja: 651+667.
13) Ja: 555+557.
14) الشرفي، محمد: المرأة في المجتمع اليمني القديم، مجلة اليمن الجديد، العدد(2)، 1986م، صنعاء، ص240.
15) منقوش، ثريا: التوحيد في تطوره التاريخي، مرجع سابق، ص78.
16) زيد، سلطان أحمد: تاريخ اليمن القديم، مرجع سابق، ص68.

عليها في أثناء الحفريات"[1]، ويشير أحد النقوش الحضرمية الموسوم بـ(Ja949) إلى أن الملك الحضرمي (يدع إل بين ربشمس)، أنه قدم للإله (سين) القرابين في إحدى الاحتفالات الدينية فقد "ذبح 35 بقرة، 82 وعلاً بريًّا، 25 غزالاً وثمانية من الفهود[2]، وربما حتى الطيور كانت تقدم كقرابين[3]، وكان أهل اليمن يهللون عند ذبح القرابين، أي (يكبرون) ويرفعون الصوت باسم الإله.

2- قرابين السوائل:

كانوا يقدمون القرابين السائلة تقربًا للإله وهي:(الماء، النبيذ، الحليب والشراب)، ونستدل على ذلك بوجود "مذابح للقرابين السائلة"[4]، وإراقة السوائل كانت لها أهمية كبرى عند العرب بشكل عام، وعرب الجنوب بشكل خاص. واستمرت عملية استخداماتها في الطقوس الدينية إلى قبيل ظهور الإسلام، فكانت تصب هذه السوائل على الأصنام، أو توضع في المعابد لإرضاء الآلهة.

3- **القرابين المحروقة:**

عُرفت الديانة القديمة القرابين المحروقة، منذ بداية ظهور المعتقدات الدينية البدائية بحوالي الألف الأول قبل الميلاد، ويعود السبب في تقديم القرابين المحروقة إلى الفكرة القائلة: إن اللحم المحروق هو طعام إلهي، وأن الدخان المتصاعد منه ما هو إلا للإله، ليبهج ويمتع به عُباده. وتعد مادة البخور وأشجار الطيب والمَّر، من أهم القرابين التي كانت تحرق في المعابد اليمنية القديمة، وقد مثلت عملية إحراقها شعيرة، أو طقسًا أساسيًا عند أهل اليمن، سواء أكان في المعابد أم في مساكنهم، ويعد ذلك ابتكارًا شعائريًا يمنيًا.

تأثرت بها الحضارات الأخرى في منطقة الشرق الأدنى[5]، ونستدل على ذلك بكثرة المباخر المتنوعة التي تم العثور عليها في أثناء التنقيبات الأثرية، التي تؤكد لنا أهمية تقديم القرابين المحروقة للآلهة.

4- **قرابين المحاصيل:**

قدم اليمنيون القدماء قرابين زراعية، عُرفت في لغة المسند بـ(𐩣𐩲𐩺) (فرع) أو (𐩧𐩣𐩺) (فرعت)، وتعني قدم الثمر، أو الغلال كقرابين للآلهة، ووردت في النقش الموسوم بـ(RES4930) لفظة (𐩣𐩲𐩺𐩵) (مفرع) في "المعجم السبئي بمعنى غلةً جيدةً"[6]، أما في العصور المتأخرة، فجرى استبدال تلك التقديم بتقديم آخر، حمل دلالات رمزية، فقد جرى استبدال الأبقار والحيوانات، التي كانت تذبح بتماثيل (𐩵𐩲𐩣𐩱𐩵) (أصنام) و"تصنع من البرونز"[7]، أو من "الفضة (𐩱𐩲𐩣𐩱𐩵)

1) لمزيد من التفاصيل راجع: هولفرتيز ماهانز: اليمن من الباب الخلفي: ترجمة خيري حمادة، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع (لا.م.ت) ص88. **موسكاتي**: الحضارات السامية، ص195. **بافقيه**، محمد عبدالقادر: اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، 1973م، ص195. **منقوش**، ثريا: تاريخ الإلهة اليمنية، مرجع سابق، ص27.

2) الجرو، أسمهان سعيد: الديانة عند قدماء اليمنيين، مرجع سابق، ص346.

3) أ، لوندن: دين اليمن القديم وفنه، مرجع سابق، ص95.

4) أ، لوندن: دين اليمن القديم وفنه، مرجع سابق، ص95.

5) راجع: العريقي: الفن المعماري والفكر الديني، مرجع سابق، ص282.

6) Grohmann: op.cit. p.248/ Dictionary .p. 45-46.

7) Ja: 610+667+655+653.

(ذصرفن)"[1]، أو من "الذهب (𐩱𐩣𐩧𐩺)"[2]، أو من قطع المرمر المنقوشة، أو رأس يمثل مقدمي النذور أنفسهم، أو تمثال "للرمز الحيواني المقدس"[3]، وتجسدت تلك التماثيل في صور "الوعل أو الثور"[4]، وقد كانت الهدايا كثيرة وضخمة؛ إذ تشكل النقوش المكرسة للآلهة، والتماثيل أغلبية "الآثار التي حفظها لنا الزمن"[5]، وكان "مقدمو النذور يكتبون على قاعدتها أسماءهم"[6]، وفي بعض الأحيان يقوم المقدم للنذر "بتقديم نفسه وأولاده وممتلكاته قربانًا للآلهة"[7]، كما أننا لا نجد في تلك الأدبيات - في أثناء دراسة النصوص والنقوش- ما يدل على تقديم عرب الجنوب "أي قرابين من البشر"[8]، كما هو الحال عند الحضارات المجاورة لليمن القديم.

المحور الثالث:

رجال المعابد (الكهنـــــة):

تشير النقوش إلى وجود أعداد كثيرة من الكهنة، يقومون بتنظيم الشعائر والطقوس الدينية في معابد الآلهة، ويتلقون الهبات المقدمة من قبل الأتباع للمتبوع، وكلمة الكهانة هي اسم يشمل كل الوظائف الدينية عند اليمنيين القدماء، ولم تقتصر وظيفة الكهانة على الذكور فقط، بل حملت لنا النقوش بشكل عام، والقتبانية بشكل خاص أسماء نساء دخلن في سلك الكهنة، وقد نذرن أنفسهن للمعابد، كما هو الحال في الديانة المسيحية بالنسبة للراهبات المتفرغات لخدمة الكنيسة، والثالوث المقدس، وقد جاء في أحد النقوش أن كاهنة تدعى (برة) قد "تفرغت لخدمة الإله (عم ذريحو)"[9]؛ حيث كان الذين يعملون في هذه الوظيفة على درجة عالية من التعليم الديني والأخلاقي، وكان العاملون في الكهانة كثر بدليل كثرة المعابد في العربية الجنوبية، وعلى سبيل المثال ذكر لنا المؤرخ الروماني (بلينيوس) بالقول: إذ بلغت "معابد تمنع 65، وشبوه 60 معبدًا"[10]، ولك أن تدرك كم العدد من الكهنة في العربية الجنوبية عامة، إذا ما أدركنا أن لكل معبد كاهنًا (سادنًا) ينفق وقته في خدمة الإله، والعناية بالمعبد. وأن منصب كاهن المعبد كانت تتبادله تبعًا "العائلات الكبيرة كل ثلاث سنوات"[11]، بمعنى أن وظيفة الكهانة كانت تعد من الوظائف الوراثية، مع ذلك فإنهم كانوا "يتعينون بمرسوم ملكي"[12]، وكما علمنا أن قوة الإله وعظمته تستمد من القوة الدعائية التي يمارسها الكهان.

1) Grohmann: op. cit. p. 248.
2) أبو العيون، بركات: الفن اليمني القديم، مرجع سابق، ص86.
3) Grohmann: op. cit. p. 248.
4) أبو العيون، بركات: الفن اليمني القديم، مرجع سابق، ص86.
5) ج، بايور: تاريخ اليمن القديم، مرجع سابق، ص69-70.
6) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، مرجع سابق، 215.
7) زيد، سلطان أحمد ، تاريخ اليمن القديم، مرجع سابق، ص67.
8) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، مرجع سابق، ص215.
9) منقوش، ثريا: التوحيد في تطوره التاريخي، مرجع سابق، ص78.
10) لطفي، عبدالوهاب: تاريخ العرب، مرجع سابق، ص130.
11) MUB. 8: MUsee de Bayhan.
12) الحمد، جواد مطهر: الأحوال الاجتماعية الاقتصادية في اليمن القديم خلال الألف الأول قبل الميلاد، حتى عشية الغزو الحبشي 525م، الطبعة الأولى، 2000م، جامعة عدن، دار الثقافة العربية، الشارقة، ص147.

ولذا كان الكهنة في العربية الجنوبية "يتمتعون بمركز قوي ومؤثر"[1]، وكان لهم "نفوذ واسع وعميق في اليمن"[2].

1- **الوظيفة**:

لعب الكهنة دورًا مهمًا في المعابد، والحياة الدينية في اليمن القديم؛ حيث قاموا بالعديد من المهام:

1) يقوم الكاهن بالعمل كوسيط بين الأتباع (المتعبدين)، والإله وتفسير الوحي[3]، ويحمل مطالب الناس للإله، وينقل التعليمات الإلهية للأتباع، ويعلن عن رغبات الإله بأمر أو نهي وجب على "العُباد طاعته وتنفيذه خوفًا من غضب الآلهة"[4]، ومن هنا كان لابد على الكاهن من التواصل مع الإله بخصوص المطالب والأمنيات، وينقل الردود عليها من قبل الإله، وكانت تقدم النذور وفقًا لأوامر (الكاهن الإله) كشرط لمنح النعمة للمتعبدين.

2) يقوم بالإشراف على شؤون المعبد وأراضي الوقف، والممتلكات التي تقدم للمعبد، واستلام القرابين، وعلى جباية الضرائب المخصصة للمعبد التي تعرف (بالعُشر) أو الأعشار، ويشرف على إقامة المنشآت وبناء المعابد وملحقاتها، من ترميم وصيانة لأجنحتها، ويشارك الملك أو من ينوبه في تحديد الأرض التي يبنى "عليها المعبد ويشرف عليها"[5].

3) يقوم الكاهن بالإشراف على شؤون المعبد، ويراقب عملية تأدية الشعائر الدينية، مثل: مناسك الحج واستلام القرابين، التي يقدمها الأتباع للإله، وإقامة الولائم والحفاظ على عدم الخروج عن اللياقة الأدبية في أثناء تأدية الفرائض، والهدوء والسكينة التي ينبغي لأن تتوفر في أثناء الاحتفالات والمراسيم الدينية، كما يقوم بإصدار المراسيم والعقوبات "على المخالفين لهذه النظم"[6].

4) يعمل الكاهن على إقامة الحضرة الدينية للآلهة، بل تعد إقامة الحضرة من صميم مهام الكاهن بالمعبد.

5) يقوم الكاهن بإدارة بعض المناطق الخاضعة للدولة بوصف أن الكاهن يشغل منصب نائب الحاكم الدنيوي (الملك) فيها، وقد "ظهر الكهنة في فترة القرون الميلادية الأولى كأقيال"[7]، بل قد ساهم الكهنة في إدارة شؤون الدولة، كما حرروا الوثائق والقرارات التي تصدرها المحاكم والأسر الحاكمة، ويحتفظون بها في المعابد المختلفة؛ حيث نرى في المرحلة الأولى من التطور السياسي في اليمن القديم، التي امتدت منذ نهاية الألفية الثانية إلى بداية الألفية الأولى، فقد كان

---

1) لطفي يحيى: العرب القديم، مرجع سابق، ص392.

2) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، مرجع سابق، ص214. wellhavsen:op. cit. p. 130-140.
مصطفى، شاكر: مسيرة الحضارة، دار المختار، الطبعة الثانية، جنيف، عام 1982م، مج2، ص273.
عن السادن والكهان عند العرب: أنظر **عبدالرحمن**، هاشم يونس: المثل والقيم الخلقية عند عرب ما قبل الإسلام وعصر الرسالة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – الموصل، 1987م، ص48-50.

3) راجع: ريمكمانز، جاك، حضارة اليمن قبل الإسلام، ترجمة علي محمد زيد، دراسات يمنية، العدد 280، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء، 1987م، ص136.

4) النعيم، نورة بنت عبدالله بن علي، التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م، ص35.

5) العريقي: الفن المعماري والفكر الديني، مرجع سابق، ص114.

6) Grohmann: op. cit. p. 82-248. **بافقيه**: تاريخ اليمن القديم، مرجع سابق، ص214. **منقوش** ثريا، التوحيد الإلهي، مرجع سابق، ص87.

7) Gl: 1147,647. CIH: 632. Ry: 585.

الكهنة يجمعون في أيديهم السلطتين الدينية – الدنيوية، وقد ظهرت في هذه المرحلة عدد من الأسماء والوظائف الكهنية "لمجموعة من رجال الدين الذين كانوا يدعون بالمكربين"[1].

وقد أوردت لنا النقوش بعض المكاربة، ومنهم "مكرب اسمه علي ذمار"[2] و"يثع أمر بيين بن سمة علي"[3] و"يدع إيل ذريح بن اسمة علي"[4] و"يدع ايل بين بن يثع أمر"[5] و"يدع أي وتر"[6]، و"كان آخرهم المكرب كرب إيل وتر"[7]، الذي حدث في عهده عملية انتقال سلطة الكهنة (المكربين) إلى مرحلة السلطة الدنيوية (الملوك)، وبذلك أصبح الحاكم العسكري، هو الملك الذي يمسك بزمام السلطة السياسية في حين أصبح المكربون يعملون نواب له في إدارة شؤون المعابد، ومخاطبة الذات الإلهية.

2- **مسميات الوظيفة**:

تغيرت تسميات الكهنة في المرحلة الثانية من التطور السياسي في تاريخ اليمن القديم، التي امتدت منذ القرن (السابع) ق.م حتى القرون الميلادية الأولى فأصبحت تسمياتهم على كالآتي:

1) **شوع** (𐩣𐩧𐩺): كما ورد ذكره في النقشين (M.T. 4+5)[8]؛ أي: بمعنى وظيفة كهنية؛ حيث جاءت في المعجم السبئي بمعان كثيرة مثل خدم؛ أي: قام بفروض الخدمة للإله أو (السيد)، "تابع نصير قائم بخدمة"[9]، بمعنى: وظيفة[10]، وربما كان صاحب هذه الوظيفة بمثابة خادم للإله (ود) في مدينة معين حاضرة مملكة معين.

2) **رشو** (𐩣𐩧𐩹): وجاءت هذه اللفظة في المعجم السبئي تحت معنى لقب صاحب منصب ديني (**عمِل – عمَل**) و"رشو وهب منح شيئًا"[11]، وبالعودة إلى قراءة النقوش المسندية، يتضح أن الرشو يعمل خادمًا للإله في معبده، وخاصة في النقوش التي توجه بها الناس إلى المعبود السبئي الرئيس (المقه)، في "مأرب حاضرة مملكة سبأ"[12]، أما في المعجم العربي، فقد جاءت بمعنى (أعطى – منح)، والاسم منه (رشوة) يعني "الجعل أو حلاوة الكاهن"[13]، وهذه اللفظة انتشرت عند السبأئين والقتبانيين والحضارمة، وتعني "كاهن أي رجل دين"[14]، وتعددت الألفاظ لها فجاءت على النحو الآتي:

---

1) RES:4431. CIH:620. Gl:523+525+557+668.
2) Gl: 1108+1109+1468. RES: 3950.
3) Ja: 2853.
4) Gl: 545+560. HL: 67. ARN: 33+46.
5) CL: 775+776. RES: 278. Ry: 586.
6) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، مرجع سابق، ص217.
7) جواد علي: مقومات الدولة، مرجع سابق، ص53.
8) راجع: نامي، خليل يحيى: نقوش خربة معين، مح/16، مجلة الآداب – القاهرة، 1954م، 2/3-8.
9) الفيومي، محمد إبراهيم: في الفكر الديني الجاهلي، الطبعة الثانية، 1980م، دار العلم – الكويت، ص287-288. **الجرجاني**: التعاريف، مرجع سابق، ص79. **البستون**: المعجم السبئي، ص135-136.
10) راجع: نامي، خليل يحيى: نقوش عربية جنوبية، مجلة كلية الآداب، القاهرة، مج16، 2/3-8.
11) GL: 7523+1146+1664, Jamme: op. cit. p. 118.
12) البستون: المعجم السبئي، مرجع سابق، ص118.
13) Gl: 523+1196+1664, Jamme: op. cit. p. 188.
14) الفيروز أبادي: القاموس المحيط، بيروت، 1986م، ص1549.

"أرشو (𐩣𐩲𐩺) - أرشوت (𐩣𐩲𐩺𐩵) أرشوو (𐩣𐩲𐩺𐩵𐩬)"[1]، ثم هرشو (𐩣𐩲𐩺𐩬) وتعني "عين بمنصب ديني رشو"[2].

3) **المنصف** (𐩦𐩨𐩧𐩠𐩵): وتعني هذه اللفظة صفة لوظيفة دينية في النقشين (RES4176-GL:1209) الذي يرجع تاريخهما إلى القرن الثاني قبل الميلاد تقريبًا، في حين جاءت في المعجم السبئي بمعان كثيرة، منها: أداء فرائض، عبادة، خدم، قام بخدمة عمل؛ فنصافة "خادم في منصف سادن معبد"[3]، في حين في المعجم العربي جاءت تحت جذر (ن ص ف)، الذي يعني منصب ديني، والمنصف تعني انتصب "للحكم وتهيأ وجعله على الطريق يهتدي به"[4]، وتعد وظيفة المنصف خادم الإله (تألب بعل ترعة)؛ حيث إن نقشه يصور بعض المهام، التي تقع على عاتق "خدام الغلة أو سادن المعبد"[5].

4) **الأفكل** (𐩱𐩦𐩨𐩵𐩱𐩵): وجاءت عند المعينيين لفظة أفكل في النقش (RES286) وأفكلت (𐩲𐩱𐩦𐩨𐩵) في النقش (RES3945/16)[6]، وهي تتماثل مع لفظة "(أبكل) في اللغة الأكدية وتناظر (أفكلاء)"[7]، في اللغات الفينيقية واللحيانية، والنبطية، والتدمرية. والأفكل تعني وظيفة دينية، ومن يحمل هذا اللقب يتولى خدمة الإله ومعبده. وقد ذكرت في النقوش بصيغة الجمع (ا ف ك ل ت)(𐩲𐩱𐩦𐩨𐩵𐩣)؛ أي: رجال الدين في مدينة (نشن) إحدى مدن مملكة معين، وجاءت بصيغة المفرد (أ ف ك ل) (أ ف ك ل) في النقوش (Ja286,CIH563,699,956).

كما وردت في المعجم السبئي لفظة (ا ف ك ل) (𐩣𐩵𐩦𐩱) بمعنى "كاهن في أرض نشان المقهورة"[8]، وهذه اللفظة تصبح في معناها وظيفة دينية عامة ليس في اليمن القديم، وإنما في الحضارات المعاصرة لحضارة اليمن القديم آنذاك، والظاهر أن وظيفة الأفكل لا تختلف عن الوظائف الكهنية الأخرى.

ولكن يظهر لنا في النقش (RES3945) أن للأفكل وظيفة دينية – واقتصادية تمثلت بجمع الضرائب والغرامات، التي تفرض على أفراد المجتمع تجاه الإله كواجب إلهي؛ حيث جاء ما نصه في النقش (𐩲𐩱𐩦𐩨𐩵𐩣 |𐩻𐩣𐩱𐩥 |𐩥𐩦𐩥 |𐩬𐩧𐩥𐩠 |𐩪𐩥𐩠) بما معناه أن المكرب السبئي كرب إيل وتر "قد فرض على نشن ضريبة الأفكلية"[9]، ومع التحول الذي جرى في المرحلة الثانية

1) Grohmann: op. cit. p. 82-248.
2) راجع تفاصيل تعدد ألفاظ كلمة رشو في النقوش: CIH: 41/1, RES: 4175/12, Gl:704/2, RES:3945/ Ibid. p. 118.
3) Sabic: Dictionary. P. 188.
4) الوجيز في اللغة العربية: المركز العربي للثقافة والعلوم، لبنان (لاط-ت)، ص619.
5) البستون: المعجم السبئي، ص99-100. **بافقيه**: مختارات، مرجع سابق، ص142.
6) Sabic: diectionary. P. 2.
7) Grohamnn: op. cit. p. 82-248.
8) البستون: المعجم السبئي، مرجع سابق، ص2.
9) Mohmarqton Derafkel Apkaltce in Arabischen, p. 275.

للوظائف الكهنية للمكربين، إلا أن "مركز الكهنة ظل مؤثرًا وقويًا"[1]، مرد ذلك إلى تناغم العلاقة بين الملوك والكهنة، نتج عنها "حالة الوئام بين الملوك والكهنة"[2].

وبموجب ذلك لم تحدد سلطة الكاهن في الواجبات الدينية، بل كان يستشار في الكثير "من الأمور المدنية والعسكرية"[3]، علمًا بأن الكهنة كانوا على علم ودراية بالنقش والكتابة على الأحجار، مما جعلهم يتمتعون بمكانة مهمة في حياة المجتمع فضلًا عن قوة سلطتهم؛ لأن الناس كانوا يعتقدون بأنهم ليسوا رجال دين، وإنما أهل المعرفة والعلم، القضاء، والطب، والفلسفة وعلى "دراية بالشؤون العسكرية والحكمة الشعبية"[4].

وهكذا فإن دراستنا للمعابد، كدور للعبادة عند عرب الجنوب، من خلال النقوش المتوفرة والمخلفات الآثارية في عموم ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية بشكل عام تظهر لنا بشكل واضح الثغرات في النصوص مع قلة الدراسات الاستجرافية، وهذا يضع أمامنا صعوبة في إعطاء صورة واضحة ودقيقة لمستوى التفكير، والنظرية العقائدية عند أهل اليمن قبل الإسلام، لعالم الآلهة وعلاقتها بالكون، التي بلا شك كانت مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالحياتين السياسية – والاقتصادية في عصور ما قبل الإسلام.

نتائج البحث:

- لعبت المعابد دورًا مهمًا في الحياة السياسية، من خلال إدارة شؤون سلطة الدولة، خاصة في وضع التشريعات والقوانين، التي اعتقد أهل اليمن أنه عمل موصى به من قبل الآلهة.
- لعبت المعابد دورًا مهمًا ورائدًا في الحياتين الاقتصادية – الاجتماعية؛ لأن دورها لم يكن مقصورًا على وظيفتها القائمة على العبادة والحج، بل إنها لعبت دورًا مدنيًا، ففيها تحفظ السجلات والكتب، وتُحصَّل الضرائب (العشر) من المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية، وتعقد فيها الاجتماعات لمناقشة الأمور الحياتية اليومية، وقضايا الحرب والسلم.
- امتلكت المعابد أراضي زراعية (اقطاعيات) عن طريق أراضي الفتوح، التي كانت توهب للمعابد، أو الأراضي المستصلحة بعمل السخرة، أو الأراضي الموقوفة من قبل المؤمنين لصالح المعابد، أو الأراضي المشتراه، أو عن طريق هبات الملوك.
- تنوعت المعابد في اليمن القديم، وتعددت في أشكالها وهندستها، فالشكل المستطيل قد مثل الطراز الأول المبكر، وأشهر الأبنية الدينية في اليمن هو الطراز البيضاوي الشكل.
- انتشرت في المدن اليمنية المعابد الضخمة، التي تشهد على أن جزءًا كبيرًا من إمكانيات الدولة، قد تم حشدها بصورة رئيسة لبناء تلك المعابد وتشييدها.
- بسبب حرمة المعابد وطاهرتها، فقد وضعت عقوبات للمخالفين، ويبدو أن تلك العقوبات لم تكن مقتصرة على بعض معابد الآلهة، بل كانت تتخذها كإجراءات عقابية في كل المعابد للآلهة في اليمن القديم خاصة، والعالم عامة.

1) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، مرجع سابق، ص217.
2) جواد علي: مقومات الدولة، مرجع سابق، ص53.
3) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، مرجع سابق، ص214.
4) الفيومي: في الفكر الديني، مرجع سابق، ص287-288. **الجرجاني**: التعريفات، مرجع سابق، ص97.

- عرف اليمنيون القدماء الحج، كظاهرة من مظاهر العبادات، ونعني به زيارة الأماكن المقدسة في أوقات معينة من السنة؛ لغرض التبرك بالآلهة والتقرب إليها.
- تشير النقوش إلى أنواع القرابين المقدمة للآلهة، وهي: قرابين حيوانية، وقرابين السوائل، والقرابين المحروقة، وقرابين المحاصيل، من أهم القرابين التي كانت تحرق في المعابد اليمنية القديمة تعد ابتكارًا شعائريًا يمنيًا، تأثرت بها الحضارات الأخرى في منطقة الشرق الأدنى، كما أننا لا نجد في تلك الأدبيات - في أثناء دراسة النصوص والنقوش- ما يدل على تقديم عرب الجنوب أي قرابين من البشر، كما هو الحال عند الحضارات المجاورة لليمن القديم.
- لم تحدد سلطة الكاهن في الواجبات الدينية، بل كان يستشار في الكثير من الأمور المدنية والعسكرية، علمًا بأن الكهنة كانوا على علم ودراية بالنقش والكتابة على الأحجار، مما جعلهم يتمتعون بمكانة مهمة في حياة المجتمع فضلًا عن قوة سلطتهم؛ لأن الناس كانوا يعتقدون بأنهم ليسوا رجال دين، وإنما أهل المعرفة والعلم، القضاء، والطب، والفلسفة وعلى دراية بالشؤون العسكرية والحكمة الشعبية.

مظان البحث:

المصادر:
القرآن الكريم.
النقوش:
CL: 775+776. RES: 278. Ry: 586.
Gl: 1108+1109+1468. RES: 3950.
Gl: 1147,647. CIH: 632. Ry: 585.
Gl: 545+560. HL: 67. ARN: 33+46.
GL: 7523+1146+1664.
Ja: 2853.
Ja: 555+557.
Ja: 610+667+655+653.
Ja: 620+661+669+670.
Ja: 622+647+665+668.
Ja: 647+664+669.
Ja: 651+667.
Ja: 652+668.
Ja: 653.
Ja: 655+657.
Ja: 660.
Ja: 662.

Ja: 671.
MUB. 8: MUsee de Bayhan.
RES:4431. CIH:620. Gl:523+525+557+668.
.Ry 4626/2, CIH541/64, CIH541/49, Ry 506/6, Ja1028/116.

المراجع العربية:

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت321هـ): الاشتقاق، تحقيق عبدالسلام هارون، مطبعة السنة المحمدية، مصر، 1958م.

ابن منظور: محمد بن مكرم (ت11هـ): لسان العرب، دار صادر – بيروت، 1956م.

أحمد فخري:

- دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مكتبة الأنجلو – القاهرة، 1958م.
- اليمن ماضيها وحاضرها، معهد الدراسات العربية والعالمية، جامعة الدول العربية – القاهرة، 1957م.

الأغبري، فهمي علي: معجم الألفاظ المعمارية في نقوش المسند، إصدارات تريم عاصمة الثقافة الإسلامية، 2010م.

الأكوع، محمد علي الحوالي: اليمن الخضراء مهد الحضارات، القاهرة، 1971م.

أ، لوندين: دين اليمن القديم وفنه، ترجمة قائد طربوش، مجلة الثقافة، العدد (34)، صنعاء، 1997م.

باسلامة، محمد عبدالله: شبام الغراس، دراسة تاريخية أثرية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1990م.

بافقيه، محمد عبدالقادر:

- تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، 1973م.
- نقوش عربية جنوبية، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، الجامعة العربية، تونس، 1985م.

بركات، أبو العيون: الفن اليمني القديم، مجلة الأكليل، العدد الأول، السنة السادسة، صنعاء، 1988م.

بيرن جاكلين: الفن في جنوب الجزيرة العربية، دراسات يمنية، العددان (23-24)، يناير-يونيو، 1986م، مركز البحوث والدراسات، صنعاء.

البكري، منذر عبدالكريم:

- دراسة في المثيولوجيا العربية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد2، مج8، الكويت، 1988م.
- دراسات اليمن قبل الإسلام، مجلة المؤرخ العربي، عدد4، بغداد، 1979م.

بلياييف: العرب والإسلام والخلافة العربية، ترجمة: أنيس فريحة، الدار المتحدة للنشر – بيروت، 1937م.

الثعالبي: فقه اللغة، تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة، (د.ط) 1938م.

الثور، عبدالله أحمد: هذه اليمن، مطبعة المدني – صنعاء، 1969م.

الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد بن علي (816هـ): التعريفات، الدار التونسية للنشر – تونس، 1971م.
الجرو، أسمهان سعيد: الديانة عند قدماء اليمنيين، دراسات يمنية، العدد (48)، أكتوبر-ديسمبر، 1992م، صنعاء.
جروهمن، أدولف، البناء في اليمن القديم، مجلة اليمن الجديد، العدد(4)، صنعاء، 1988م.
ج، م، باور – أ. لوندين: تاريخ اليمن القديم، جنوب الجزيرة العربية في أقدم عصورها: ترجمة أسامه أحمد، دار الهمداني، عدن، ط1، 1984م.
جواد علي:

- المدونات العربية قبل الإسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج31، ج3، بغداد، 1980م.
- المصطلحات الزراعية والري في كتابات المسند، مجلة الحكمة، صنعاء، 1988م.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، 1970م.
- مقومات الدولة العربية قبل الإسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج38، بغداد، 1987م.

الحداد، محمد يحيى: تاريخ اليمن السياسي، دار وهران، القاهرة، ط2، 1968م.
حسن، عباس: النحو الوافي – القاهرة، 1963م.
الحمد، جواد مطهر: الأحوال الاجتماعية الاقتصادية في اليمن القديم خلال الألف الأول قبل الميلاد، حتى عشية الغزو الحبشي 525م، جامعة عدن، دار الثقافة العربية، الشارقة، ط1، 2000م.
الحوت، محمود سليم: في طريق المثيولوجيا عند العرب، دار النهار، بيروت، ط1، 1979م.
دراز، محمد عبدالله: الدين (بحوث ممهدة لتاريخ الأديان) مطبعة السعادة – القاهرة، 1969م.
الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر (666هـ): مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، 1979م.
رووكناكيس: الحياة العامة في الدول العربية الجنوبية من كتاب التاريخ العربي القديم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (لا.ت).
ريمكمانز، جاك:

- حضارة اليمن قبل الإسلام، ترجمة علي محمد زيد، دراسات يمنية، العدد 280، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء، 1987م.
- السماء والأرض في نقوش جنوب الجزيرة، ترجمة خالد العسلي، مجلة العرب، مج7، الرياض، 1392هـ.

سلطان أحمد، زيد: تاريخ اليمن القديم، مجلة الكلمة، العددان (49-50)، يناير 1979م، صنعاء.
شرف الدين، أحمد حسين: اليمن عبر التاريخ، مطبعة السنة المحمدية، مصر، ط2، 1964م.
الشرفي، محمد: المرأة في المجتمع اليمني القديم، مجلة اليمن الجديد، العدد(2)، 1986م، صنعاء.
الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسين: مجمع البيان في تفسير القرآن، دار الفكر، بيروت، ط1، 1957م.
طه باقر: معابد العراق القديمة، مجلة سومر مج3 – بغداد، 1947م.

عبدالرحمن، هاشم يونس: المثل والقيم الخلقية عند عرب ما قبل الإسلام وعصر الرسالة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – الموصل، 1987م.
العريقي، منير عبدالجليل، الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2002م.
غالب عبده: عرض موجز لتاريخ الآثار اليمنية، مجلة دراسات يمنية، العدد (25-26) صنعاء، 1986م.
فتحي رضوان: الإسلام والإنسان المعاصر، دار المعارف، القاهرة، 1975م.
الفيومي، محمد إبراهيم:

- في الفكر الديني الجاهلي، ط2، 1980م، دار العلم – الكويت.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، القاهرة، ط6، 1926م.

كونتينو، جورج: ترجمة سليم التكريتي وآخرين، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية.
لويد سبينون: آثار بلاد الرافدين، ترجمة سامي الأحمد، دار الرشيد، بغداد، 1980م.
مصطفى، شاكر: مسيرة الحضارة، دار المختار، جنيف، ط2، 1982م.
منقوش، ثريا:

- تاريخ الآلهة اليمنية والتوحيد الإلهي، مجلة المؤرخ، عدد9، بغداد، 1987م.
- التوحيد في تطوره التاريخي، دار أزال، بيروت، ط2، 1981م.
- دولة معين، الكويت، 1976م.

مهدي علي محمد: دور المعبد في المجتمع العراقي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – بغداد، 1975م.
مهران، محمد بيومي: دراسات في تاريخ العرب القديم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض، 1977م.
موسكاتي، سيبنو: الحضارة السامية القديمة، ترجمة: يعقوب بكر، دار الكاتب العربي، القاهرة، (لا-ت).
نامي، خليل يحيى:

- نقوش خربة معين، مح/16، مجلة الآداب،القاهرة، 1954م.
- نقوش عربية جنوبية، مجلة كلية الآداب، القاهرة، 1951م.

النعيم، نورة بنت عبدالله بن علي، التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م.
نلسن: الديانة العربية القديمة، من كتاب التاريخ العربي القديم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (لا-ت).
هولفرتيز ماهانز: اليمن من الباب الخلفي: ترجمة خيري حمادة، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع (لا.ط.ت).
الوجيز في اللغة العربية: المركز العربي للثقافة والعلوم، لبنان (لا ط-ت).
وندلس، فلبيس: كنوز مدينة بلقيس، ترجمة: عمر الديراوي، دار العلم للملايين، بيروت، 1961م.

يحيى، لطفي عبدالوهاب: العرب في العصور القديمة، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1979م.
يوسف، شريف: الكعبات المقدسة عند العرب قبل الإسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد29، بغداد، 1978م.

المراجع الانجليزية:

Albright, f .p. Albert, Jamme, Science on mrch, ABronze Statue from Mareb, ،Yemen, The scientific monthly January (1953).
Beestone, A.F.L: Epigraphic south Arabian Calendars and Daing, London (1956). Sabaic: Dictionary.
Caskel, w.: Die alte arabschekeonigreichlihyan – koein, (1951).
Fakhry, Ahmed, An Archaological Journey to Yemen. Op.cit, (1952).
Grohmann, A.: kulturge schichte des ALten orients (III,4) Arabien, Muenchen (1963). Nielsen, D.: Die sethipoischen Goetter (ZDMG. Bd.66), Leipzig, (1912).
Mohmarqton Derafkel Apkaltce in Arabischen.
Muller, D.H: Sabaeische Inschriften entdecktund gesammelt von Siegfried langer (ZDMG. Bd.37), Leipzig (1883).
Schmidt Jurgen, Fist Short Preliminary report on The Excavation of The German Archaeological institute at marie (un published) Goamm, Sana'a, 1988.
The Ency ISLam London (1965) Vol, 11.
wellha usen, J.: Reste Arabischen Heiden tums, 2 ed, Berlin, (1961).
wissmann, vonH .: Hofner, M.: Beitrage Zurhistoric hengeographie des ،vorislami schensudarabien., Wiesbaden 1953.

تأثير الكتل الهوائية على الرطوبة النسبية وأهميتها في اليمن

الدكتور مجاهد عبد العزيز مبخوت نوفل

الاستاذ المساعد بقسم الجغرافيا كلية التربية أرحب

مقدمة

تعد دراسة الكتل الهوائية وتباينـاتها، من مكان إلى أخر ذات أهمية كبيرة ،لأنّها السبب الأساسي في التغيرات المناخية ، ولارَيْبَ أن تغيرات الكتل الهوائية تبعا للزمان والمكان ووضعيتها، تتسبب في نشؤ المظاهر الجوية المختلفة ولا سيما الرطوبة النسبية ، وتكّون الغيوم وحدوث التساقط ، ومن دون دراسة الكتل الهوائية يصعب فهم دور الرطوبة النسبية في حالات الطقس والمناخ .

ومهما كانت الفروقات بين الكتل الهوائية تبعاً للهواء الملامس لسطح الأرض فإن ذلك الاختلاف وتلك الفرو قات لها تأثيرات مهمة في الرطوبة النسبية والحالة العامة للطقس المحلي و تنوعه من منطقة إلى أخرى على سطح اليمن.

لقد كانت نظريه الجبهة القطبية والكتلة الهوائية أهم إنجاز في حقل الميترولوجيا والمناخ في القرن العشرين من هذا القرن ، حيث أحدثت قفزة كبيرة في تطور هذين المفهومين ، وفي تنوع الدراسات والبحوث فيهما وبخاصة فيما يتعلق بطبيعة الهواء وخواصه على جانبي الجبهة وما يرافقهما من مظاهر طقسية متنوعة، إضافة إلى ذلك فإن البحث في الاختلافات الشاقولية الكبيرة للهواء ، عكست حقيقة أن الغلاف الجوي طبقة ضحلة من الهواء على هذا الكوكب ، هذه الحقيقة التي أفادت فيما بعد إلى معرفة أن الجزء العام من الغلاف ، وبخاصة في أعمال التنبؤ الجوي، يبلغ حوالي 12كم عمقاً فوق مستوى سطح البحر ، ونظرا لأهمية دراسة الكتل الهوائية في تحديد مناخ أية منطقة، وفي وضع برامج للتنبؤ الطويل الأمد .

كما تُعَّد دراسة الكتل الهوائية من الركائز الأساسية لأي دراسة مناخية، إذ يعّد التعامل معها من ضروريات الدراسات الحديثة في علم المناخ ، وما يميز هذا البحث عن غيرها، ما حدث من تغيرات كثيرة في السنوات الأخيرة من أساليب دراسة المناخ والطقس ، إذ ينظر حالياً إلى الغلاف الجوي على أنه حالة إجمالية مستمرة ، إذ تقع التغيرات المحلية، وتنشأ مظاهر الطقس الرئيسة في عمليات واسعة النطاق تؤثر بدورها في الغلاف الجوي ، إن العديد من الظروف الجوية مسؤولةٌ عن ظهور التغيرات في الظواهر الجوية التي تحدث في الغلاف الجوي الأدنى و الأوسط ، وبالتالي فانه لا يمكن حصر هذه الظواهر الجوية المراد دراستها وتحديدها في ذلك الجزء من الغلاف الجوي ، أو السطح القريب منه فحسب وإنما كذلك من خلال علاقتها بالظواهر السطحية.

وقد تأثير الكتل الهوائية في الرطوبة النسبية ، فيما توافر لنا من مراجع وكتب منهجية ورسائل جامعية، وكتب أخرى غير منهجية، وعلى الرغم من تعدد ما قرأناه فإن حصيلة ما خرجنا به، هو عبارة عن معلومات مهمة ، وليس بها العمق الذي يرضي طموحا أكبر من ذلك المستوى.

وعَرفنا في الوقت نفسه من خلال دراستنا العامة للكتل الهوائية ، أنها السبب في تغيرات الطقس اليومية والفصلية في اليمن ، وبالتالي هي التي تؤدي إلى اختلاف في قوى عناصر المناخ بين فصل وأخر.

و سنتناول في هذا البحث دراسة الكتل الهوائية كمحاولة لتسليط الضوء على خصائصها وأنواعها وتأثيراتها السطحية في الرطوبة النسبية في اليمن، إذ تعد دراسة الكتل الهوائية المختلفة ذات أهمية كبيرة في مساعدتنا على التنبؤ المناخي الطويل الأمد ومن خلال إيجاد علاقة الارتباط بينها وبين عناصر المناخ السطحية وظواهره .
عموما نستطيع استنتاج عوامل الطقس المختلفة من أية خارطة شمولية مع ذكر وقت الخارطة وتاريخها وإعطاء صورة متكاملة عّما يحدث في طبقات الجو لاسيما حركة الكتل الهوائية ، وما يترتب عليها من ظواهر جوية على سطح الأرض ، ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث في استخدام الجانب الرقمي للعناصر المناخية التي تعد حالياً من أكثر الطرائق شيوعاً لتحليل المناخ بدلاً من الطرق الوصفية ، ومن ثمّ فإن هذا البحث تعالج كيفية فهم الكتل الهوائية المؤثرة في الرطوبة النسبية وتحليلها.

إن دراسة الكتل الهوائية وتأثيرها علي الرطوبة النسبية . كانت لفترة طويلة حتى الآن في اليمن بعيده عن الاهتمام التفصيلي بالدراسة والبحث ، لذلك عمدنا إلى دراستها لعدة مسّوغات منها:-

1- يّعد هذا البحث من الدراسات الحديثة ،التي لم تنل ما تستحقه من الدراسة والبحث فيما يخص اليمن ، وذلك لعدم السبق لمثل هذا البحث على حد علمنا.
2- لفت انتباه الباحثين إلى أهمية مثل هذه الدراسات الحديثة المعاصرة وتعزيز تطورها والتعمق في مفرداتها الشمولية واستكمال نواقص البحث فيها وبخاصة في اليمن

- أهداف البحث :

أن دراسة الكتل الهوائية وتحليل تكرارها فوق اليمن ودراسة تأثيراتها في العناصر والظواهر المناخية في اليمن ، يسعى لتحقيق الأهداف الآتية :

1- تحديد الكتل الهوائية وأنواعها ومدى تأثيرها في الرطوبة النسبية .
2- إيجاد العلاقة بين الكتل الهوائية وانعكاساتها على الرطوبة النسبية ، والمنظومات الضغطية السطحية .
3- تحليل الظروف (الأحوال) الجوية السطحية المصاحبة لحدوث الكتل الهوائية وذلك عن طريق دراسة المتغيرات الجوية المختلفة والخرائط الطقسية لمدة دراسية مقترحة من2010-2014م وتحليلها.

- فرضيات البحث :

1- يتأثر اليمن بالكتل القطبية الباردة القادمة من الشمال والشمال الشرقي .
2- تختلف ظروف الطقس والحالة المناخية بين عدد من محطات منطقة البحث التي تتقارب وتتجانس طبوغرافياً وتضاريسا ،والتي تقع في إقليم تضاريسي واحد ، في حالة تعرض بعض منها إلى كتل هوائية تختلف عن الكتل التي يتعرض بعضها الأخر من محطات لها ، فمناخ اليمن وتباينه المكاني انعكاسًا لتأثير تكرار الكتل الهوائية المختلفة .
3- يتأثر اليمن بعدد من الكتل الهوائية ،تتباين فيما بينها شهرياً وفصلياً .

- منهجية البحث وأساليبه:

تتحدد منهجية الدراسة في استخدامنا المنهج العلمي الشمولي، بشقيه الاستقرائي و الاستنتاجي من خلال البحث عن المتغيرات الشمولية السطحية والعليا، التي يمكننا الحصول عليها من الخرائط الطقسية اليومية، التي تعد طريقة جديدة لتحديد هذه المتغيرات، فوق ذلك هذه الخرائط تعد مفاتيح فهم الدراسات المناخية، ومن ثم تلك المتغيرات التي يتم اشتقاقها من هذه الخرائط

هي الكتل الهوائية ومناطق المرتفعات والمنخفضات الجوية المصاحبة لها، و المتغيرات الشمولية وكيفية اشتقاقها، وتحليلها وتفسيرها بما يخدم موضوع البحث .

لتحقيق أهداف البحث بصورة صحيحة تم اعتماد أسلوبين في التحليل :

أ- اسلوب التحليل الشمولي الذي سيرتكز على تحليل الخرائط اليومية :-

1- تحليل خرائط السانبوتيكيه سطحية لجميع المنظومات الضغطية التي تؤثر في اليمن.

3- تحليل النشرات الجوية اليومية والشهرية الصادرة عن دائرة الأرصاد الجوية اليمنية.

4- تحليل الخرائط اليومية السطحية عند الساعة00.12 وهو موعد موحد لرصد المتغيرات الشمولية ، وتسجيلها على الخرائط المدروسة (السطحية، 850، 1013) ملليبار ، وتتبع هذه المتغيرات في أوقات أخرى ، للحصول على المتغيرات الشمولية مع معدلاتها الشهرية .

ب- أسلوب التحليل الإحصائي والرياضي :

يقوم التحليل الإحصائي في هذا البحث على استخدام أساليب إحصائية تتناسب وطبيعة الموضوع والبيانات المراد تحليلها ، وتشمل هذه الأساليب ما يأتي :

1- التوزيع التكراري السنوي. وسيتم من خلال عمل توزيعات تكرارية سنوية للمتغيرات الجوية السطحية والعليا .

2- استخدام أسلوب الارتباط البسيط ما بين المتغير التابع (الأمطار، الحرارة ...) وبين المتغيرات المستقلة (الكتل الهوائية) لتحديد العلاقة بين المتغيرات على مستوى المحطات المشمولة بالبحث في اليمن كل على حده حسب طريقة بيرسون (pearson).

3- استخراج علاقات الارتباط المتعدد الذي يحدد لنا معرفة العلاقة بين العناصر المناخية (المتغير التابع والمتغيرات المستقلة) وبين الظواهر الجوية الأخرى وأهمية كل عامل فيها .

وقد اعتمد البحث على مصادر مختلفة، جانب منها تناولت الجانب الطبيعي لمنطقه البحث، وتناول الجانب الأخر موضوعات مناخية، واعتمد على الإحصائيات المناخية المتعلقة باليمن والتي تضمنت (14) محطة مناخية، وهى موزعة على مناطق البلاد جميعها ، مما جعل البحث تأخذ شكلاً واقعياً أكثر وتحاشي الوقوع في التخمين أو الخطأ غير المقصود عند تحليل البيانات، وقد اتخذ البحث ثلاثة مسارات الأول، منها: جمع المعلومات والبيانات من المكتبات والدوائر الحكومية والهيئات في اليمن، وبخاصة البيانات المناخية للمحطات للفترة من عام(2010م - 2014م) ، كما تم الاستعانة ببعض الخرائط السطحية والعليا من أربعة مراكز عالمية، هي الهيئة العامة للأرصاد الجوية في الجمهورية اليمنية ، والمديرية العامة للأرصاد الجوية في الجمهورية العربية السورية ، ومركز الأرصاد الجوي بجدة في المملكة العربية السعودية ، والمركز العالمي للأرصاد الجوية في جمهورية ألمانية .

الاطار النظري للبحث

الرطوبة النسبية: هي مقدار بخار الماء الموجود فعلا في الهواء عند درجة حرارة معينة إلى مقدار ما يستطيع الهواء حملهُ لكي يصل إلى حالة التشبع، وهو في درجة الحرارة نفسها ([1])، وحالة التشبع هذه تحصل عندما يكون الهواء محملا بأقصى ما يحمله من بخار الماء ([2]) تتباين كمية الرطوبة النسبية في البلاد مكانياً وزمنياً، وتحددها عدة عوامل منها([3])التباينات الحرارية الشهرية والفصلية، و تأثير مواسم الأمطار، والمسطحات المائية ، وعامل الارتفاع .

حددت الرطوبة النسبية على أساس أن الهواء يكون رطوبته عالية إذا كانت أكثر من (80%) ورطباً بين (60- 80%) ومتوسطة الرطوبة (40- 70%)، ويكون الهواء جافاً، إذا كانت رطوبته أقل من(40%)،وشديد الجفاف دون (20%)، وعلى هذا الأساس وعند الرجوع إلى الجدول المتعلق بالرطوبة، نجد أن البلاد يوجد فيها جميع أنواع الرطوبة ، حيث نجد أن الرطوبة المرتفعة في المناطق الساحلية الحديدة(76.5%)، وأقل رطوبة وجفافا في محافظة مأرب(37%).

عندما تنخفض الرطوبة النسبية تزداد سرعة النتح، وتنخفض كمية التبخر النتح بزيادة الرطوبة عندما ترتفع درجة الحرارة كالهضبة الشرقية ([4])، (مأرب، شبوة، سيئون)، حيث تنخفض معدلات الرطوبة النسبية صيفاً، حيث سجلت (40 %، 66%، 46%)على التوالي .

وتعد الرطوبة النسبية من المؤثرات الجوية المهمة، بسبب العلاقة الدقيقة بينها وبين التبخر، حيث يزداد التبخر كلما انخفضت الرطوبة النسبية، وينعدم التبخر عندما ترتفع نسبة الرطوبة النسبية بالهواء إلى 100% ([5]).

تؤثر الرطوبة الجوية في بقية عناصر المناخ الأخرى، لأنها عامل أساسي في تكوين السحب ومظاهر التساقط المختلفة، وللتضاريس دور مهم في تحديد كمية الرطوبة النسبية ، وعلى وجه الخصوص في الإقليم الصحراوي (مأرب والجوف) ، ويتباين مقدار الرطوبة مع تكرار أنواع الكتل الهوائية ، مع خصائص السطح ، وتأثير الكتلة المدارية البحرية بعد مرورها في المسطحات المائية المجاورة، التي تساعد على رفع نسبة الرطوبة، وخصوصاً إذا كانت المؤثرات السائدة على اليابس المجاور مؤثرات بحرية، فأنها تعمل على خفض مقدار التباينات الحرارية([6])، كما أن لمواسم الأمطار دوراً في زيادة نسبة الرطوبة نتيجة لتكوين السحب، ويظهر ذلك في محطات تعز وإب وحجة، و تؤثر التباينات الحرارية الشهرية والسنوية في تباين كمية الرطوبة النسبية ، فارتفاع نسبة الرطوبة النسبية في المناطق الصحراوية خلال فصل الشتاء ، يعود إلى انخفاض في درجات الحرارة ، ويظهر في محطات سيئون ومأرب وشبوة.

---

[1]- عبدا لعزيز طريح شرف . الجغرافية المناخية والنباتية . ج. الطبعة الثانية دار المعارف . مصر 1961 ص146 .

[2]- على احمد غانم ، الجغرافيا المناخية ، دار المسيرة ، عمان ، 2003، ص 140.

[3]- عبدالله حيدر سالم . خصائص المناخ السياحي في اليمن . رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة البصرة 2003 ص36 .

[4]- علي عيد روس السقا ف . أساسيات إنتاج المحاصيل الحقلية . جامعة عدن ، كلية الزراعة . مطبعة الجامعة 1995 ص76 .

[5]- ماجد أحمد الورد. حوض وادي سرد ود، دراسة هيدرولوجية، رسالة ماجستير ، كلية التربية جامعة البصرة 2003م ص26.

[6]- فهمي علي سعيد.، الأمطار في اليمن ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الادآب ، جامعة بغداد ، 1998،ص47.

تتصف الكتلة البحرية برطوبة عالية بسبب منشئها البحري ، وهي أكثر رطوبة في الأقاليم الغربية والجنوبية من اليمن ، لوقوعها على المسطحات المائية المجاورة لها ، أمّا الأطراف الشمالية والشرقية ، فإنها تكون جافة، لوقوعها على سطح اليابس في العروض المدارية وشبه المدارية ، كما تتصف هذه الكتل بعدم استقراريتها ، مما يؤدي إلى حدوث تنوع في مظاهر الطقس وعملية التسخين التي تحدث لها تعمل على خفض الرطوبة النسبية فيها .

وفي حالة مرور الكتلة البحرية على المسطحات المائية المجاورة لمنطقة البحث تتسلم كميات من بخار الماء بواسطة التبخر ، وبذلك تبقى محتفظة برطوبة نسبية، لأنها تخضع لعمليات تدفئة مستمرة ، وينتقل بخار الماء في تيارات الحمل، ويختلط بأهوية أخرى تقع فوقه ، قد تكون كميات بخار الماء المستلمة من هذه الكتلة المدارية البحرية في أثناء النهار كبيرة ، ولاسيما مع الكتلة المدارية البحرية، التي تكون باردة عند أجزاء من هذه المسطحات المائية، وخاصة الغربية منها خلال فصل الشتاء وعلى الرغم من ذلك فإنها تبقى ذات رطوبة نسبية قليلة .

يتعرض اليمن للكتل المدارية البحرية ، التي تكتسب مزيداً من الرطوبة، نتيجة لمرورها على البحر الأحمر والبحر العربي وخليج عدن والخليج العربي ، فتتحول إلى هواء رطب مسبباً سقوط أمطار مع مرور الجبهات أحياناً في فصل الشتاء .

تتصف الكتل المدراية القارية بالجفاف الشديد في طبقاتها، بسبب الهبوط الديناميكي لهوائها وبسبب التسخين الشمسي السريع خلال النهار، والتبريد الإشعاعي السريع خلال الليل، ويرتفع محتواها من الرطوبة عند انتقالها من مناطق نشأتها القارية إلى مناطق أخرى بحرية أو رطبة([1]) .

تتباين كمية الرطوبة النسبية مكانياً و زمانياً في محطات منطقة البحث ، تبعاً للتباينات الحرارية الشهرية والفصلية ، وتأثير مواسم الأمطار والمسطحات المائية والتباينات التضاريسية ولاسيما عامل الارتفاع ([2]).

أ- التباينات المكانية للرطوبة النسبية:

1- إقليم السهول الساحلية:

ترتفع معدلات الرطوبة النسبية في إقليم السهل الساحلي، إذ تبلغ في محطات الحديدة وعدن والريان وسقطرى (76.5 % ، 68.8%، 68.1%، 68%)جدول (1)، ويرجع ذلك إلى مرور الكتل الهوائية البحرية، وتأثير عملية التبخر فوق المسطحات المائية لكل من البحر الأحمر والبحر العربي ، بسبب ارتفاع درجات الحرارة ([3])، ويزداد تكرار الكتلة المدارية البحرية من الغرب والجنوب على منطقة البحث ، وهذا يؤدي إلى رفع معدلات الرطوبة النسبية في هذه المحطات([4]). كما سجلت الرطوبة النسبية العظمى في ذات المحطات (96%، 92.8%، 94.8%، 90%) على التوالي ، والصغرى (57%، 42 %،42%،48%) .

2- إقليم المرتفعات:

يظهر في هذا الإقليم بعامّة انخفاض نسبي في قيم الرطوبة النسبية ، ويعزى إلى البعد عن المؤثرات البحرية التي تصاحب الكتل البحرية، والتي تصله وقد أفرغت حمولتها من بخار الماء بعد اصطدامها بهذه المرتفعات، وتمثله المحطات (صعده، صنعاء، ذمار، إب، تعز وقد

[1] - حسن سيد أبو العينين ، أصول الجغرافيا المناخية ، دار النهضة العربية ، بيروت 1985ص 200 .

[2] -عبد القادر عساج إسماعيل ، مناخ اليمن ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الأنبار ، العراق ، 1996، ص 75

[3] - يحيى الو شلي . محافظة الحديدة ، دراسة إقليمية ، رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة بغداد1996 ص88

[4] - فهمي علي سعيد ، مرجع سابق، ص52.

سجلت المعدلات السنوية للرطوبة النسبية فيها(48.8%،53.3%، 50 % ،66.3 % ،61.7%) على التوالي، ويرجع انخفاض قيم الرطوبة النسبية في صعده إلى تكرار الكتل المدارية الآسيوية القارية ، وقربها من المؤثرات الصحراوية، لأن الكتل الهوائية القادمة إلى هذه المنطقة تتسم بالجفاف من أسيا وأواسط شبه الجزيرة العربية، إضافة إلى أنها تحمل ذرات رملية تعمل على امتصاص بخار الماء([1])، مما يؤدي إلى سيادة سمة الجفاف على أجزاء من هذا الإقليم.

ترتفع قيم الرطوبة في محطة إب الواقعة في وسط نطاق المرتفعات، حيث سجلت في شهر تموز(63.8 %)،ويرجع السبب لامتداد الكتل البحرية الرطبة التي تؤدي إلى الأمطار بكميات كبيرة،بعد اصطدامها بهذه المرتفعات(1473.4 ملم) ،والتي غالباً ما يصاحبها تشكل السحب، بالإضافة إلى كثافة الغطاء النباتي للمرتفعات، مع الإشارة إلى أن الارتفاع في مقدار الرطوبة في الجو يؤدي إلى حدوث ظاهرة الندى، والتي تعد مصدراً مكملاً للأمطار، مع حدوث ظاهرة الضباب في المرتفعات، فقد سجلت قيم الرطوبة العظمى في نفس المحطات على التوالي(68%،91%، 93.6%،95%،96.4%)،وهذا يقلل من أشعة الشمس الساقطة وزيادة نسبة الضباب في الجو،ومن ثم انخفاض درجة الحرارة وارتفاع نسبة الرطوبة(1م) قيم الرطوبة الصغرى (94%، 10.5%، 15%، 37.6%، 27%)على التوالي جدول (2)

[1]- حلمي عبدا لقادر . مدخل إلى الجغرافية المناخية والحيوية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1987 ص169.

جدول (1) معدل الرطوبة النسبية في محطات منطقة البحث للفترة من 2010 – 2014م .
المصدر : الهيئة العامة للأرصاد الجوية ، إدارة المناخ ، بيانات غير منشورة ، صنعاء ، 2010

		يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيو	يوليو	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	المتوسط السنوي
السهول الساحلية	الحديدة	73	71.8	74	74	73.3	76	76.5	75.5	75.5	72	71	71.5	73.6
	عدن	57.6	63.7	64.8	65.2	66.2	68	67.4	65.8	68.8	63	63.7	64.1	64.9
	الريان	60	64.9	60.4	66.7	67.2	67.8	68	68.1	66.5	66.8	64.5	63.5	65.4
	سقطرى	65	64.5	66.5	67.5	63	68	68	68	65.3	64.5	64.5	64.5	65.8
المرتفعات الغربية والمناطق الداخلية	ذمار	48	46.2	47.3	45.8	48.6	50	49.3	47.5	48	46.8	45	49	47.6
	إب	54	56	54.8	57	57.8	63.8	65.3	66.3	64.5	61.5	58	56.6	59.6
	حجه	60.3	60.0	57.3	57.7	53.4	48.5	53.6	55.6	51.6	48	54	58.5	54.9
	لحج	70.6	70.6	69	66.3	64.7	63.3	62.7	64	66.8	65.7	64.3	68	66.3
	صنعاء	48.5	47.2	45.7	47	48	48.4	49	52.5	53.3	49.5	47.7	47	44.8
	تعز	58.5	56.9	56.5	56.6	55	58.8	60.1	61.7	58.3	55.4	54.7	55.5	57.3
	صعدة	47.5	47.5	47	44	45.4	46.5	48	48.3	46.7	47	48	48.8	47.1
الاقليم الصحراوي	سيئون	50.5	47.4	47.9	44.5	46.3	46.5	46	44	46.5	45	44.5	49.5	46.6
	شبوة	64	62	54	55	63	71	66	77	73	52	43	47	60.6
	مأرب	45	43	42.5	44.5	43	42	40	41.5	37.8	37	39.5	43	41.6

والعلاقة عكسية بين الرطوبة النسبية ودرجة الحرارة ،أي كلما ارتفعت درجة الحرارة انخفضت الرطوبة النسبية والعكس صحيح ، وتكرار الكتل الهوائية المدارية يزيد من درجة الحرارة ويقلل من الرطوبة النسبية، بينما الكتل الباردة تخفض الحرارة وتزيد من الرطوبة ، ولا ننسَى العوامل الأخرى التي تؤثر في الرطوبة النسبية.

3- الإقليم الصحراوي الشرقي:

تنخفض قيم الرطوبة النسبية إذ بلغت أدنى قيمها في محطات هذا الإقليم الذي يضم (مأرب، سيئون ،شبوة) والتي سجلت (44.5%،49.5% ،77%) على التوالي، وتمثل محطة مأرب أدنى قيم الرطوبة على مستوى منطقة البحث، يرجع سبب ذلك إلى تكرار الكتل المدارية القارية، والتي ترتفع فيها درجة الحرارة صيفاً، ومجاورة هذا الإقليم الصحراوي لصحاري الجزيرة العربية وندرة الغطاء النباتي ([1])، نتيجة لقلة الأمطار وانعدامها أحياناً ، حيث لا تتجاوز كمياتها في بعض السنوات مثل عام 1984 م بلغ (20 ملم) بالإضافة إلى سيادة الجفاف، وهبوب الرياح الشمالية الشرقية الجافة شتاءً، والتي تقوم ذراتها الرملية بامتصاص ذرات بخار الماء من الجو مما يقلل من الرطوبة السببية([2]) ، كما أشار جدول (2) إلى قيم الرطوبة النسبية العظمى (77%، 89 ،90%) فيما سجلت الرطوبة النسبية الصغرى(12%، 11.2% 13%) .

ب - التباينات الفصلية للرطوبة النسبية :

الرطوبة النسبية تختلف في اليمن باختلاف الفصول ،ويعزى ذلك إلى تأثير العوامل الثابتة والمتغيرة في اليمن، حركة وتكرارات الكتل الهوائية والضغوط الجوية، كما هو الحال في فصلي الربيع والصيف في معظم المحطات الساحلية ، وفصلي الخريف والشتاء في المحطات الصحراوية جدول (3)

1- **فصل الشتاء** :

محطات السهل الساحلي في فصل الشتاء ، ترتفع فيها قيم الرطوبة النسبية ، فقد سجلت في الحديدة (72.1%) وعدن(61.8%) والريان (62.8%) وسقطرى (64.7%) ، في حين تكون عند أطراف الجبال مرتفعة في لحج (69.7%) ، في حين تنخفض في المرتفعات والهضاب الوسطى في صعده شمال اليمن وتعز في الجنوب (47.9 %) (57%) على التوالي، وتتراوح في المناطق التي بينها، وتقل عن (50%) في محطات الصحاري الداخلية ، نتيجة لتكرار الكتل الهوائية المدارية وهبوب الرياح الشمالية الشرقية الجافة .

إلى المناطق الشمالية والشرقية، وهي قليلة الرطوبة في مأرب وسيئون(41.7 %،45.5 %) على التوالي.

2- فصل الخريف :

الرطوبة النسبية في الخريف أقل مما هي عليه في بقية الفصول، إذ إنها منخفضة في الإقليم الساحلي عدن (65.2 %) والريان (65.9 %) ، وأعلى قيمة في الحديدة(72.8 %) ، فيما سجلت الرطوبة النسبية انخفاضاً في المرتفعات أكثر من السواحل، والتي تراوحت بين 51.2% في حجة وفي صنعاء (50.2 %) وفي إب (61.3 %)، ويرجع ذلك إلى تكرار الكتل الهوائية الحارة، و قلة الأمطار والغطاء النباتي وأدنى قيم سجلت في الإقليم الصحراوي في مأرب(38.1 %) وسيئون(45.3 %) وفي شبوة (56 %) وهي تظهر مدى قلة الرطوبة، وسيادة أحوال الجفاف في هذا الإقليم .

[1]- حميد سعيد المخلافي. اليمن دراسة في الجغرافية السياسية ، مرجع سابق ص38.

[2] - حسين إبراهيم قطريب ، نحو منظومة متكاملة في وسائل وتقنيات الاستفادة من مياه الأمطار في أشكال سطح الأراضي الجافة ، مجلة الجمعية الجغرافية اليمنية ، 2007، ص189.

الاقاليم		يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيو	يوليو	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
السهول الساحلية	الحديدة	93	91	94	94	93.6	95	96	96	94	93	92	92
	عدن	90	90.8	90.6	90.2	90.5	92	92.8	92.6	91.2	91	90.3	89.2
	الريان	90.3	92	91	93.4	94.6	95	94.8	94.2	93	94.5	92	91
	سقطرى	87	85	88	90	87	90	89	88	84	85	86	87
المرتفعات الغربية والجنوبية والمناطق الداخلية	صعدة	85	81	82	78	79.8	80	82	83	81	82	83	86
	صنعاء	89	87	85	86	88	88	89	90	91	90	88	87
	ذمار	84	91.4	93	91	93.6	85	84	83	84	81.5	90	85
	إب	83.5	87	87.5	91	92	93.5	94	95	94	92	91	89
	تعز	94	93.8	95	95	90	94.4	95.4	96.4	94	93	92	93
الاقليم الصحراوي	مأرب	77	75	74	77	75	74	72	74	68	66	69	75
	سيئون	89	86	87.5	82	84	85	83	80	84	82	80	88
	شبوة	85	82	87	88	89	88	90	83	79	81	80	82

جدول (2) معدل قيم الرطوبة النسبية العظمى في بعض محطات منطقة البحث للفترة من 2010حتى 2014م

المصدر : الهيئة العامة للأرصاد الجوية ، إدارة المناخ ، بيانات غير منشورة ، صنعاء ، 2010م.

جدول(3) قيم الرطوبة النسبية الصغرى في محطات منطقة البحث للفترة من 2010- 2014م.
المصدر : الهيئة العامة للأرصاد الجوية ،إدارة المناخ ، بيانات غير منشورة، الجمهوري اليمنية 2010

الاقاليم		يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيو	يوليو	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
السهول الساحلية	الحديدة	53	52.6	54	54	53	56	57	55	57	51	50	51
	عدن	25.6	36	39	40.2	42	44	42	39	36	35	37	39
	الريان	29.6	37.8	29.8	40	39.8	40.5	41.2	42	40	39	37	36
	سقطرى	43	44	45	45	39	46	47	48	46.5	44	43	42
المرتفعات الغربية والجنوبية والمناطق الداخلية	صعدة	10	14	12	10	11	13	14	13.5	12.4	12	13	11.5
	إب	24.5	25	22	23	23.5	34	36.6	37.6	35	31	25	24.3
	صنعاء	8	7.4	6.5	8	8	8.8	9	10	10.5	9	7.8	7
	حجه	10	14	11	10	12	12	13	13	12	11	13	12
	لحج	26	29	32	21	36	27	28	25	22	29	31	34
	تعز	23	20	18	18.2	20	23.2	24.8	27	22.5	17.8	17.4	17.9
	ذمار	12	11	11.5	10.5	13.5	15	14.6	12	14	12	10	13
الاقليم الصحراوي	شبوة	11.2	10.5	12	10	9	9.5	8	9	10	11	12	13
	سيئون	12	8.8	8.2	7	8.5	8	8.9	8	9	8	7	11.2
	مأرب	13	11	11	12	11	10	8	9	7.5	8	10	11

جدول(4)المعدلات الفصلية للرطوبة النسبية لمحطات منطقة البحث

المصدر : من عمل الباحث اعتمادا على جدول رقم (2) .

الاقاليم	المحافظات	فصل الشتاء ديسمبر - فبراير	فصل الربيع مارس - مايو	فصل الصيف يونيو - أغسطس	فصل الخريف أكتوبر – نوفمبر
السهول الساحلية	الحديدة	72.1	73.8	76	72.8
	عدن	61.8	65.4	67.1	65.2
	سقطرى	64.7	65.7	68	64.8
	الريان	62.8	64.8	68	65.9
المرتفعات الغربية والجنوبية والمناطق الداخلية	صعدة	47.9	45.5	47.6	47.2
	إب	55.5	56.5	65.1	61.3
	حجه	59.6	56.1	52.6	51.2
	لحج	69.7	66.7	63.3	65.6
	صنعاء	47.6	46.9	50	50.2
	تعز	57	56	60.2	56.1
	ذمار	52.6	47.2	48.9	46.6
الاقليم الصحراوي	سيئون	49.1	46.2	45.5	45.3
	شبوة	57.7	57.3	71.3	56
	مارب	43.7	43.3	41.7	38.1

3- فصل الربيع :

تستمر في فصل الربيع الرطوبة النسبية بالارتفاع ولاسيما في الحديدة (73.8 %) وعدن (65.4 %) والريان (64.8 %) وتحافظ على ارتفاعها عند أطراف الجبال في لحج(66.7 %) وإب(56.5%) وحجة(56.1%) في حين تتراجع في الإقليم الصحراوي نسبيا، فسجلت في مأرب(43.3%) وفي شبوة(57.3%) وسيئون(46.2)، بينما تكون في إقليم المرتفعات متفاوتة بين الزيادة في ذمار(47.2%)وتعز (56 %) ومتناقصة في صعده (45.5 %) وفي صنعاء (46.9 %)، وتعود زيادة الرطوبة النسبية في هذا الفصل إلى امتدادات تكرار الكتل الهوائية من المسطحات المائية المجاورة، بالإضافة إلى أن هذا الفصل هو بداية موسم الأمطار .

4- فصل الصيف :

الرطوبة النسبية في فصل الصيف تتأثر بموسم الأمطار الفصلية ،فهي متقاربة مع فصل الربيع حيث تتراوح بين(50%) في صنعاء وفي صعده (47.6%) وتزيد في تعز (60.2%) ،في الوقت الذي تكون في السهل الساحلي تتراوح بين (67.1% ،76%) في عدن والحديدة ،و(68 %) في كل من سقطرى والريان ، ويرجع ذلك إلى حركة التيارات البحرية والكتل الهوائية على المسطحات المائية المجاورة في المحيط الهندي والبحر الأحمر والبحر

العربي ،والتي تترك جزءًا كبيراً من حمولتها من الرطوبة في السواحل ([1])، وتوزع ما تبقى عندما تتوغل نحو المناطق الداخلية .

التحليل الإحصائي لأثر تكرار الكتل الهوائية في معدلات الرطوبة النسبية

اساسيات التحليل الاحصائي للبيانات:

يقوم التحليل الإحصائي في هذا البحث على استخدام أساليب إحصائية، وطرق تتناسب وطبيعة الموضوع ، و البيانات المراد تحليلها ، لتحقق الوصول إلى توضيح العلاقة بين العناصر المناخية ، وبين الكتل الهوائية . وسوف نركز في هذا البحث على الرطوبة النسبية (كمتغيرات تابعة) والكتل الهوائية (كمتغيرات مستقلة)، بالاعتماد على البيانات الحرارية الشهرية المسجلة لمعدلات الرطوبة النسبية وتكرارات الكتل الهوائية المسجلة ، وتمثل البرنامج الإحصائي المستخدم هو (SPSS.13) .

ولما كان هناك أكثر من طريقة في هذا البرنامج لتحليل الانحدار ، فقد استخدم الباحث معادلة خط الانحدار المتعدد (R^2) ، وهي تحدد مقدار العلاقة بين المتغيرات المستقلة (الكتل الهوائية)، والمتغيرات التابعة جميعها(الرطوبة النسبية) ، وتظهر إسهام كل عنصر من المتغيرات المستقلة على حدة بالنسبة للمتغيرات التابعة ، كما تظهر هذه الطريقة أيضاً التأثيرات الجزئية، التي تقوم بحساب العلاقة بين متغيرين مع تثبيت أو عزل متغيرات أخرى، وقد كانت نتائج هذه الأساليب الإحصائية أكثر توضيحاً للتأثير من بقية الطرق في برنامج تحليل الانحدار ، وعلى الرغم من وجود بعض الاختلافات في العمليات الحسابية لكل نوع من أنواع التحليل التي تم رصدها، إلا أنها في الاتجاه نفسه تقريباً، وهو تحليل معدل خط الانحدار للعلاقة بين متغيرين أو عدة متغيرات (2) .

نخلص إلى أن التحليل الإحصائي، هو لمعرفة تأثير الكتل الهوائية بصفة عامة في الرطوبة النسبية ، ثم معرفة التأثيرات الجزئية لكل كتلة على حدة، ومدى تأثيرها في هذه الرطوبة النسبية ، بعدها تم معرفة نوع العلاقة الارتباطية بالاعتماد على معامل بيرسون كلً على حدة، وتأثيرها على الرطوبة النسبية (إيجابية أو عكسِية) ، ومعرفة ذلك بواسطة دلالتها الإحصائية، وهل هي معنوية أو غير معنوية، وإذا كانت غير معنوية فهذا يشير إلى أنها غير مؤثرة لأنها غير دالة إحصائياً وغير معنوية، والعكس صحيح.

1- **محطة صنعاء** :

يوضح الجدول(5) وجود علاقة تأثير معنوية بين الكتل الهوائية ومعدل الرطوبة النسبية، حيث يشير معامل التحديد(R^2)للنموذج العام إلى أن(0.71)من تكرارات الكتل الهوائية تؤثر في معدل الرطوبة النسبية، كما يؤكد ذلك قيم(F)المحسوبة فهي ذات دلالة إحصائية عند مستوى معنوية مقبولة.

[1] - The contribution of evapontion from the Great lakes to the continual atmosphere; estimate based on staled isotope date .Geophysied Search letters vol .21، 560، 1994.p162.

[2] - صفوح خير، الجغرافية،موضوعها، ومناهجها، وأهدافها ،ط2 ، دار الفكر، دمشق ،سورية ، 2002 ، ص89.

بالنسبة للتأثيرات الجزئية للكتل الهوائية، التي وضحتها معامل(beta)وبدلالة قيم(t)المحسوبة، والتي أشارت إلى عدم وجود تأثيرات جزئية للكتل الهوائية، كل واحدة، منها على حدة ،على معدل الرطوبة النسبية فيما يخص الرطوبة النسبية العظمى، كما يشير الجدول إلى وجود علاقة تأثير معنوية للكتل الهوائية على الرطوبة النسبية العظمى، كما أشار إليه معامل(R^2)وبدلالة قيم(f)المحسوبة إلى أن(0.72) من تكرارات الكتل الهوائية يؤثر في الرطوبة النسبية العظمى، المقاسة ليلاً في هذه المحطة وغيرها،وهي ذات دلالة إحصائية معنوية مقبولة.

إنّ التأثيرات الجزئية للكتل الهوائية بينت أن الكتل السيبيرية والكتل المدارية الآسيوية لها أثر مهم في الرطوبة النسبية، فكلما زادت تكرارات الكتل السيبيرية انخفضت الرطوبة النسبية العظمى، والعكس فيما يخص الكتلة المدارية الآسيوية والأفريقية التي تزيد من الرطوبة النسبية كلما انخفض تكرارها ، وكلما نقصت درجة الحرارة زادت الرطوبة النسبية والعكس صحيح، وليس للكتل الهوائية تأثيرات جزئية على معدل الرطوبة العظمى . أما فيما يتعلق بمعدل الرطوبة النسبية الصغرى

في محطة صنعاء فقد وضح الجدول (1) والشكل البياني (1)وجود علاقة تأثير معنوية للكتل الهوائية مع الرطوبة النسبية الصغرى، حيث أشار معامل التحديد(R^2) إلى أن (78) من تكرار الكتل الهوائية يؤثر في الرطوبة النسبية الصغرى بدلالة قيم (f) المحسوبة وبدلالة معنوية إحصائية مقبولة ، بينما أشارت التأثيرات الجزئية لهذه الكتل، إلى عدم وجود تأثيرات جزئية لها على معدل الرطوبة النسبية الصغرى .

أما علاقة الارتباط بين الكتل الهوائية ومعدلات الرطوبة النسبية والعظمى والصغرى فموجودة ، ولكنها غير دالة إحصائياً، وغير معنوية في أغلبها، ما عدا تأثير الكتلة السيبيرية التي سجلت قيم (0.71-) كانت العلاقة عكسية ،أي أنه كلما تكررت الكتلة السيبيرية زادت الرطوبة النسبية العظمى .والعكس صحيح، والمدارية الآسيوية والأفريقية (0.86، 0.58) وهي ذات دلالة إحصائية معنوية مقبولة علاقة إيجابية، أي كلما زادت تكرار هاتين الكتلتين انخفضت الرطوبة النسبية العظمى، وهو صحيح بالنسبة للأولى، وهو غير واضح بالنسبة للثاني.

2- محطة عدن:

وضح الجدول(5) وجود علاقة تأثير معنوية للكتل الهوائية في معدلات الرطوبة النسبية والعظمى والصغرى، حيث يشير معامل التحديد(R^2)للنموذج العام وبقيم(f)والمحسوبة إلى أن(0.76، 0.83، 0.80)على التوالي ،وهي ذات دلالة إحصائية معنوية مقبولة عموماً، وتعني أن الكتل الهوائية تؤثر في معدلات الرطوبة النسبية الثلاثة في هذه المحطة.

التأثيرات الجزئية للكتل الهوائية في معدلات الرطوبة النسبية، والتي بينَها معامل beta وبدلالة قيم(t)المحسوبة، حيث وجود تأثير للكتلة المدارية البحرية، التي تؤثر في هذه المحطة بوصفها منطقة ساحلية مفتوحة على الخليج والبحر العربي ، مما يجعلها تكتسب أكبر قدر من الرطوبة النسبية، التي تخفض من حدتها ارتفاع معدلات درجة الحرارة نهاراً(0.83، 0.89، 0.64) على التوالي، ولكنها على الرغم من ذلك مرتفعة الرطوبة، وهي ذات دلالة إحصائية معنوية مقبولة.

أما بقية الكتل الهوائية فقد حدد معامل Beta عدم وجود تأثير معنوية لها ، وهي غير دالة إحصائياً، وغير معنوية، كما هو موضح في جدول التحليل الإحصائي والأشكال البيانية (2).

أمّا علاقة الارتباط بين الكتل الهوائية ومعدل الرطوبة النسبية والرطوبة العظمى والصغرى، فقد وضح الجدول وجود علاقة ارتباط متفاوتة بين الكتل الهوائية وهذه المعدلات، وهي ذات دلالة إحصائية ومعنوية مقبولة.حيث سجلت الكتلة السيبيرية مع معدل الرطوبة،

والرطوبة العظمى والصغرى(0.70-، 0.65-،0.57-)على التوالي وهي نسب متوسطة وعلاقة عكسية بين الكتلة السيبيرية ومعدلات الرطوبة ، وهي تعني أنه كلما زادت تكرار هذه الكتلة انخفضت معدلات الرطوبة النسبية والعكس صحيح.

فيما جاءت علاقة الارتباط بين الكتل الهوائية الأخرى وبين معدلات الرطوبة النسبية، الكتلة المدارية الآسيوية(0.79، 0.82، 0.67)، والكتلة المدارية البحرية(0.64، 0.79، 0.42) ،والكتلة المدارية الأفريقية(0.67، 0.85، 0.76)، الكتلة الأوروبية(0.72، 0.61، 0.72)، فالكتل الهوائية المدارية الآسيوية والأفريقية، تؤدي إلى رفع درجة الحرارة مع خفض الرطوبة النسبية،وهذا مغاير لما هو موضح في هذا التحليل، بينما جاءت الكتلة المدارية البحرية بعلاقة جيدة مع الرطوبة النسبية،حيث تؤدي إلى رفع معدلات الرطوبة النسبية، مع زيادة تكراراها، بوصفها منطقة ساحلية، تتعرض مثل هذه الكتل وتزيد من رطوبته

جدول(5) تحليل أثر تكرار الكتل الهوائية في معدلات الرطوبة النسبية في محطات صنعاء وعدن..
المصدر من عمل الباحث اعتمادا على الجداول المناخية.

المحطات	العناصر المناخية	الكتل الهوائية	الأرتباط	Sig 0.05	الانحدار المتعدد					
					معامل Beta	T	Sig 0.05	معامل التحديد R^2	F	Sig 0.05
صنعاء	معدل الرطوبة النسبية	السيبيرية	0.51	غ	0.02	0.03	غ	0.71	2.9	م
		مدارية أسيوية	0.34	غ	0.22	0.42	غ			
		مدارية بحرية	0.74	غ	1.18	2.9	م			
		مدارية أفريقية	0.31	غ	-0.45	-0.72	غ			
		الأوروبية	0.14	غ	0.42	0.89	غ			
	الرطوبة النسبية العظمى	السيبيرية	0.42	غ	0.33	0.47	غ	0.72	6.9	م
		مدارية أسيوية	0.16	غ	0.05	0.14	غ			
		مدارية بحرية	0.71	غ	1.41	0.00	م			
		مدارية أفريقية	0.31	غ	0.27	-0.61	غ			
		الأوروبية	0.02	غ	0.61	1.80	غ			
	الرطوبة النسبية الصغرى	السيبيرية	0.71	م	-0.23	0.54	غ	0.78	8.9	م
		مدارية أسيوية	0.51	غ	0.26	0.76	غ			
		مدارية بحرية	0.86	م	1.1	4.3	م			
		مدارية أفريقية	0.58	م	-0.46	1.1	غ			
		الأوروبية	-0.23	غ	0.39	1.27	غ			
عدن	معدل الرطوبة النسبية	السيبيرية	-0.70	م	0.34	0.56	غ	0.76	3.8	م
		مدارية أسيوية	0.79	م	0.43	0.87	غ			
		مدارية بحرية	0.64	م	-0.89	1.5	م			
		مدارية أفريقية	0.85	م	0.62	1.7	غ			
		الأوروبية	-0.61	م	0.13	0.31	غ			
	الرطوبة النسبية العظمى	السيبيرية	-0.65	م	-0.25	-0.49	غ	0.83	5.9	م
		مدارية أسيوية	0.82	م	0.53	1.30	غ			
		مدارية بحرية	0.79	م	0.53	1.76	غ			
		مدارية أفريقية	0.67	م	0.57	-1.20	غ			
		الأوروبية	-0.72	م	0.28	-0.76	غ			
	الرطوبة النسبية الصغرى	السيبيرية	-0.57	م	0.27	-0.49	غ	0.80	4.8	م
		مدارية أسيوية	0.67	م	-0.29	-0.65	غ			
		مدارية بحرية	0.42	غ	-0.64	-1.9	غ			
		مدارية أفريقية	0.76	م	0.86	1.6	غ			
		الأوروبية	-0.70	م	-0.64	-1.6	غ			

شكل (1) تأثير الكتل الهوائية في معدل الرطوبة النسبية في محطة صنعاء.

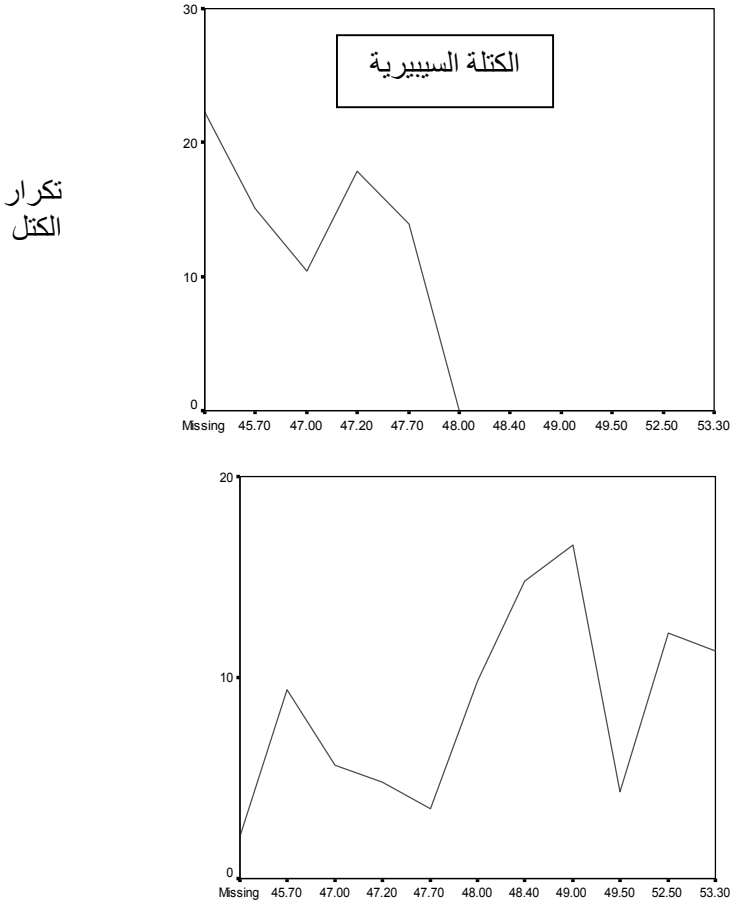

الكتلة المدارية الأفريقية

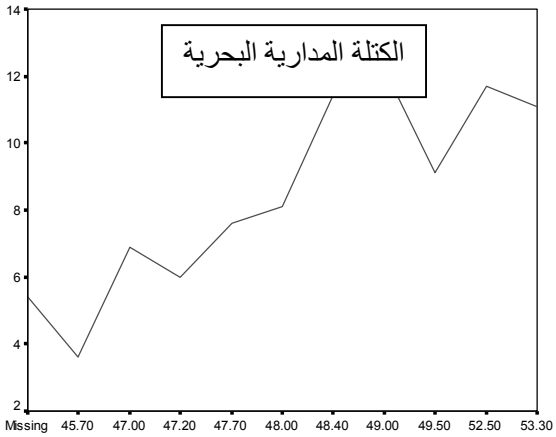

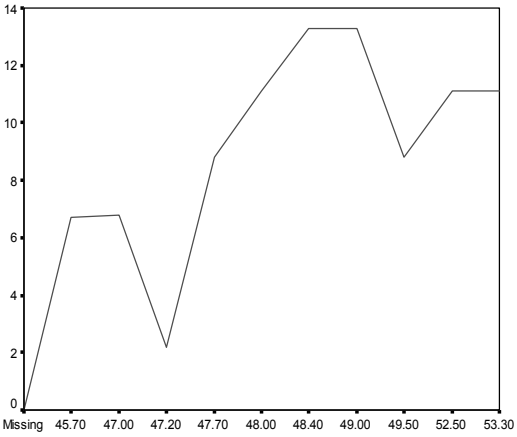

معدل الرطوبة النسبية

معدل الرطوبة النسبية

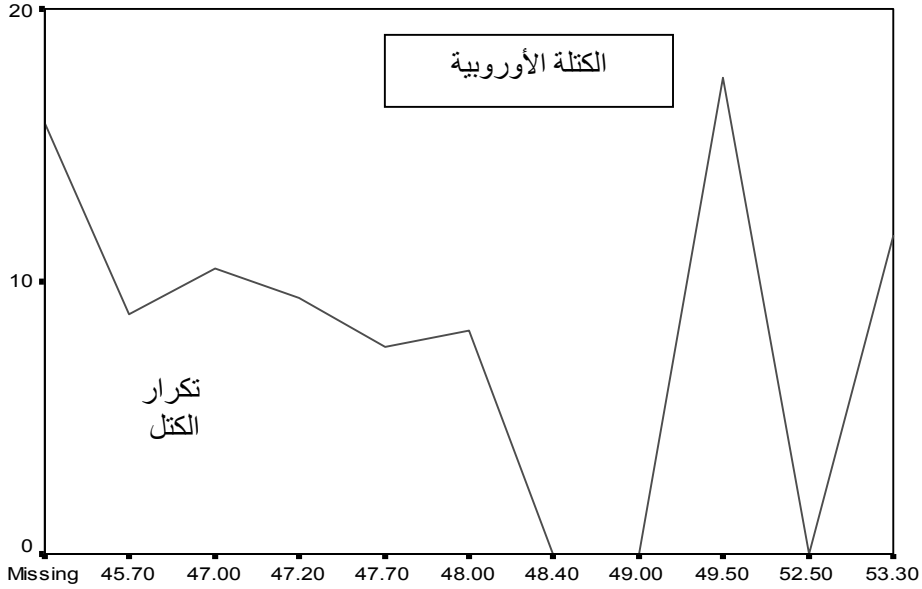

المصدر : من عمل الباحث اعتماداً على جدول (5).

شكل (2) تأثير الكتل الهوائية في معدل الرطوبة النسبية في محطة عدن.

الكتلة المدارية الآسيوية القارية

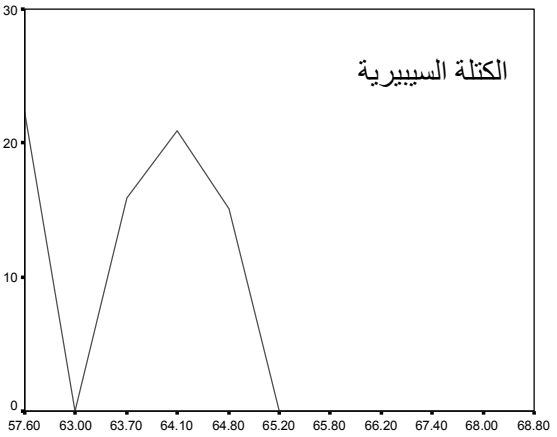

تكرار
الكتل

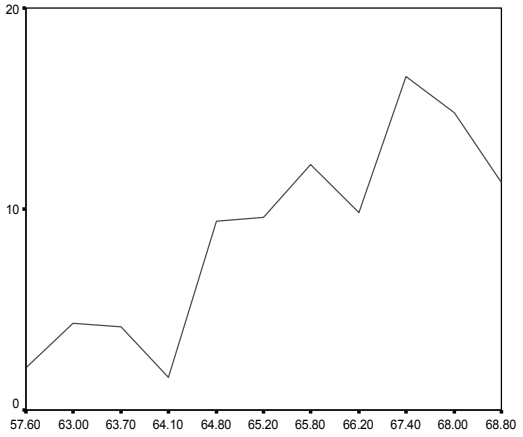

معدل الرطوبة النسبية

معدل الرطوبة النسبية

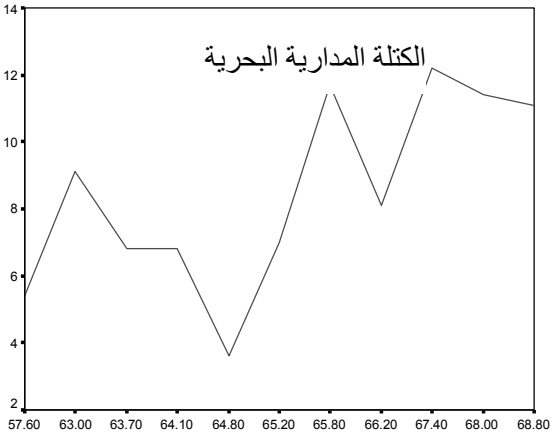

الكتلة المدارية الأفريقية

تكرار الكتل

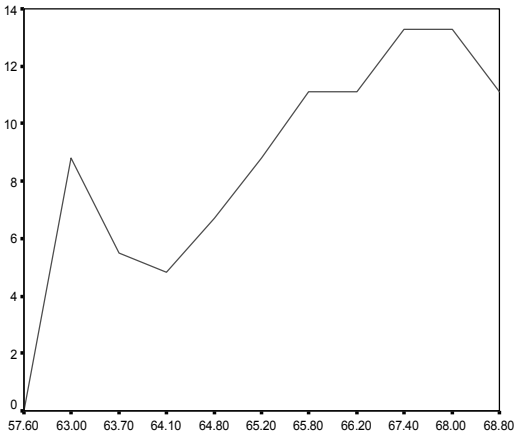

معدل الرطوبة النسبية

معدل الرطوبة النسبية

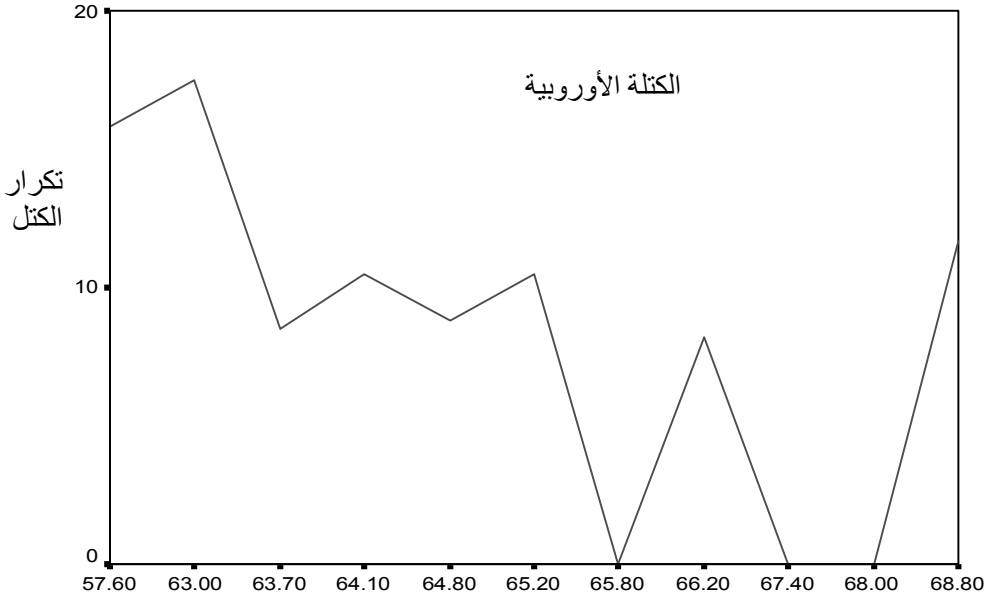

المصدر : من عمل الباحث اعتماداً على جدول (5)

3- محطة تعز:

وضح الجدول(6) وجود علاقة تأثير معنوية للكتل الهوائية في معدل الرطوبة النسبية العظمى والرطوبة النسبية الصغرى،حيث أشار معامل التحديد(**R^2**)لنموذج العام إلى أن(0.85، 0.47، 0.73) من نسبة التأثير في معدلات الرطوبة النسبية هي من الكتل الهوائية، كما أكدت ذلك قيم(f)المحسوبة، ، فهي ذات دلالة إحصائية معنوية مقبولة مع معدل الرطوبة النسبية، والرطوبة النسبية الصغرى،وغير معنوية مع الرطوبة النسبية العظمى.

التأثيرات الجزئية للكتل الهوائية لمعاملbetaبدلالة(t)المحسوبة،أشارت إلى وجود تأثير للكتل الهوائية المدارية الآسيوية القارية والبحرية (0.90، 0.85)على التوالي في الرطوبة، وتعني الأولى زيادة درجة الحرارة وانخفاض معدل الرطوبة وزيادة تكرار الثانية البحرية يؤدي إلى زيادة معدل الرطوبة النسبية، وهي ذات دلالة إحصائية معنوية مقبولة، وغير معنوية مع بقية الكتل، أما فيما يتعلق بالرطوبة النسبية العظمى فالتأثيرات الجزئية للكتل الهوائية غير دالة إحصائياً، وغير معنوية، وتعني عدم تأثير الكتل الهوائية كل على حدة في الرطوبة النسبية العظمى.

إنّ الرطوبة النسبية الصغرى جاءت من تأثيرات الكتل الهوائية غير دالة إحصائياً، وغير معنوية ماعدا تأثير الكتلة المدارية البحرية التي سجلت(0.97)وبدلالة قيم(t)المحسوبة وهي ذات دلالة إحصائية معنوية مقبولة،وهي تؤدي إلى زيادة نسبة الرطوبة النسبية، قد يكون لوقوعها في المناطق المفتوحة على البحر الأحمر من هذه المحطة.

أمّا علاقة الارتباط بين الكتل الهوائية ومعدلات الرطوبة النسبية ، فجاءت ضعيفة وغير معنوية ، لاسيما مع معدل الرطوبة النسبية العظمى، فيما جاءت علاقة الارتباط مع الرطوبة

النسبية الصغرى إيجابية، ومتوسطة مع المدارية الآسيوية(0.61) ومع المدارية البحرية

الانحدار المتعدد	Sig 0.05	الأرتباط	الكتل الهوائية	¶ ¬ ⊐ ٩	٩ ١

(0.67-) ومع الأوروبية (0.60-) وكذلك جاءت مع معدلات الكتل نفسها بالقيم (0.62، 0.58، 0.59-) على التوالي .

قد تكون هناك أسباب أخرى تؤدي إلى تأثير هذه الكتل في معدلات الرطوبة النسبية في هذه المحطة ، وعموماً هناك جزء مفتوح من هذه المنطقة يطل على المسطح المائي البحر الأحمر ، والتي يزيد فيه نشاط الكتلة المدارية البحرية، التي تزيد من معدلات الرطوبة النسبية ، وكذلك يتكرر وصول الكتل الأخرى الإفريقية والآسيوية ، والتي تؤدي إلى انخفاض الرطوبة ولاسيما في النهار، مع أنها ترفع من معدلات درجة الحرارة.

جدول(6) تحليل أثر تكرار الكتل الهوائية في معدلات الرطوبة النسبية في محطات تعز وذمار.

		السيبيرية	-0.30	غ	-0.09	-0.18	غ			
	معدل الرطوبة النسبية	مدارية أسيوية	0.62	م	0.90	2.3	م			
		مدارية بحرية	0.58	م	0.85	2.9	م	0.85	6.8	م
		مدارية أفريقية	0.27	غ	-1.36	-2.9	م			
		الأوروبية	-0.59	م	-0.25	-0.72	غ			
		السيبيرية	-0.13	غ	-0.11	-0.12	غ			
	الرطوبة النسبية العظمى	مدارية أسيوية	0.44	غ	0.93	1.27	غ			
تعز		مدارية بحرية	0.24	غ	0.32	0.60	غ	0.47	1.1	غ
		مدارية أفريقية	0.09	غ	1.12	1.32	غ			
		الأوروبية	-0.39	غ	-0.17	0.27	غ			
		السيبيرية	0.35	غ	0.08	-0.16	غ			
	الرطوبة النسبية الصغرى	مدارية أسيوية	0.61	م	0.73	1.92	غ			
		مدارية بحرية	0.67	م	0.97	2.5	م	0.73	7.2	م
		مدارية أفريقية	0.33	غ	1.3	-2.8	م			
		الأوروبية	-0.60	م	0.26	0.76	غ			
		السيبيرية	-0.19	غ	1.19	1.20	غ			
	معدل الرطوبة النسبية	مدارية أسيوية	0.46	غ	1.05	1.41	غ			
		مدارية بحرية	0.43	غ	0.68	1.24	غ	0.44	0.94	م
		مدارية أفريقية	0.32	غ	0.32	0.36	غ			
		الأوروبية	-0.39	غ	0.00	0.83	غ			
		السيبيرية	-0.20	غ	-0.59	-0.95	غ			
	الرطوبة النسبية العظمى	مدارية أسيوية	-0.07	غ	-0.19	-0.39	غ			
		مدارية بحرية	0.60	م	1.49	-4.01	غ	0.75	3.59	غ
		مدارية أفريقية	0.15	غ	0.31	0.52	غ			
ذمار		الأوروبية	0.003	غ	-0.59	1.33	غ			
		السيبيرية	-0.42	غ	1.24	1.73	غ			
		مدارية أسيوية	0.60	م	1.15	1.97	غ			
	الرطوبة النسبية الصغرى	مدارية بحرية	0.63	م	0.85	1.98	غ	0.67	2.30	غ
		مدارية أفريقية	0.53	غ	0.53	0.77	غ			
		الأوروبية	-0.40	غ	0.82	1.59	غ			

المصدر: من عمل الباحث اعتماداً على جداول العناصر المناخية .

4- ذمار :

يوضح الجدول (6) عدم وجود علاقة تأثير معنوية للكتل الهوائية في الرطوبة النسبية ، بدلالة إحصائية غير معنوية، وغير مقبولة ، فيما يتعلق بالتأثيرات الجزئية، كذلك أظهر معامل beta بدلالة قيم t المحسوبة، عدم وجود تأثيرات معنوية للكتل على الرطوبة النسبية ، وقد يرجع السبب إلى موقع هذه المحافظة في منطقة الأحواض المتوسطة بين المرتفعات الغربية والوسطى

والهضاب الداخلية ، مما جعل كمية الرطوبة النسبية قليلة في هذه المحافظة، لارتفاع درجة الحرارة ونسبة الجفاف . الأشكال البيانية (3) توضح ما ورد في الجدول (6).

أمّا علاقة الارتباط بين الكتل الهوائية ومعدلات الرطوبة النسبية ، فكانت ضعيفة، وغير إحصائية وغير معنوية ، باستثناء الكتلة المدارية الآسيوية، التي أظهرت علاقة متوسطة مع الرطوبة النسبية ،وهي تؤدي إلى خفض الرطوبة في هذه المحطة.

5- محطة الريان:

يوضح الجدول(7)وجود علاقة تأثير معنوية بين الكتل الهوائية ومعدلات الرطوبة النسبية ،حيث يشير معامل التفسير للنموذج(R^2) إلى أن(0.91، 0.83، 0.86)لمعدل الرطوبة النسبية والرطوبة النسبية العظمى،والرطوبة النسبية الصغرى،أي أن الكتلة الهوائية تؤثر في معدلات الرطوبة النسبية بدلالة قيم(f)المحسوبة وبدلالة إحصائية معنوية مقبولة لكل قيم التأثير على الرطوبة النسبية.

أمّا التأثيرات الجزئية فقد وضح الجدول والأشكال البيانية (4)، أن معاملbeta بدلالة قيم(t)المحسوبة، أظهرت أن هناك تأثيرات للكتلة البحرية على معدل الرطوبة النسبية في هذه المحطة، وهي من المناطق الساحلية التي سواحلها واسعة على البحر العربي، وتهب عليها الكتلة المدارية البحرية من الجنوب والجنوب الشرقي، فتزيد من معدلات الرطوبة النسبية ليلاً ونهاراً، حيث سجلت الكتلة المدارية البحرية(0.81)وبدلالة إحصائية معنوية مقبولة، أما التأثيرات الجزئية العكسية فقد كانت من نصيب الكتلة المدارية الآسيوية(0.64-)، وبذلك فكلما زاد تكرار هذه الكتلة، انخفضت الرطوبة النسبية والعكس صحيح.

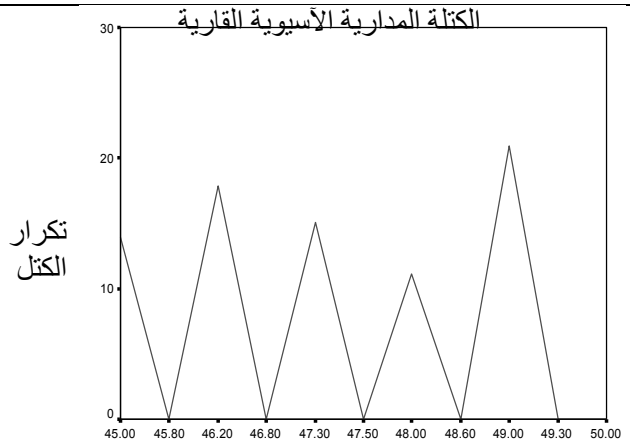

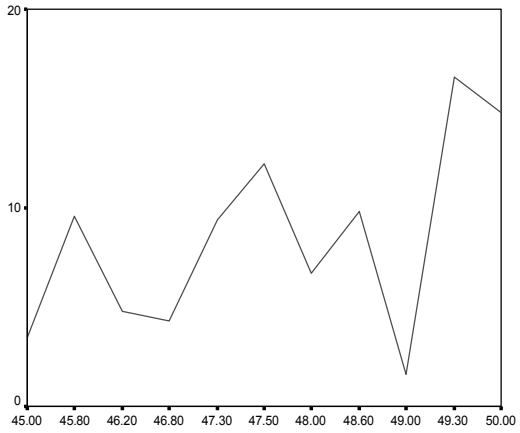

معدل الرطوبة النسبية

معدل الرطوبة النسبية

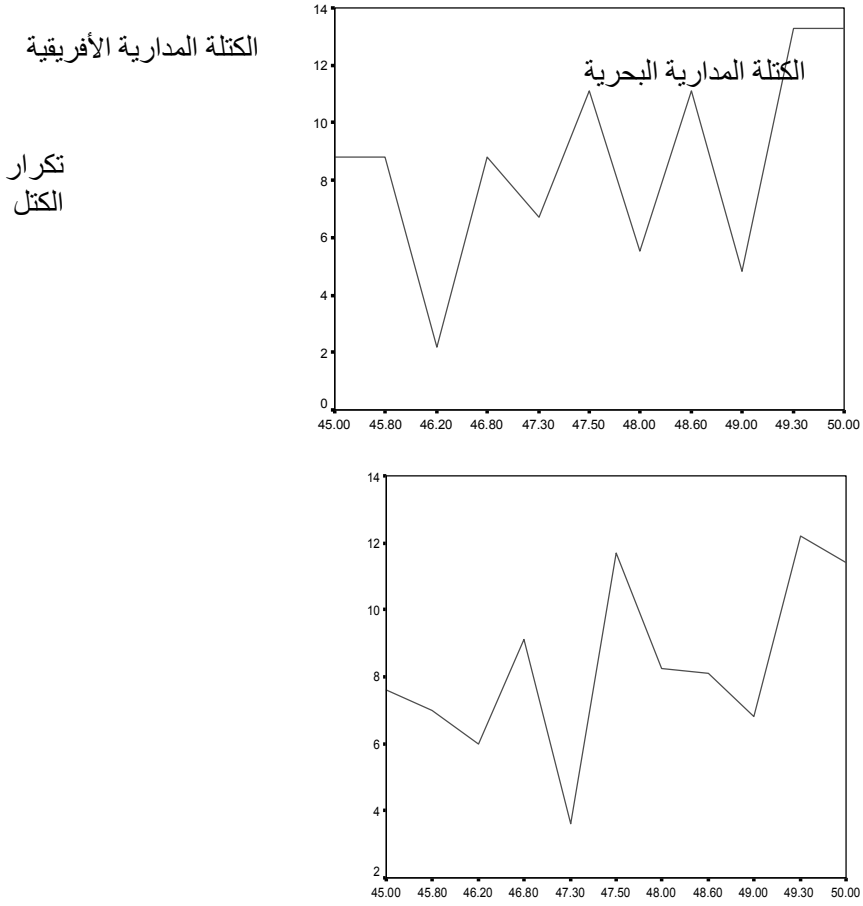

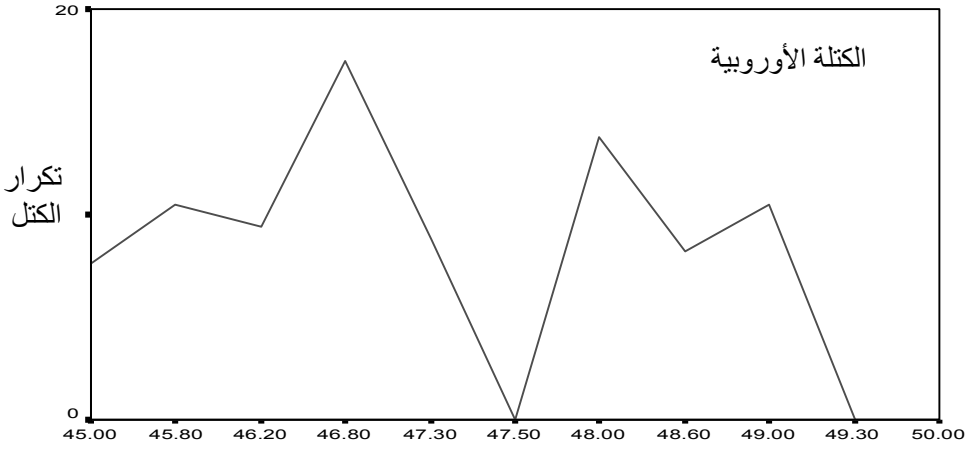

شكل (3)) تأثير الكتل الهوائية في معدل الرطوبة النسبية في محطة ذمار.

المصدر : من عمل الباحث اعتماداً على جدول (6)

المحطة	العناصر المناخية	الكتل الهوائية	الأرتباط	Sig 0.05	الانحدار المتعدد					
					معامل Beta	T	Sig 0.05	معامل التحديد R^2	F	Sig 0.05
الريان	معدل الرطوبة النسبية	السيبيرية	-0.87	م	-1.17	-3.3	م	0.91	13.2	0.03
		مدارية أسيوية	0.63	م	-0.64	-2.2	م			
		مدارية بحرية	0.85	م	0.81	1.5	م			
		مدارية أفريقية	0.80	م	-0.32	-0.95	غ			
		الأوروبية	0.51	غ	-0.57	-2.3	غ			
	الرطوبة النسبية العظمى	السيبيرية	-0.92	م	-1.11	2.9	غ	0.83	7.94	م
		مدارية أسيوية	0.71	غ	-0.34	1.12	م			
		مدارية بحرية	0.80	م	0.100	0.45	غ			
		مدارية أفريقية	0.85	م	0.17	-0.47	غ			
		الأوروبية	0.50	غ	0.38	-1.43	غ			
	الرطوبة النسبية الصغرى	السيبيرية	0.80	م	1.14	-2.5	م	0.86	7.6	م
		مدارية أسيوية	0.65	م	-0.74	2.1	غ			
		مدارية بحرية	0.83	م	0.18	1.4	غ			
		مدارية أفريقية	0.35	م	0.35	0.8	غ			
		الأوروبية	-0.50	غ	-0.63	1.9	غ			
إب	معدل الرطوبة النسبية	السيبيرية	-0.76	م	0.05	0.17	غ	0.89	19.2	م
		مدارية أسيوية	0.71	م	0.14	0.58	غ			
		مدارية بحرية	0.97	م	0.90	0.07	م			
		مدارية أفريقية	0.80	م	0.05	0.13	غ			
		الأوروبية	-0.58	م	0.05	0.24	غ			
	الرطوبة النسبية العظمى	السيبيرية	-0.87	م	-0.33	1.25	غ	0.90	26.7	م
		مدارية أسيوية	0.71	م	-36.	1.74	غ			
		مدارية بحرية	0.88	م	0.70	1.98	م			
		مدارية أفريقية	0.94	م	0.60	2.47	م			
		الأوروبية	0.58	م	-0.18	-0.95	غ			
	الرطوبة النسبية الصغرى	السيبيرية	0.62	م	0.27	0.72	غ	0.82	12.3	م
		مدارية أسيوية	0.64	م	0.41	1.4	غ			
		مدارية بحرية	0.93	م	1.7	5.4	م			
		مدارية أفريقية	0.64	م	0.28	-0.81	غ			
		الأوروبية	0.53	غ	0.18	0.68	غ			

جدول(7) تحليل أثر تكرار الكتل الهوائية في معدلات الرطوبة النسبية في محطات الريان وإب.

المصدر: من عمل الباحث اعتماداً على جداول العناصر المناخية

شكل (4) تأثير الكتل الهوائية في معدل الرطوبة النسبية في محطة الريان.

الكتلة المدارية الآسيوية القارية

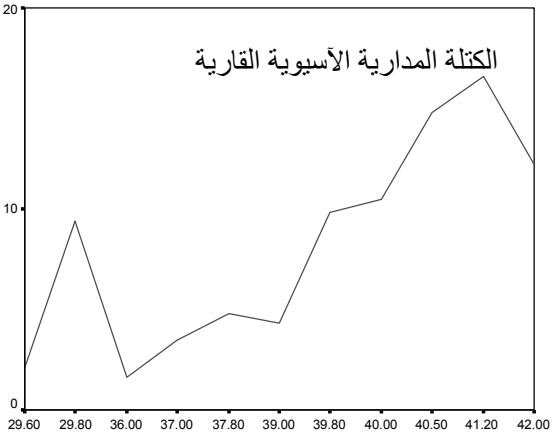

تكرار الكتل

معدل الرطوبة النسبية

الكتلة السيبيرية

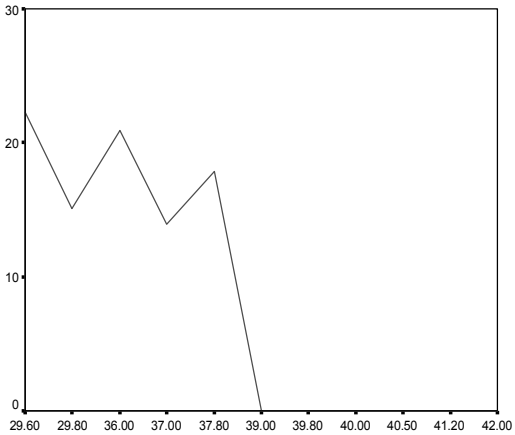

معدل الرطوبة النسبية

الكتلة المدارية الأفريقية

تكرار
الكتل

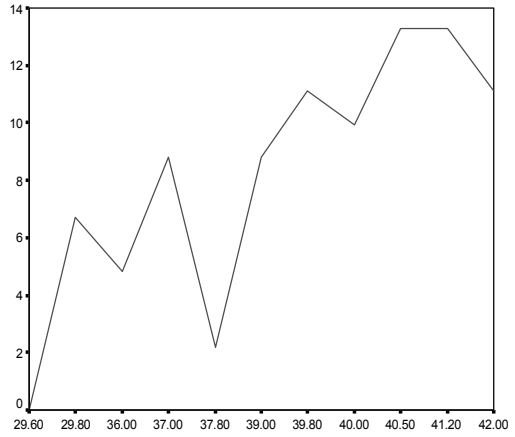

معدل الرطوبة النسبية

معدل الرطوبة النسبية

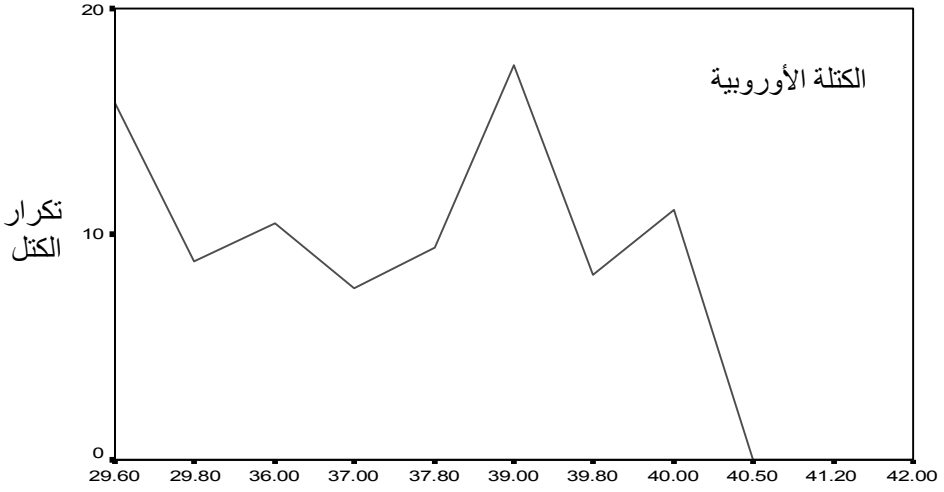

المصدر : من عمل الباحث اعتماداً على جدول (7).

6- محطة إب:

تعدُّ منطقة إب من أغزر مناطق البلاد أمطاراً، حيث ترتفع فيها الرطوبة النسبية من جراء ذلك، بالإضافة إلى وصول تكرارات الكتلة المدارية البحرية، التي ترفع من معدلات الرطوبة النسبية، حيث تصل كمية الأمطار السنوية فيها إلى(1316) ملم سنوياً ([1]).

ووضح الجدول(7) وجود علاقة تأثير معنوية للكتل الهوائية،في معدلات الرطوبة النسبية حيث يشير معامل التحديد(R^2)إلى أن(0.89،0.90،0.82)،من نسبة التأثير تزيد من معدلات الرطوبة النسبية في هذه المحافظة،كما تؤكد ذلك قيم(F)المحسوبة،وبدلالة إحصائية معنوية.

أمّا التأثيرات الجزئية للكتل الهوائية في معدلات الرطوبة النسبية، فقد وضحتها معاملbeta وبدلالة قيم(T) المحسوبة، وأظهرت أن للكتلة المدارية البحرية(0.90) تأثيراً في معدل الرطوبة النسبية، وهو دال إحصائياً وذو مستوى معنوية، كما أن تكرار الكتلة البحرية، كان مؤثراً في الرطوبة النسبية العظمى ، حيث سجل(0.70) وهو ذو دلالة إحصائية معنوية، وهو ما يؤكد وصول تأثير تكرار الكتلة البحرية إلى هذه المحطة، ولم يظهر لها تأثير مع الرطوبة النسبية الصغرى.

أمّا علاقة الارتباط بين الكتل الهوائية ومعدلات الرطوبة النسبية فقد أوضح الجدول(7) والأشكال البيانية (5) وجود علاقة ارتباط بينهما كمتغيرين يؤثر الأول في الآخر، حيث سجلت الكتلة السيبيرية(0.76-، 0.87-، 0.62-) والأوروبية(0.58-،0.58-،0.53-) ،والكتل الحارة المدارية الآسيوية(0.71، 0.71 ، 0.64)والأفريقية(0.80، 0.94، 0.64)والمدارية البحرية(0.97، 0.88، 0.93)، ويلاحظ من النتائج لعلاقة الارتباط في هذه المحطة،أنها ذات دلالة إحصائية وعند مستوى معنوية مقبولة.

7- محطة حجة :

وضح الجدول (8) وجود علاقة تأثير معنوية بين الكتل الهوائية ومعدلات الرطوبة النسبية ،وقد أشار معامل التحديد (**R^2**) إلى أن (0.78، 0.88، 0.50) لكل من معدل الرطوبة النسبية والرطوبة العظمى والرطوبة الصغرى على التوالي ، وهو تأثير للكتل الهوائية في معدلات الرطوبة ، وهو بدلالة قيم (F) المحسوبة ، وبدلالة إحصائية معنوية .

التأثيرات الجزئية للكتل الهوائية في معدلات الرطوبة النسبية، كلها ضعيفة وذات دلالة غير معنوية وغير مقبولة، وقد يرجع إلى عوامل أخرى، تزيد أو تخفض معدلات الرطوبة النسبية في هذه المحطة أو غيرها

[1]-عبد القادر عساج ، الأمطار في اليمن ، رسالة ماجستير ،غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد 1998ص 45.

الكتلة المدارية الآسيوية القارية

الكتلة السيبيرية

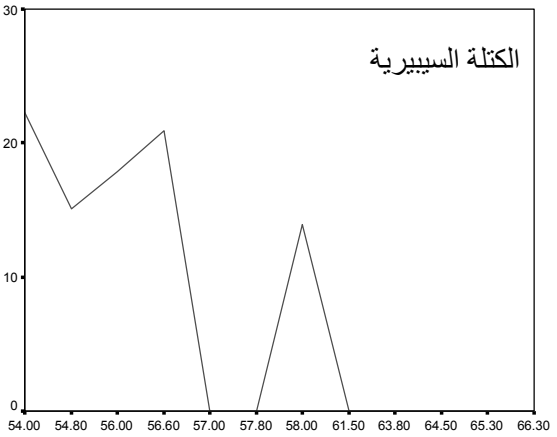

تكرار
الكتل

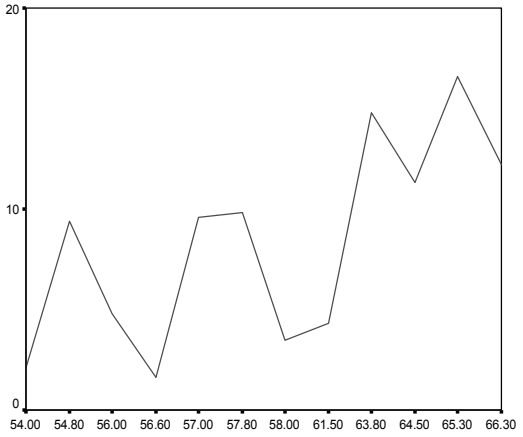

معدل الرطوبة النسبية

معدل الرطوبة النسبية

الكتلة المدارية الأفريقية

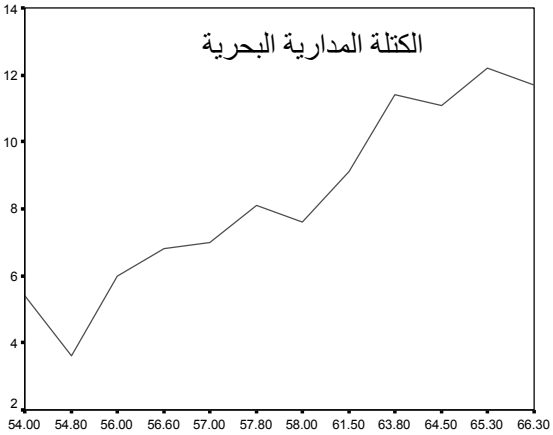

تكرار الكتل

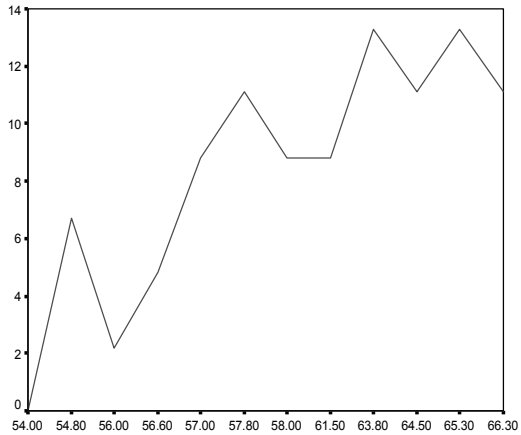

معدل الرطوبة النسبية

معدل الرطوبة النسبية

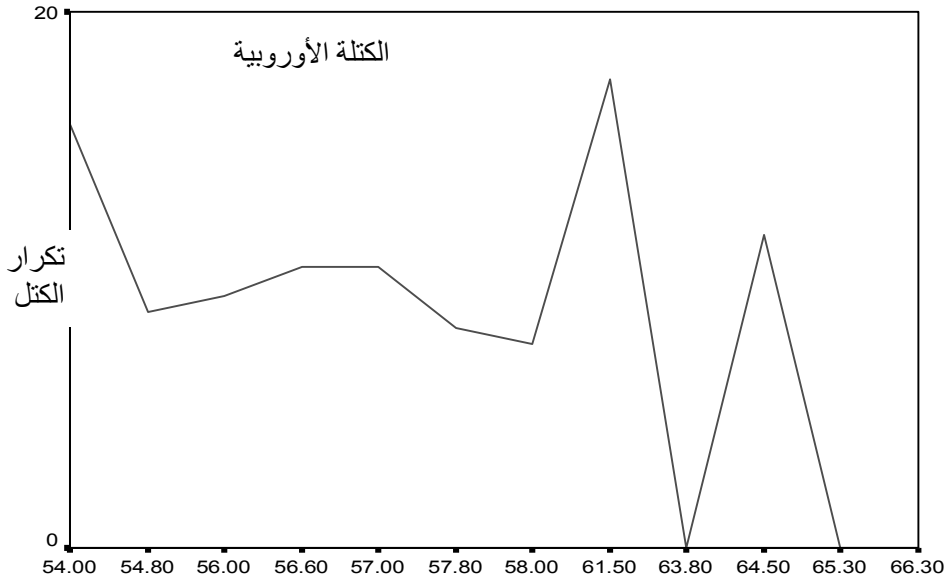

شكل (5) تأثير الكتل الهوائية في معدل الرطوبة النسبية في محطة إب.

المصدر : من عمل الباحث اعتماداً على جدول (7).

جدول (8) تحليل أثر تكرار الكتل الهوائية في معدلات الرطوبة النسبية في محطات حجة ولحج.

المحطة	العناصر المناخية	الكتل الهوائية	الأرتباط	Sig 0.05	الانحدار المتعدد					
					معامل Beta	T	Sig 0.05	معامل التحديد R^2	F	Sig 0.05
حجة	معدل الرطوبة النسبية	السيبيرية	0.73	غ	-0.26	-0.45	غ	0.78	4.2	م
		مدارية أسيوية	-0.44	غ	0.12	0.26	غ			
		مدارية بحرية	-0.67	م	-0.35	1.08	غ			
		مدارية أفريقية	-0.76	م	-1.17	2.15	غ			
		الأوروبية	0.17	غ	-0.57	1.40	غ			
	الرطوبة النسبية العظمى	السيبيرية	-0.88	م	-0.45	-1.04	غ	0.88	8.8	م
		مدارية أسيوية	0.74	م	-0.07	-0.21	غ			
		مدارية بحرية	0.85	م	0.32	1.23	غ			
		مدارية أفريقية	0.89	م	0.36	0.65	غ			
		الأوروبية	-0.52	م	-0.06	0.20	غ			
	الرطوبة النسبية الصغرى	السيبيرية	-0.20	غ	0.17	0.20	غ	0.50	1.21	غ
		مدارية أسيوية	0.19	غ	-0.56	0.20	غ			
		مدارية بحرية	0.38	غ	0.45	-0.80	غ			
		مدارية أفريقية	0.22	غ	-0.03	0.87	غ			
		الأوروبية	-0.56	غ	-0.81	0.04	غ			
لحج	معدل الرطوبة النسبية	السيبيرية	0.77	م	0.22	0.69	غ	0.90	17.4	م
		مدارية أسيوية	-0.65	م	0.62	2.45	م			
		مدارية بحرية	-0.79	م	-0.11	-0.57	غ			
		مدارية أفريقية	-0.92	م	-0.88	-2.97	م			
		الأوروبية	0.65	م	0.42	1.89	غ			
	الرطوبة النسبية العظمى	السيبيرية	0.79	م	0.73	1.19	غ	0.76	3.79	م
		مدارية أسيوية	0.52	غ	0.10	0.21	غ			
		مدارية بحرية	0.42	غ	0.48	1.33	غ			
		مدارية أفريقية	0.72	غ	0.65	1.13	غ			
		الأوروبية	0.16	غ	0.16	0.38	غ			
	الرطوبة النسبية الصغرى	السيبيرية	0.36	غ	0.60	0.67	غ	0.48	1.1	غ
		مدارية أسيوية	-0.32	غ	-0.71	-0.98	غ			
		مدارية بحرية	-0.35	غ	0.57	-1.1	غ			
		مدارية أفريقية	-0.13	غ	1.25	1.5	غ			
		الأوروبية	0.02	غ	0.28	-0.44	غ			

المصدر : من عمل الباحث اعتماداً على جداول العناصر المناخية .

8- محطة لحج:

يشير الجدول (8) إلى وجود علاقة تأثير معنوية بين الكتل الهوائية ومعدلات الرطوبة النسبية (0.90، 0.76) ، فيما جاء معامل التحديد (R^2) لمعدل درجة الحرارة الصغرى غير دال إحصائياً (0.48) .

التأثيرات الجزئية جاء اغلبها غير دال إحصائياً وغير معنوي ، ماعدا تأثير الكتلة السيبرية في معدل الرطوبة النسبية العظمى والصغرى واللذين سجلا (0.73، 0.71-) ، فيما سجلت الكتلة الأفريقية (0.88-) وهي تعني أنه كلما زاد تكرار الكتلة الأفريقية انخفضت معدلات الرطوبة النسبية العظمى والصغرى ، وهي ذات دلالة إحصائية ومعنوية .

أمّاعلاقة الارتباط بين تكرارات الكتل الهوائية ومعدلات الرطوبة النسبية ، فجاءت ضعيفة ما عدا علاقة الكتل الهوائية (السيبيرية و الآسيوية و المدارية البحرية والمدارية الأفريقية) مع معدل الرطوبة النسبية والعظمى، وقد أشارت إلى ذلك الأشكال البيانية (32) والتي سجلت (0.77 ، 0.65 - ، 0.79 -، 0.92-) ، وهي علاقة ارتباط توضح أنه كلما زاد تكرار الكتل الهوائية المدارية الحارة انخفضت معدلات الرطوبة النسبية والعكس صحيح .

أمّا علاقة الارتباط بين الكتل الهوائية ومعدلات الرطوبة النسبية، فقد أشار التحليل الإحصائي إلى وجود علاقة تأثير معنوية،هو ذو دلالة إحصائية بين كل من الكتلة المدارية البحرية مع معدل الرطوبة النسبية علاقة عكسية(0.79-) وهي تعني أنه كلما انخفض تكرار الكتلة المدارية البحرية، علاقة عكسية مع معدل الرطوبة النسبية زادت الرطوبة النسبية، والعكس صحيح، أمّا العلاقة بين الكتلة المدارية الأفريقية كانت(0.92-)فهي علاقة عكسية ، فكلما زاد تكرار الكتلة الأفريقية انخفضت معدل الرطوبة النسبية، والعكس صحيح، فكلما انخفضت قل تكرار الكتلة المدارية الأفريقية زاد معدل الرطوبة النسبية، أمّا بقية الكتل مع معدل الرطوبة النسبية، فكانت ضعيفة وغير دالة إحصائياً وغير معنوية.

أمّا علاقة الارتباط بين الرطوبة النسبية العظمى والصغرى والكتل الهوائية، فقد أثبت التحليل الإحصائي، وجود علاقة ارتباط بين الكتل الهوائية والرطوبة النسبية الصغرى،أما علاقة الارتباط بين الكتل الهوائية ومعدلات الرطوبة النسبية العظمى، فقد كانت قوية، حيث سجلت السيبيرية والآسيوية والبحرية والأفريقية والأوروبية(0.79، 0.52 ، 0.42 ، 072، 0.16)، وهي ذات دلالة غير إحصائية معنوية بالنسبة للكتل الحارة، وذات دلالة إحصائية مع الكتلة السيبيرية الباردة .

نتائج البحث من خلال التحليل الاحصائي:

يتضح من جداول الرطوبة النسبية للتحليل الإحصائي والأشكال البيانية، أنّ هناك قيما عالية للرطوبة ولاسيما في عدد من المحطات ، إذ يبلغ متوسط القيم الشهرية للرطوبة النسبية أقل من80%، وفي بعض الحالات تصل إلى نسبة منخفضة تبلغ(20%)، ومع ذلك فإن معدل الرطوبة النسبية العظمى يصل إلى(90%) بالقرب من ساحل البحر العربي في أثناء الصباح الباكر خلال أشهر الشتاء، أما في فصل الصيف فيكون معدل الرطوبة النسبية منخفضاً في الساحل الغربي لليمن ، حيث يكون الاتجاه الفصلي أكثر تحديداً، في السواحل على البحر العربي وخليج عدن، والتي تتميز بارتفاع مستويات الرطوبة النسبية ، خلال هبوب الرياح الموسمية على الشواطئ ، حيث تصل الرطوبة النسبية أحياناً إلى(100%)مع الضباب، فضلاً عن بعض المناطق التي تواجه انخفاضاً شديداً تصل إلى(10%) مع الرياح الحارة الجافة، التي تهب من المناطق الداخلية في أثناء هبوب رياح الخريف.

وبما أن الرطوبة النسبية ترتبط بارتفاع درجات الحرارة أو انخفاضها ، فنجد أن جميع محطات اليمن بما فيها المحطات المختارة في هذا البحث ، تسجل بعضها معدلات عالية من الرطوبة النسبية ، خلال فصل الشتاء، وذلك لانخفاض درجات الحرارة عموماً في معظم محطات اليمن، في حين تنخفض معدلات قيم الرطوبة النسبية خلال فصل الصيف في محطات أخرى، لارتفاع درجات الحرارة، نظرا لكون الشمس تكون عمودية على اليمن ، فضلا عن طول النهار، وبما أن علاقة الرطوبة النسبية ودرجة الحرارة هي علاقة عكسية، كالعلاقة بين درجات الحرارة والضغط الجوي، إلا أن المسطحات المائية، وحركة الكتل الهوائية ولاسيما البحرية، وللرياح أثرُ كبيرُ، تبينها قيم الرطوبة النسبية من وقت إلى آخر ومن محطة إلى أخرى، ففي محطة عدن والريان الساحليتين تصل فيهما معدلات قيم الرطوبة النسبية شتاءاً(61.8 %،62%)وصيفا(67.1%، 68%).

في الوقت نفسه تصل معدلات الرطوبة النسبية أقل في المحطات البعيدة باتجاه الشمال من خط الساحل الجنوبي، إذ تصل في كل من محطة مأرب وسيئون وشبوة شتاءاً(43.7، 49.1، 57.7%)على التوالي، وصيفاً(41.7%، 45.5%%، 71.3%)، كذلك نجد أن التباين في معدلات قيم الرطوبة النسبية واضحٌ، كلما ابتعدنا عن الساحل الغربي باتجاه الشرق إلى داخل اليابس اليمني،إذ تصل فيه معدلات قيم الرطوبة النسبية في محطة الحديدة شتاءاً(72.1%) وصيفاً(76%)، في الوقت الذي تصل فيه معدلات قيم الرطوبة النسبية في محطتي صنعاء وتعز شتاءاً(47.6%، 57%)وصيفا(50%، 60.3%)، ويكون أثر الكتل الهوائية في معدلات قيم الرطوبة النسبية واضحاً في محطتي عدن والريان،إذ نجد أن مساحة الكتل الهوائية المدارية البحرية وكثافتها تكون أكبر كلما اتجهنا شرقاً من خليج عدن، ففي فصل الشتاء، نجد أن الكتل الهوائية المدارية البحرية ، تكون من الشرق إلى الغرب، وعليه تعمل حركة التيارات للكتل الهوائية المدارية البحرية (الدافئة)، على ارتفاع معدلات قيم الرطوبة النسبية الشتوية ، كلما اتجهنا شرقاً في خليج عدن،إذ تصل في عدن(61.8%).بينما في الريان إلى الشرق من عدن(62.8%) شتاءاً.

أما في أثناء فصل الصيف فتكون حركة الكتل الهوائية المدارية البحرية من الغرب إلى الشرق، مما يسهم في ارتفاع معدلات قيم الرطوبة النسبية كلما اتجهنا شرقاً من خليج عدن نحو البحر العربي، ففي عدن تصل(67.1%) بينما في الريان(68%)،وكذلك تكرار الكتلة المدارية البحرية من المحيط الهندي والبحر العربي من الجنوب والجنوب الشرقي نحو اليمن وخاصة في الصيف، مما يؤدي إلى رفع معدلات الرطوبة النسبية في المناطق

الجنوبية والشرقية من اليمن، وللرياح القادمة من اليابس إلى الماء أو العكس أثرُ واضحُ في معدلات قيم الرطوبة النسبية في المناطق الساحلية، ففي محطة الريان مثلا نجد أن ارتفاع الرطوبة النسبية صيفاً، ولو بنسبة ضئيلة عن فصل الشتاء، ما هو إلا عبارة عن تأثير الكتل الهوائية المدارية البحرية، مع هبوب الرياح الجنوبية الغربية الرطبة صيفاً، وينطبق ذلك أيضاً على محطة صعده التي تتعرض شتاءً إلى حركة الكتل الهوائية الجافة ، مع هبوب الرياح الشمالية الشرقية الجافة، وصيفاً إلى هبوب الرياح الجنوبية الغربية ، مما يسهم في انخفاض معدلات الرطوبة النسبية، ومما يزيد في معدلات قيم الرطوبة النسبية في هذه المحطة انخفاض منسوب السطح فيها، مما يسهم في استقرار الهواء.

الخـلاصـــــــــة

دراسة تأثير الكتل الهوائية على الرطوبة النسبية في اليمن لما لها من أهمية من ضمن عناصر المناخ ولم يتطرق لها سابقا بالبحث والبحث ، حيث أن الكتل الهوائية لها تأثير فعال في العناصر المناخية ومنها الرطوبة وهدف البحث الى توضيح تأثير هذه الكتل الهوائية على الرطوبة النسبية في اليمن صيفاً وشتاءً وحسب المحطات المناخية التي توفرت للباحث حيث تم الاستعانة بالخرائط السطحية من الأرصاد الجوية وكذلك البيانات المناخية للمدة من 2000 حتى 2010م . واستعان بعدد من المعايير الإحصائية في عملية تمثيل الخرائط والبيانات المناخية لإيجاد وقياس تأثير الكتل الهوائية على الرطوبة النسبية في اليمن وقد لاقى الباحث ندره في المراجع والكتب المتعلقة بهذا البحث ، ومن خلال عملية التحليل للجداول والأشكال البيانية وجدنا أن هناك تأثير للكتل الهوائية صيفاً وشتاءً حيث أن الكتل السيبيرية والأوروبية تؤثران على الرطوبة النسبية في فصل الشتاء وبشكل قوي وخاصةً في الأجزاء الشمالية والشمالية الشرقية من البلاد والكتل المدارية البحرية تؤثر على المناطق والأجزاء الساحلية من البلاد وتزيد من معدل الرطوبة النسبية وخاصةً في فصل الصيف لمرور الكتل المدارية البحرية على مسطحات مائية هي البحر الأحمر وخليج عدن والبحر العربي والمحيط الهندي وقد تتمثل أحياناً بالرياح الموسمية من ناحية الجنوب والجنوب الشرقي في فصل الصيف . وايضاً توصل البحث إلى أن المناطق الشرقية والشمالية الشرقية والداخلية هي المناطق الأقل رطوبة لوصول الكتل الهوائية الجافة إليها من أواسط أسيا (المدارية) أو وصولها من الغرب وقد أصبحت جافة .

ويوصي البحث بضرورة إقامة محطات مناخية متخصصه لقياس عناصر المناخ بشكل دقيق وخاصةً الرطوبة النسبية بأجهزة حديثة متطورة وتأهيل كادر مناخي وفني متخصص في هذه المحطات ، والاستفادة من تجارب الآخرين في مجال المناخ التطبيقي التي تساعد في اكتشاف الكثير من التغيرات المناخية للعناصر المناخية والظواهر الجوية .

وقد اوصي البحث بضرورة إيجاد محطات مناخية متخصصة للعناصر المناخية كلاً على حده لمعرفة الآثار الإيجابية والسلبية للعناصر المناخية والظواهر الجوية على المحاصيل الزراعية وحياة الإنسان ، وايضا يوصي بالاستفادة من تجارب الدول المتطورة في قياسات الرطوبة النسبية

كما يوصي البحث بتشجيع عملية البحث في المناخ التطبيقي لمعرفة المزيد حول تأثير الكتل الهوائية على الرطوبة النسبية وغيرها من عناصر المناخ وظواهره .

- المراجع والمصادر:

أولاً: باللغة العربية:

- **الكتب :**

1- آغا . شاهر جمال 1982، جغرافية اليمن الطبيعية ، مكتبة الأنوار ، دمشق .
2- أبو العينين. حسن سيد 1986 ، أصول الجغرافية المناخية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 3 .
3- الاشعب . خالص 1982،اليمن بحث في البناء الطبيعي والاجتماعي والاقتصادي ، دار الرشيد للنشر ، العراق.
4- السامرائي .قصي عبدا لمجيد،2008 ، مبادئ الطقس والمناخ، مطبعة دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ،عمان الأردن، .
5- السامرائي.قصي عبد المجيد، 2008، المناخ والأقاليم المناخية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن.
6- السقاف.علي عيد روس 1995. أساسيات إنتاج المحاصيل الحقلية . جامعة عدن ، كلية الزراعة. مطبعة الجامعة.
7- غانم . علي احمد، 2003.الجغرافيا المناخية ،دار المسيرة للنشر والتوزيع عمان الأردن.
8- شرف .عبدالعزيز طريح، 1961. الجغرافية المناخية والنباتية . ج. الطبعة الثانية دار المعارف مصر.
9- خير . صفوح ،2002، الجغرافية،موضوعها، ومناهجها، وأهدافها ،ط2 ، دار الفكر، دمشق ،سورية . .
10-موسى.على حسن ،1994. أساسيات علم المناخ . دار الفكر ، دمشق، سوريا.

- **الرسائل والأطروحات العلمية الجامعية :**

1- إسماعيل. عبد القادر عساج2000 ، المناخ المحلي لمدينة صنعاء ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية ، جامعة بغداد .
2- إسماعيل .عبد القادر عساج علي 1998، مناخ اليمن ، رسالة ماجستير ،غير منشورة، كلية التربية ، جامعة الانبار .
3- الارياني .عبد السلام احمد علي 2000، حوض وادي بناء في الجمهورية اليمنية ،بحث جيمومورفولوجية ،رسالة ماجستير غير منشورة كلية التربية ابن رشد جامعة بغداد.
4- قطريب. حسين إبراهيم ،2007، نحو منظومة متكاملة في وسائل وتقنيات الاستفادة من مياه الأمطار في أشكال سطح الأراضي الجافة،مجلة الجمعية الجغرافية اليمنية.
5- علي .عبد الله حيدر سالم علي ،2008، المناخ وعلاقته بالأنشطة الصناعية والتلوث في البيئة الساحلية،أطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية الآداب والعلوم ،جامعة دمشق.
6- الموسى . فواز احمد ،2002، الخصائص المناخية للحرارة والأمطار في منطقة شرقي البحر المتوسط ،رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس،جمهورية مصر.
7- . نعمان . فهمي علي سعيد، 1998. الأمطار في اليمن ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة بغداد.
8- المخلافي . حميد سعيد، 2007، اليمن بحث في الجغرافية السياسية ، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ، جامعة البصرة .
9- الوشلي . يحيى. 1996 . محافظة الحديدة ، دراسة إقليمية ، رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة بغداد .

- **البحوث والنشرات والدوريات :**
1- احمد ، مهيوب احمد، 2007 جيوبوليتيكية الوضع المائي في الجمهورية اليمنية الوضع الحالي والتحديات المستقبلية، مجلة الجمعية الجغرافية اليمنية، صنعاء.
2- الدروبي .عبد الله وآخرون 2008، التغير المناخي وتأثيره على الموارد المائية في المنطقة العربية،المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة (أكساد) المؤتمر الوزاري العربي للمياه – القاهرة.
3- السامرائي . قصي عبد المجيد 1999، ظاهرة النينو المناخية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد 45.
4- شحادة، نعمان ،1986، فصلية الأمطار في الحوض الشرقي البحر المتوسط واسيا العربية،الجمعية الجغرافية الكويتية ، العدد 89.
5- غانم، علي احمد 2006، التباين المكاني والزماني لسرعة الرياح في الأردن ، مجلة العلوم الاجتماعية ، جامعة الكويت العدد 4.
6- فايد. يوسف عبد الحميد 1987، الأحوال المناخية لمدينة صنعاء ، مجلة كلية الآداب ، صنعاء ،العدد الأول .
7- الهيئة العامة للأرصاد الجوية ،2010 ، إدارة المناخ ، بيانات غير منشورة ، الجمهورية اليمنية .
8- مركز الأرصاد الجوي في الجمهورية العربية السورية.
9- مركز الأرصاد الجوي في الجمهورية اليمنية.

ثانياً:المراجع والمصادر باللغة الأجنبية :

1. AL Jably A،A ، T، A،1993 . *study in humane climatology of the republic of the Yemen A thesis* ، For the degree of doctor Philosophy of arts university of B Birmingham ،England .
2. Abdullatif Mohamed Al – Hada ، 1994. Athree – *Dimension Mesoscale Model of The Sea breeze over Yemen Un Published M.A Thesis . Department of Meteorology and Oceanography* ، College of Science University of the Phillippnes ، Diliman ،Quezoncity March.
3. *Agro Climatic Resources of Yemen Resorting on authority* (F.A.O) January- September ، 1997 .
4. *. Amarican Heteorological Society* . vol .40، No .3،1983
5. -Ahmed Sultan 1993. *Agriculture Development In the Tehama Plant، thesis for the degree of Master of Art ، University of Akron* U.S.A .
6. Jac A.M.et al . 1995. *The Water Resources of Yemen ، Report W.R.A.Y.Y.-35Institutes of Applied Geoscience Netherlands* ، March
7. D-Y-Gongand G-H-Ho-2002. *The Siberian High and climate change over middle to high latitude Asia .Theoretical and Applied climatology.*

8. -D.L.T.Anderson، 1980. *Ographiclliy Coss- Equatorial Fiow GARP(WMO) Publication Series* N23 . June.
9. E.T .Stringer ; 1972. *foundations of climatology . W .H.Freeman and company* ، San Francisce.
10. -E.G. Barrett ; 1974. *Climatology From Satellites . Fletcher &* sons، London.

الجيولوجية والهيدرولوجية لمديرية مدينة حجة محافظة حجة / الجمهورية اليمنية.

د. همدان أحمد علي عايض الهمداني
الأستاذ المساعد بقسم الجغرافية بكلية التربية – جامعة حجة

د. محمد محمد جح جح
الأستاذ المساعد بقسم الجغرافية
رئيس قسم الجغرافية بكلية التربية – جامعة حجة

الملخص

نظراً للتغير المناخي الذي تشهده الكرة الأرضية في الآونة الأخيرة، والذي صاحبه تدهور بيئي وتغير في دورات الجفاف المتعاقبة على الكرة الأرضية، رافق ذلك تزايد الطلب على الاحتياجات المائية الناتجة عن تزايد عدد السكان والضغط الشديد على الموارد المائية المتاحة. نتيجة لذلك كله فقد أخذت تقنيات حصد مياه الأمطار نصيباً وافراً من الاهتمام خاصة في المناطق الجافة وشبه الجافة من أجل الحفاظ على منسوب المياه في الخزانات الجوفية. وتهدف هذة الدراسة الى المساهمة في حماية المصادر المائية الشحيحة التي تواجهها مديرية مدينة حجة، وذلك من خلال تقييم الوضع الجيولوجي والهيدرولوجي للمنطقة ومساهمتها في إمكانية استغلال مياه الأمطار بتنفيذ طرق حصاد مياه الأمطار.

قد تناولت هذه الدراسة كل الجوانب المتعلقة بالوضع الجيولوجي و الجيومورفولوجي والهيدرولوجي، وذلك بتحديد خصائصها الطبيعية والتي يمكن توظيفها من أجل استغلال مياه الأمطار وإمكانية الاستفادة منها في تغذية المياه الجوفية وفي حوضي وادي شرس ووادي خائفة. وقد بينت الدراسة وجود مناطق ذات خصائص مناسبة يمكن تنفيذ بعض التدخلات المناسبة التي ستسهم في الحفاظ على مياه الأمطار والتقليل من هدرها. حيث قسمت الدراسة المنطقة إلى خمسة أحواض داخلية، حوضان ضمن مستجمع وادي شرس هما وادي عين علي ووادي الحشر، وثلاثة أحواض فرعية ضمن مستجمع وادي خائفة هي وادي غربان، وادي شرقي عبس (وادي النجار) ووادي غربي عبس. كما بينت الدراسة ضرورة إجراء بعض التدخلات الهامة على امتداد هذه الأودية.

Abstract:

Climate change that the earth face in recent time make degradation in environment and unstable in desertification, meanwhile, there is increasing in the population. All of those increase the pressure on the available water resources. Therefore, water harvesting techniques be more notice recently spatially in the desert regions to save underground water. The aims of this study is to contribution to protect the water resources in the Hajjah city district. Analysis the geology, morphology and hydrology characteristics of basins within the study area using GIS techniques and field visit notes for rainfall harvesting to recharge ground water in Sharis basin and Kaifa basin. This study indicated that there are some locations could implemented for that purpose. In addition, the study area have been classified to five sub basins (valleys), tow within Sharis basin (Ain Ali valise and Wadi Alhoshar valley) and three within Kaifa basin (Wadi Qorban valley, East Abs valley and West Abs valley).

1. المقدمة :

تتعرض مناطق كثيرة لنقص حاد في كمية المياه الجوفية على وجه التحديد. الأمر الذي أدى إلى تزايد الاهتمام بتطبيق تقنيات حصاد مياه الأمطار خاصة في المناطق الجافة وشبه الجافة التي تعاني نقص كبير في كمية المياه المتطلبة لاحتياجات السكان . ولا يخفى على أحد التذبذب المناخي خاصة في هطول الأمطار، الأمر الذي يزيد أهمية التركيز والتوسع في مجال الحصاد المائي خلال موسم الأمطار والتي تستمر لفترة قصيرة تسيل خلالها الوديان ويهدر الجزء الأكبر منها خارج المناطق المحتاجة لتغذية مياهها الجوفية. رافق ذلك تزايد الطلب على الاحتياجات المائية الناتجة عن تزايد عدد السكان والضغط الشديد على الموارد المائية المتاحة.

تعرف عملية حصاد مياه الأمطار والسيول بأنها تلك التقنية التي تستخدم في حجز وتخزين مياه الأمطار والسيول في فترات سقوطها بطرق تختلف باختلاف الغاية من تجميعها ومعدلات هطولها وإعادة استخدامها عند الحاجة إليها سواء للشرب أو للري التكميلي أو لتغذية المياه الجوفية (ال الشيخ 2006). تعتبر تقنيات حصاد مياه الأمطار والسيول أحد الوسائل القديمة جداً التي قام بها الإنسان في مناطق شتى من العالم لزيادة الاستفادة منها، فقد كان للإنسان اليمني نصيب وافر ومساهمة رائدة في ذلك المجال ولعل أكبر شاهداً على ذلك سد مأرب العظيم الذي شيد لهذا الغرض (حصاد مياه الأمطار). تم استنباط معظم تقنيات حصاد المياه لأغراض متنوعة وذلك لاستخدامها حسب الغرض، منها زيادة نمو المحاصيل أو لتأهيل وتطوير الأراضي الرعوية في الأقاليم الجافة وشبه الجافة، تغذية المياه الجوفية، كل ذلك في ظل ظروف عدم كفاية الأمطار للزراعة المطرية أو شح المياه لاستخدامها لأغراض الري.

هنالك العديد من الدراسات التي تمت في هذا المجال منها:

دراسة الأنظمة الهيدرولوجية وحصاد مياه الامطار ضمن المراوح الفيضية في الطرف الشمالي من جبل سنجار في العراق قام بها الداغستاني وأخرون 2004. أبو حصـــــيرة 2013، قاما نتحليل الخصـائص المورفومترية لحوع نهر العوجاء في فلسطين واالسـتدلاعلى مدلولها الجيومورفولوجي باســـــتخدام برنامج نظم المعلومات الجغرافية. كما قام Palanisamy, et al., 2015 بدراســة خصائص حوض نهر فاســشــتانادي في جنوب الهند وأظهرت أن التكوين الجيولوجي ذو تاثير فعال في معدل التصريف التحت سطحي للمنطقة، وأن نفاذية التربة وكثافة الغطاء النباتي تلعب دور هام في خفض الكثافة التصريفية للحوض. منظمة الصحة العالمية 2008، اقامت دورة تدريبية لتحليل واختبار جودة المياه في محافظة حجة. عايض 2009، اجرى دراسة للظروف المناخية المحلية وأثرها في توطن الأمراض الوبائية وانتشارها في محافظة حجة (رسالة ماجستير غير منشورة)، وقد بينت الدراسة تاثير المياه السطحية والجوفية في ذلك. كما قدم الباحث نفسه عام 2012، دراسة للخصائص الميائية لوادي شرس وتحديد مصادر التلوث التي تتسبب في تلوث مياه وادي شرس وذلك بدراسة العوامل الطبيعية لمنطقة الدراسة (أطروحة دكتوراة غير منشورة). **الزيادي 2010، بين دور السلطة المحلية في إدارة الموارد المائية في محافظة حجة.**

تعتمد مدينة حجة في الحصول على المياه اللازمة للاستخدامات المختلفة بصورة أساسية على المياه المسحوبة من آبار وأدي شرس، والتي تقع ضمن المستجمع المائي لوادي شرس). إن السحب الجائر التي تتعرض له المياه الجوفية من تلك المناطق يجعل مناسيب المياه فيها تنخفض بصورة مستمرة (خاصة في موسم الجفاف – الشتاء على وجه التحديد)، ويعود ذلك لعدة أسباب منها استخدام مياه وأدي شرس في سقي القات وكذلك عدم وجود تغذية مستمرة لها خلال موسم الأمطار من خلال حصاد مياه الأمطار وذهاب كميات كبيرة منها خارج منطقة تغذية الآبار (الهيئة العامة للموارد المائية، 2009). وذلك يشير إلى أنه قد يتحتم في قادم الأيام إلى الحاجة لاستخدام مياه وادي خائفة، الأمر الذي يقود إلى حتمية الاهتمام بالحفاظ وتطوير حوض وادي خائفة من الآن فصاعداً. إن أول من برع في استخدام تقانات حصاد الأمطار هم اليمنيون القدامى، فقد استخدموا بناء الحواجز المائية لتخزين المياه ببناء السدود والبرك والسقايات والسدود الكبيرة لفترات الجفاف، كما تفيد في عملية تغذية المياه الجوفية. وتعد المدرجات الجبلية التي تشتهر بها اليمن من أهم وأكثر الطرق نجاحا في الحفاظ على مياه الأمطار.

بناءً على ما تقدم يتضح أهمية إجراء دراسة للاستفادة من مياه الأمطار. لذا فإن الدراسة الحالية تهدف إلى أجراء الدراسات الولية الأزمة للتوسع في حصاد مياه الأمطار والسيول في مديرية مدينة حجة، وذلك من خلال الدراسات للواقع الجيولوجي و الجيومورفولوجي للمنطقة وتحديد الأماكن المناسبة لتطبيق أين من طرق حصاد المياه التي تتناسب مع خصائص كل موقع. كما إن الزيادة في العدد السكاني في مديرية مدينة حجة والذي بلغ (526،54 نسمة) (تقرير وزارة التخطيط والتنمية، 2004)، صاحبه زيادة الطلب لكميات أكبر من المياه، الأمر الذي قاد السلطة المحلية للمديرية إلى البحث عن أمكانية الحفاظ على المصادر المائية المتاحة والعمل على تطويرها. وتتمثل أهمية هذة الدراسة في النقاط التالية:

- عدم وجود دراسات منهجية سابقة لتحديد امكانية استثمار مياه الامطار الهاطلة على المنطقة بالاعتماد على دراسة الظروف والعوامل الطبيعية للمنطقة.
- تعرض الكثير من الينابيع في المديرية للجفاف، الأمر الذي يحتم العمل على تغذية تلك الينابيع من خلال حصاد مياه الأمطار.
- تقليل التلوث الذي تتعرض له مياه وادي شرس وآبارها، التابعة للمؤسسة المحلية للمياه والصرف الصحي، وذلك من خلال زيادة منسوب المياه في تلك الآبار.

2. موقع منطقة الدراسة :

تقع مديرية حجة في الركن الجنوبي الشرقي لمحافظة حجة بين دائرتي عرض (36 38 15° شمالاً، ودائرة 12 43 15°شمالاً) وذلك بامتداد طولي (8،51 كيلومتر)، وبين خطي طول (43° 59 32 شرقاً، وخط طول 53 37 43°شرقاً) أي بامتداد عرضي (77,8 كيلو متر) شكل (1).

يحد مديرة مدينة حجة من الشرق مديرية شرس ومن الغرب مديريتي مبين ونجرة ومن الشمال مديرية مبين ومديرية شرس ومن الجنوب مديرية حجة. تمتد مديرية حجة على مساحة تقدر ب (45،3 كم^2). إدارياً تضم المديرية أربع عزل هي (المدينة – قدم – حملان– عبس)، ويبلغ عدد السكان فيها حسب تعداد عام 2004 (53897 نسمة)، وبذلك تمثل أعلى نسبة كثافة سكانية بين مديريات المحافظة بنسبة كثافة بلغت (1189,8 نسمة/كم).

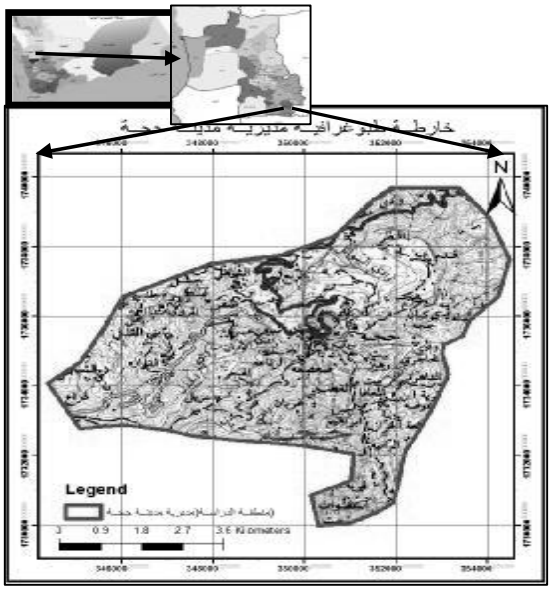

شكل (1). موقع منطقة الدراسة (مديرية مدينة حجة).

3. أهداف الدراسة:

تهدف هذا الدراسة إلى :

1. دراسة الخصائص البيئية (الطبيعية) للمديرية.
2. دراسة الأحواض المائية (المستجمعات المائية) التي توجد ضمن حدود المديرية.
3. تحديد مصادر المياه المتاحة بالمديرية، والعمل على تحسينها وتوسيع نطاقاتها.

4. اقتراح أماكن مناسبة لتطبيق أحد طرق حصاد مياه الأمطار، تساهم في تغذية المياه الجوفية في حوضي وادي شرس ووادي خائفة.

4. مشكلة الدراسة:

تتلخص مشكلة الدراسة في النقاط التالية:
- محدودية مصادر المياه المزودة لمدينة حجة (عين علي ووأدي شرس).
- زيادة الإجهاد الذي تتعرض له تلك المصادر يوماً بعد يوم (الاستنزاف الجائر).
- زيادة الطلب للمياة نظراً للزيادة الطردة في عدد السكان.
- ضياع كمية كبيرة من مياة الأمطار من خلال التصريف السطحي.

كل تلك الأشكاليات تطلبت منا القيام بدراسة للنواحي الطبيعية (التضاريسية والجيولوجية والتربة والشبكات الهيدرولوجية والظروف المناخية) التي تعد عوامل هامة ورئيسية في عمليات حصاد المياه و استثمار مياه الأمطار.

5. منهجية الدراسة:

في الدراسة الحالية تم الأعتماد على تحليل الخصائص الهيدرولوجية والطبوغرافية والجيولوجية للمنطقة، وذلك من أجل استخدام تلك الخصائص في حصاد مياه الأمطار. فقد تم التركيز على تحديد المواقع ذات الخصائص الملائمة من خلال:
- جمع البيانات الأولية للمنطقة (دراسات وتقارير سابقة)
- الزيارات الحقلية والاستطلاع الميداني، وذلك للتعرف على خصائص المنطقة (الطبوغرافية، الجيولوجية والبيئية) وتسجيل إحداثيات المواقع المقترحة وأخذ الصور الفوتوغرافية.
- التحليل للبيانات التي تم جمعها.

تم استخدام بيانات الأستشعار عن بعد لمرئية فضائية نوع TM بالحزمة الرابعة Band 4، لتحديد التراكيب الجيولوجية بالمنطقة. الأعتماد على برنامج نظم المعلومات الجغرافية (GIS) لانتاج الخرائط اللازمة.

اعتمدت هذه الدراسة على عدد من المناهج منها: المنهج الوصفي الجغرافي، المنهج الاستطلاع الحقلي، والمنهج الكارتوجرافي. ونظراً لقلة البيانات المتاحة في جانب البيانات المائية عن المنطقة، فقد استدعى العمل بمقتضيات المنهج الوصفي المبني على أساس تحليلي - تركيبي يتيح الفرصة بتفكيك المركب الجيومورفولوجي إلى عناصره المكانية الأولية، ثم إعادة تركيبه من خلال دراسة العلاقات المكانية المتداخلة وفق نظرة تكاملية،

سبيلها لذلك تفسير مجمل العوامل والعمليات المسئولة عن إكسابه خصائصه الشكلية الحالية وتحليلها، كما يستعان بالمنهج الإقليمي لتحديد شخصية الحوض ودراسته بوصفته وحدة جيومورفولوجية محددة وواضحة المعالم تماثل في ذلك مفهوم الإقليم.

6. جيولوجية منطقة الدراسة :

يرتبط الوضع الجيولوجي العام لمنطقة الدراسة بشكل أساسي بجيولوجية الدرع العربي النوبي. تقع المنطقة ضمن الجزء الشرقي منه، ومتأثرة بالأحداث التكتونية المتلاحقة التي تعرضت لها صخور الدرع العربي النوبي جراء انفتاح البحر الأحمر وخليج عدن مما جعل الصخور المتواجدة ضمن ذلك النطاق مشوهة إلى حد كبير.
تنقسم تلك الصخور بصورة أساسية إلى التتابع الصخري التالي (من الأقدم إلى الأحدث) شكل (3):

1- صخور الأساس Basement Rocks

صخور الأساس المتواجدة في المنطقة تمثل أقدم الصخور، والتي تعود إلى الحزام المكون للجانب الشمالي ذات الأصل البريكمبري والمتشكل قبل الدرع العربي النوبي (Arabian-Nubian shield). التكوين الأساسي لهذه الصخور هي صخور رسوبية متحولة Metavolcano-sedimentary و صخور بركانية متحولة metavolcanic rocks ، وهي متعرضة لتدخلات الجرانيتية البعد تكتونية. التتابع الصخري في المنطقة تعرض لعدد من التدخلات القبل والبعد البريكمبري والمختلفة العمر.

2- تكوين عكبرة Akbara Shale:

يتكشف هذا التكوين في الأجزاء الشمالية والشمالية الغربية من اليمن، وهي تعلوا صخور القاعدة ويعود عمرها التكويني إلى العصر البرمي (دهر الحياة القديمة) وحتى العصر الكريتاسي (El-Nakhal 1984) وهي ذات أصل قاري جليدي. ويتكون بصورة أساسية من طفل وطين.

3. صخور مجموعة عمران

وتشمل التكوينات الصخرية التالية:

أ. الحجر الرملي:

تعود الصخور الرسوبية الرملية بشقيها الحمراء و الرمادية التي تتواجد في المنطقة إلى تكوين كحلان التي ترسبت في بيئة بحرية في العصر الطباشيري، وتتبع تكوين كحلان.

ب. الحجر الجيري:

هي صخور جيرية تتواجد في أماكن متفرقة من المنطقة وتتركز بصورة أساسية في منطقة قدم و الصيح. وهي تحتوي على مواد جيرية وطينية متماسكة، بيئة الترسيب لها هي بيئة بحرية. (الخرباش و الأنبعاوي 1996). تعتبر هذه الصخور ذات مواصفات متوسطة لخزن المياه وهي ذات نفاذية عالية، تزيد من إمكانية الاستفادة من التكسرات العالية التي توجد في هذه الصخور لأغراض حصاد المياه.

4. الجرانيت Granite

يتبع الجرانيت المتواجد في المنطقة المتدخلات الجرانيتية للعصر الثلاثي، (Heikl, 1985). وتوجد بصورة متدخلات قاطعة للصخور الأقدم. وتمتد بصورة لا توافقية تحت الرسوبيات التي تعلوها. تظهر مكشف صخور الجرانيت في المنطقة بشكل كتل اندفاعية على سطح الأرض شكل (2). نظرا للتدخل الأحق لصخور الجرانيت والذي حدث بعد تشكل تكوين صخور عمران فقد أدى هذا التدخل إلى حدوث تقبب (رفع والتواء)، العامل الذي يزيد امكانية استغلال تلك التراكيب لحصاد مياه الأمطار كما سيتضح لاحقاً.

5. بركانيات اليمن (الحين الثلاثي والحين الرباعي):

تحتوي بركانيات الحين الثلاثي على صخور بازلتية (الدولاريت و انديزيت وتراكيت والأجنمبرايت) تشكلت ضمن النشاط البركاني خلال الحين الثلاثي، وتغطي مساحات شاسعة من الجزء الشمالي من اليمن. الصخور المافية مثل البازلت، تتواجد بشكل مخاريط وقواطع ذات أحجام مختلفة تتراوح بين 1 متر إلى 3 أمتار عرضا. هذا النوع من الصخور والقواطع يظهر في المنطقة بصورة قواطع للتكوينات الصخرية الأقدم.

6. الرسوبيات الحديثة Alluvial Sediments**:**

وهي رسوبيات فتاتيه منقولة غير متماسكة في أغلب أماكنها. تتواجد بصورة لا توافقية مع الصخور الأقدم التي تتوضع عليها تلك الرسوبيات. الرسوبيات الحديثة Alluvial Sediments يمكن تقسيمها إلى فتاتيات العصر الرباعي العلوية والوحدات الأقدم وهي تعود إلى العصر الثلاثي. الفتاتيات الحديثة العلوية نتجت من تجمع الفتات المنقول من تعرية الصخور في المناطق الجبلية لعوامل التجوية والتعرية. الرسوبيات الفتاتية السالفة الذكر تظهر عدم تجانس كبير في الوديان الكبيرة مثل وادي شرس ووادي خائفة، وذلك يعود إلى تباين صخور المصدر ومسافات النقل إلى مكان الترسيب. العامل الذي يساعد في إمكانية استغلالها لزيادة التغذية الجوفية من مياه الأمطار.

من الناحية التركيبية فإن المنطقة متأثرة بمجموعه من الصدوع و التكسرات التي تعرضت لها صخور القاعدة والصخور الرسوبية على مر العصور الجيولوجية المتلاحقة. العمليات التكتونية العنيفة أدت إلى نشوء صدوع كبيرة باتجاه عام شمال شرق- جنوب غرب متعامدة مع مجموعة أخرى من الصد وع ذات امتدادات محدودة موازية لامتداد البحر الأحمر وباتجاه عام شمال غرب- جنوب شرق، شكل (2 و3 و4).

وفي هذه الدراسة تم الاعتماد على رسم كل التراكيب الخطية التي في المنطقة باستخدام بيانات الاستشعار عن بعد Remote Sensing data، حيث تم استخدام المرئية الفضائية للقمر الصناعي TM بالحزمة الرابعة Band 4 . كون هذه التراكيب توضح كل المعالم ذات الطبيعة التركيبية التي لها علاقة جيولوجية بالوضع الحالي وكذلك لها تأثير في الوضع الهيدرولوجي بالمنطقة (شكل 4).

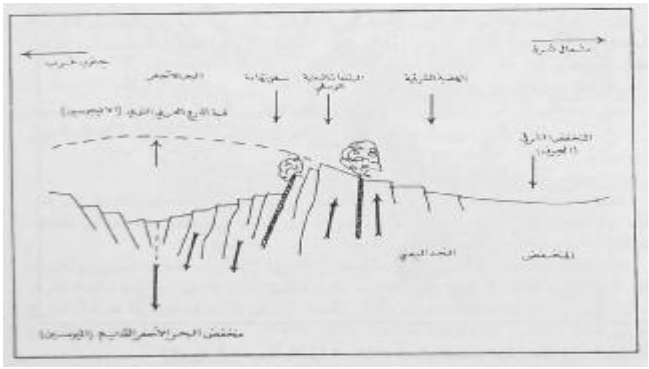

شكل (2). يوضح الحالة التكتونية للجمهورية اليمنية والمراحل التركيبية العامة.
(المصدر: الخرباش والانبعاوي 1996)

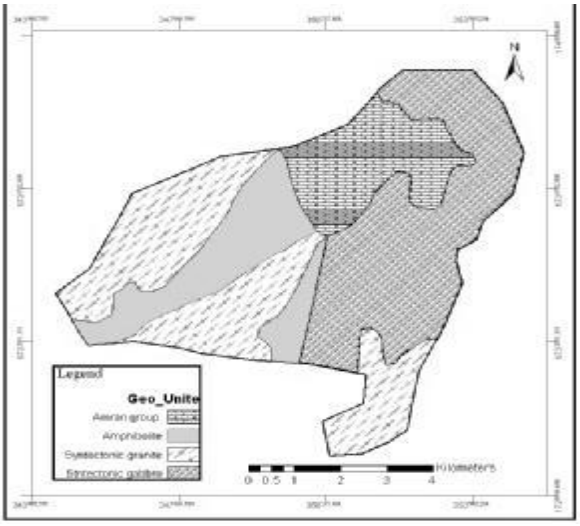

شكل (3). خارطة جيولوجية مديرية مدينة حجة. شكل (4). خارطة التراكيب الخطية لمديرية مدينة حجة.

7. طبوغرافية المنطقة Topography Of The Area:

تلعب المرتفعات الجبلية وطبيعتها دور هام في الوضع الهيدرولوجي في اليمن عموماً و منها الجزء الشمالي الغربي لليمن، والتي تتدرج في الارتفاع من مستوى سطح البحر علواً حتى أكثر من 1374 متر فوق مستوى سطح البحر. كما يلعب الوضع الطبوغرافي لسطح الأرض الدور الهام والبارز في تشكيل الشبكة النهرية لأي منطقة، حيث يودي الانحدار العالي لسطح الأرض إلى زيادة

الجريان السطحي للمياه خلال موسم الأمطار ومن ثمّ زيادة طاقة التدفق وبالتالي التباين في عمليتي الحت والإرساب. كما أن التباين في التكوين الصخري للمنطقة دور هام في تحديد أشكال سطح الأرض حيث أن الصخور الرسوبية تتعرض لعمليات التعرية بدرجة أسرع من التكوينات النارية. مما يؤثر في تضرس الأرض وزيادة انحدارها في المناطق الجبلية، ويكون ذلك التأثير أكبر في حالة التعرية الكيميائية. كما أن التفاوت في تضاريس المنطقة يؤثر في الصرف المائي، حيث يكون عالي التدفق وبزيد عملية التعرية في المناطق العالية الانحدار بعكس ما هو عليه في المناطق المنخفضة.

تقع مدينة حجة على جبال ذات سفوح شديدة الانحدار التي تتخللها مجموعة من الأودية الإنهدامية الضيقة. حيث توجد فيها العديد من القمم الجبلية مثل جبل حملان الذي مثل أعلى قمة بالمنطقة بارتفاع بلغ (2124 متر) فوق مستوى سطح البحر، وجبل القاهرة حجة البالغ ارتفاعه (1750 م)، وجبل ظفر البالغ ارتفاعه (1755 متر فوق سطح البحر) شكل (5). كما تتميز طبوغرافية المنطقة بالوعورة الشديدة، وزيادة درجة الانحدار إذ لا تقل عن (40 درجة)، ووديانها المنحدرة ذات الميل الشديد، شكل (6).

هذا الوضع الطبوغرافي المتغاير يؤثر في المناخ من ناحيتين هما درجة الحرارة و الأمطار، وبالتالي التأثير الغير مباشر في تحديد نوعية استخدامات الأراضي Land Uses و كذا التصريف السطحي Runoff .

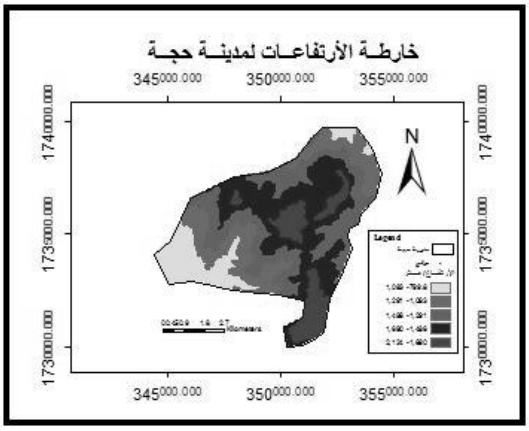

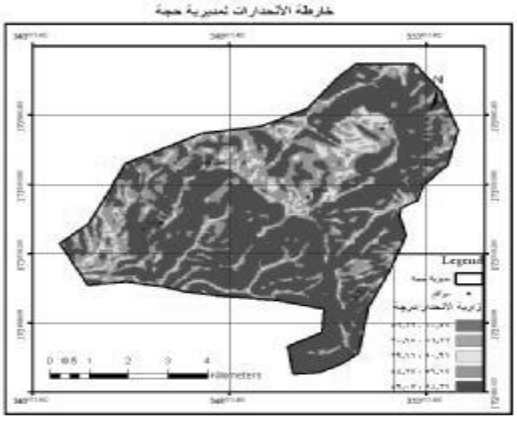

شكل (5). خارطة توضح معدل الارتفاعات لمديرية مدينة حجة. شكل (6). خارطة معدل الانحدارات في مديرية مدينة حجة.

تعكس هذه التعقيدات في معدل الارتفاع والانحدار والتباين الصخري، تباين واضح في عمليات الحت المائي في المنطقة. حيث تؤثر التضاريس في التصريف المائي، من حيث زيادة سرعة جريان المياه على طول المجرى.
كما أن زيادة انحدار السطح في المناطق الجبلية المتموجة يؤدي إلى زيادة سرعة جريان الماء وقلة التسرب إلى باطن الأرض ما لم توجد شقوق وفواصل تزيد التدفق التحت سطحي، (عبدالله، 2001).
كما يسهم الجريان المائي الناتج عن هطول الأمطار والتي تكون غزيرة على اغلب سفوح حوض وادي شرس في تشكل بعض المظاهر التضاريسية للمنطقة بفعل الحت المائي. كما توجد بالمنطقة العديد من الخوانق الضيقة مثل خانق وادي القفل وخانق وادي دهم وخانق وادي الحاشية. كل تلك المظاهر الطبوغرافية بالمنطقة يجب أن توظف بشكل صحيح بحيث تسهم في زيادة كمية المياه المحصودة مطرياً.

8 . مناخ المنطقة Climate of the area

إن موقع مدينة حجة الواقع في النطاق المداري الحار أكسبها ارتفاع في درجات الحرارة بصفة عامة، وبالرغم من وقوعها في الإقليم المداري الحار إلا أن درجات حرارتها منخفضة في السفوح الجبلية، وهذا يعلله عامل الارتفاع حيث أن درجة الحرارة تنخفض بالارتفاع راسياً بعيداً عن سطح البحر، كما تسهم طبيعة سطح الأرض بالتأثير على قيم الحرارة لاسيما في الوديان الكثيفة بغطائها النباتي، والمرتفعات الغربية من خلال التأثير على قيم الالبيدو.

هناك تفاوت ملحوظ في درجة الحرارة خلال أشهر السنة وبلغ المعدل السنوي لدرجة الحرارة في مديرية مدينة حجة (19.5º م). سجلت أدنى المعدلات الشهرية في شهر يناير الذي يعد ابرد أشهر السنة فبلغ (15.7º م). كما سجل أعلى معدلاته الشهرية في شهر يوليو(فصل الصيف) فبلغ (22.8º م). بحسب التباين في درجات الحرارة فإن هنالك تبايناً أيضا في معدل الرطوبة النسبية في المنطقة، حيث سجل المعدل السنوي للرطوبة النسبية في محطة حجة (63.5%) في شهر يناير، ، جدول (1).

يبلغ المعدل السنوي للأمطار بالمحافظة حوالي 167ملم، بحجم كلي نحو 88.329 كلم3/السنة. حجم الاستهلاك للأغراض المختلفة لعام 2000 بلغ حوالي 6.63 كلم^3، تستحوذ الزراعة على 95% ولا يتجاوز الاستهلاك البشري 4% والباقي للأغراض الصناعية، (قادري 2010). تقع مديرية مدينة حجة ضمن النطاق المناخي الثالث وجزء قليل في الجهة الشمالية الغربية منها ضمن النطاق الخامس، (الخرساني 2005). تتلقى محطة حجة كميات كبيرة من الأمطار مقارنة ببقية المناطق، فقد بلغ المعدل السنوي للتساقط المطري (497.7 ملم). أعلى معدل لكمية الأمطار

الشهرية سجلت في شهر مايو بنسبة بلغت 90 ملم. وتنخفض كميات الأمطار في بقية الفصول وخاصة في فصل الشتاء الذي يعد الفصل الجاف حيث مثل شهر فبراير أقل الأشهر سقطت فيه الأمطار بنسبة 2.7 ملم، جدول (1).

جدول (1): المعدلات الشهرية - السنوية لدرجة الحرارة، الرطوبة النسبية و التساقطات المطرية لمحطات حجة للفترة من 1975 - 2007م.

المحطة	المعدل السنوي ل		
	درجة الحرارة (درجة مئوية)	الرطوبة النسبية %	التساقطات المطرية (ملم)
حجة	**19.5**	63.5	**497.7**

المصدر: الهيئة العامة للطيران المدني والأرصاد الجوية، صنعاء، إدارة المناخ، بيانات غير منشورة.

الهيئة العامة لتطوير تهامة، إدارة المناخ، الحديدة، بيانات غير منشورة.

9. الخصائص التصريفية Drainage Characteristics

تنقسم المنطقة من الناحية الهيدرولوجية إلى جزئين رئيسيين، يمكن أن نطلق عليهما مبدئياً أحواض تابعة لوادي شرس (الجزء الشرقي) وحوض وادي خائفة (الجزء الغربي). وقد أعتمد تقسيم المنطقة إلى خمسة أحواض فرعية، هي: حوض عين علي، وحوض وادي الحشر، حوض وادي غربان، حوض شرقي عبس وحوض غربي عبس، شكل (7). وحيث أن معرفة مساحة الحوض نقطة البداية لأي دراسة هيدرولوجية، فقد تم تحديد الحوض باستخدام الخارطة الطبوغرافية ذات مقياس رسم (1:50000). وسوف يتم مناقشة خصائصها كلا على حده لاحقا . تلعب طبوغرافية المنطقة أهمية كبيرة في حركة وسرعة تدفق السيول عبر مجاريها، حيث تأتي الروافد من اتجاهات مختلفة، وكلها تصب في واديين مختلفين هما وادي شرس ووادي خائفة، وهي تجري في سفوح شديدة الانحدار ما يجعل الجريان السطحي عالي. في الجهة الجنوبية والجنوبية الشرقية لمدينة حجة تنحدر من جبالها اودية رافدة تمثل ايضا حوض تجميعي صغير يمكن ان نسميه بحوض وادي الحشر الذي يصب في وادي شرس، فهذا الحوض ترفده عدة أودية هي وادي بيت الشبعاني ووادي بيت حميد. اما بالنسبة للأودية او الاحواض المائية التي تصب وديانها في وادي خائفة فتتمثل بوادي بيت النجار، وادي شرقي عبس، وادي غربان والحاشية الاتية من اتجاهات مختلفة كما سوف نستعرض كل حوض على حده بشكل تفصيلي في دراسة الشبكة المائية لمدينة حجة.

شكل (7). خارطة الأحواض الرئيسية ضمن مديرية مدينة حجة.

10. تحليل الوضع الهيدرولوجي بمنطقة الدراسة (الأحواض المائية):

يتضح من خلال الشكل (7) بأن مديرية مدينة حجة تضم أحواض مائية صغيرة، تعد مستجمعات مائية رافده لواديين أساسيين هما (وادي شرس و وادي خائفة). كما سيتم هنا مناقشة اختيار المعالجات في كل حوض. وذلك بالاعتماد على الخصائص التي نوقشت سابقاً وهي الخصائص الجيولوجية والطبوغرافية والهيدرولوجية. ويمكن تقسيمهما كما يلي. :

10 . 1 الأحواض الرافدة لوادي شرس:

1- حوض وادي عين علي:

يلعب العامل الطبوغرافي دوراً هاما في تحديد خصائص هذا الحوض، حيث تتدفق المياه من الجهة الشمالية والشمالية الشرقية للمدينة عبر مجاري وديان هي وادي السوائل ولان وشبل ووادي المعصرة الذي تمثل احواض تجميعية صغيرة تلتقي في وادي عين علي ثم إلى وادي شرس. ويعد هذا الحوض احد أهم الروافد لوادي شرس فهو يمتد باتجاه غرب – شرق، شكل (7). تبلغ مساحة حوض وادي عين علي (A =23.271 كم^2)، ويبلغ محيط الحوض حوالي (20 كم^2)، وبهذا يعد مستجمع مائي مهم لا بد من الاهتمام به ووضع الاعتبارات اللازمة لحصاد المياه المتجمعة. شكل الحوض شبة منتظم وأطول مسافة لمحوره تساوي 7.87 كم، و أطول محور متعامد مع المحور الأول يساوي 6.9 كم ، وهو موازي لمجرى وادي عين علي.

أن وادي السوائل (ووادي القفل الممتد منه)، يلتقيان مع وادي داهم النازل من سفوح المنظر والخلف والرهايب وقدم يشكلون وادي لان الذي يمثل خانق طبيعياً انظر صورة (1). ويمثل مخرج وادي لان المجرى الرئيس لها والذي يلتقي مع وادي شبل الذي يقع ما بين جبل الرنع وجبل بيت النخيف وجبل المعاين.

.

صورة (3): توضح الوضع
الطبوغرافي والجيولوجي لوادي لان

وبناءً علي الخصائص الجيولوجية والطبوغرافية للمنطقة التي يوجد بها حوض وادي عين علي فهو يغطى بصوره عامة بصخور الحجر الجيري العالي التشقق و الى الأسفل منه يوجد الحجر الرملي ذو المسامية العالية والتي تتيح أمكانية أعلى للتصريف التحت سطحي وعليه فقد اقترحت التدخلات التالية.

التدخل المقترح (ضمن حوض وادي عين علي):

يوجد موقعان مناسبان لأجراء تدخلات من شانها الحفاظ على مياه الأمطار وتسهم في تغذية المياه الجوفية في الأجزاء السفلية للحوض وهذان الموقعان هما، الشكل (8):

1-1 خانق وادي داهم:

يقع عند الإحداثيات التالية X: 56548 E و Y: 157012 N ، ويقع هذا الخانق في أجزاءه العليا ضمن الصخور الجيرية لتكوين عمران وتميل باتجاه جنوب شرق، ويمتاز بكثرة التكسرات في تلك الصخور مما يجعله مناسباً للتغذية التحت سطحية. كما يمتاز بسهولة وصول المعدات إلى الموقع نظراً لوجود طريق قريب وكذا لتوفر المواد الأولية للبناء في نفس الموقع، صورة (3).

أقامة التدخل المقترح في هذا الموقع سيسهم أيضا في تغذية العين المائية الموجودة في وادي شبل (الجزء الجنوبي)، شكل (8-A).

2-1- خانق وادي شبل:

يقع عند الإحداثيات التالية : X: 56565.8 E و Y: 156976.9 N. في الحد الفاصل بين الصخور الجيرية لتكوين عمران والصخور الرملية لتكوين كحلان وكلاهما يميلان باتجاه الشرق (باتجاه أبار عين علي)، وهي منطقة شديدة التكسر نظرا لوقوعها عند ملتقى صدعين (الصدع المكون لوادي عين علي باتجاه شرق غرب والصدع المكون لوادي المعصرة – والصدع المكون لوادي لان، باتجاه شمال غرب جنوب شرق). إن إقامة خزان تحويلي بالموقع سيسهم في تقليل كمية التدفق السطحي لمياه الأمطار وبالتالي التغذية التحت سطحية لمياه أبار عين علي. من الناحية الطبوغرافية فإن الموقع يمتاز بجوانب شديدة الانحدار وميلان قعر الوادي المنخفض مما يساعد في زيادة كمية المياه المحتجزة خلف الحاجز وقلة التكاليف المتطلبة للبناء.

3-1- خانق وادي المعصرة:

يقع عند الإحداثيات التالية، X: 56576 E و Y: 156964 N. على الرغم من أن هذا الموقع يقع أسفل محطة معالجة مياه الصرف الصحي الرئيسة لمدينة حجة، إلا أن الوضع الحالي للمحطة ومخرجاتها لا يمثل تهدياً واضحا للموقع، كون مخرجاها السائلة تضخ خارج هذا الموقع والمخرجات الصلبة لا تصل إلية. بالإضافة إلى أن وضعه الجيولوجي و الطبوغرافي يمكنه من المساهمة في تغذية المياه الجوفية لأبار عين علي، كونه يحتوي على الكثير من التكسرات التي ستساهم في تحويل التصريف السطحي إلى تحت سطحي

(A) .

(B)

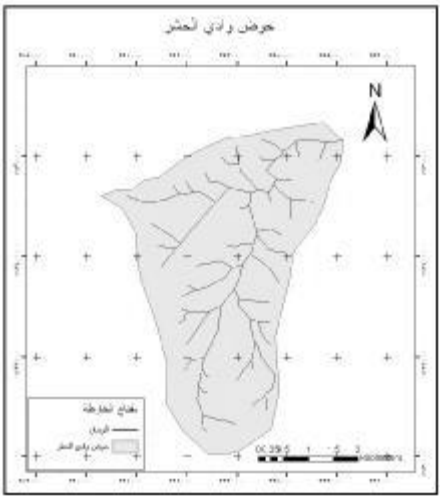

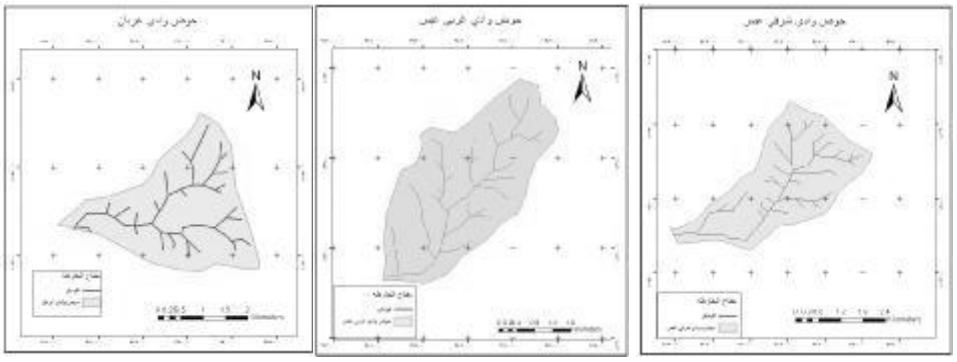

(E) (D) (C)

الشكل (8) مواقع التدخلات المقترحة في، حوض عين علي (A) حوض وادي الحشر (B)، حوض وادي غربان (C) ، حوض وادي شرقي عبس (D) ، وحوض وادي غربي عبس (E) .

2- حوض وادي الحشر :

يعد وادي الحشر احد أهم الأودية الرافدة لوادي شرس الذي يقع جزء كبير من مساحته ضمن نطاق مديرية مدينة حجة، فيتضح من الخارطة (7) بأن امتداده طولي من الشمال إلى الجنوب بامتداد طولي (6.33 كم)، وامتداد عرضي (4.14 كم) ، ويبلغ محيطه (17.6 كم)، ومساحته (12.822 كم^2)، شكل (B-8).

حيث تمثل سفوح جبال هداد وعنية وعقبة شفل والمغربة أقصى امتداد له جنوباً والتي تمثل السفوح العليا للحوض، كما يتوسط الحوض سلسلة جبلية متصلة بجبل هداد مارة بجبال القيسي وعجازة والعباني منتهية إلى وادي بيت الشبعاني، وتنحدر منها مسيلات مائية إلى واديين هما وادي المعازيب ووادي عجازة من الجهة الشرقية وادي بيت الشبعاني الذي يلتقي بهما في قرية بيت الشبعاني، كما تستقبل سفوح الجبال لبيت المعافى وقلعة الخراز وبيت السريحي وبيت القاسي وبيت الحاجري من الجهة الجنوبية والشرقية وتصب في وادي الحشر في نقطة بيت السودي، الذي يلتقي بوادي المعاين النازل من سفوح جبل نعمان الجنوبية وبيت زهير من الغرب والقطب من الشرق وسفوح بيت الحاجري الشمالية الذي ينحدر منه وادي بيت الحاجري الذي يلتقي بوادي المعاين مع وادي بيت الشبعاني عند نقطة مخرج وادي بني حميد ووادي جبل دندل الذي يقع فيه مقلب القمامة (النفايات الخارجة من المدينة)، ومن ثم تصب جميعها في وادي الحشر وأخيراً إلى وادي شرس، فهو يستقبل كميات مياه أمطار تقدر بحوالي (6.08 مليون متر مكعب سنوياً)، أي أنها كمية كبيرة. على الرغم من أهمية هذا الحوض المائية وما يلعبه من تغذية للمياه الجوفية في وادي شرس إلا انه يمثل خطراً بيئياً على مياهه، وذلك لوقوع مقلب القمامة الخاص بمديرية المدينة وبما تحمله من ملوثات خطيرة تهدد المصدر الرئيس للمدينة لمياه الشرب، ومن هنا لعب العامل البيئي الدور البارز في ضرورة اتخاذ قرار لتدخلات ضمن هذا الحوض.

التدخلات المقترحة :

الخصائص الجيولوجية والهيدرولوجية التي يتميز بها هذا الحوض تأهله لإقامة العديد من التدخلات. ونظراً للإمكانيات المتاحة فإن التدخلات المقترحة تتمثل في الأتي:

1. إقامة حواجز سطحية ومهدئات على طول المجاري المائية بصفة عامة، وخاصة في الخوانق الضيقة والتي تخدم عدة أهداف منها:

- تقليل التدفق السطحي
- زيادة التغذية التحت سطحية
- تقليل عملية انجراف التربة.

2. إقامة حواجز ومعالجة للأجزاء التي أسفل مقلب القمامة، والتي من شانها تقليل كمية المواد المتسربة من المواد والعناصر الضارة والخارجة من المقلب. ويمكن ذلك من خلال إقامة حواجز سطحية تقلل كمية المياه المتدفقة والتي تصب إلى وادي الحشر ومن ثم إلى وادي شرس، إذ تعد السيول أحد مصادر التلوث، (محمد 2009). على أن تتم في المناطق ذات المسامية المنخفضة وبعيدا عن الصدوع والفواصل وذلك تجنباً لتسربها إلى المياه الجوفية.

3. يجب اختيار موقع مغلق للتخلص من النفايات بحيث لا تعرض مصادر المياه إلى التلوث، ومنع إلقاء المخلفات في الموقع الحالي والتعامل وفقاً المادة (69-3) من قانون المياه.

10. 2 الأحواض الرافدة لوادي خايفة وهي :

1- حوض وادي غربان :

يعد وادي غربان احد الأودية الداخلة في نطاق مديرة مدينة حجة من الجهة الجنوبية، في الوقت الذي تعد سفح جبل محرث وبيت الخدري مصبات هامه للوادي من الجهة الشرقية للحوض، والذي يلتقي مع الأمطار النازلة من سفوح نعمان الجنوبية الغربية وسفوح القطب وبيت صبر، ومن الملاحظ اعتراض لسان جبلي يدخل في وسط الحوض وتنحدر سفوحه الشمالية الغربية ناحية وادي غربان ومن السفوح الجنوبية الشرقية تنحدر على وادي المزف الذي يصب بوادي غربان أسفل قرية بيت السودي، فوادي المزف يستقبل مياه الأمطار الهاطلة على جبل إبراهيم والرابية المتمثلة بسفوحها الغربية، كما يستمر خط تقسيم المياه بانحرافة إلى الجهة الغربية. ومن الملاحظ بان هذا الحوض يستقبل كمية من مياه الأمطار تقدر سنوياً بحوالي (2.9 مليون متر مكعب سنوياً)، شكل (8- C). فحوض وادي غربان يقع بين الإحداثيات التالية: (173000 شمالا - 173550 شمالاً)، و بامتداد عرضي (4.1 كم)، كما يقع بين خط طول (34700 شرقا - 351500 شرقاً) بامتداد طولي (4.13 كم)، كما تبلغ مساحة الحوض (5.8545 كم^2).

من خلال الزيارات الميدانية تبين أن الخواص الطبيعية والجيولوجية مناسبة لإقامة حواجز مائية في ملتقى وادي المزف مع الوادي الرئيس (وادي غربان) لتغذية المياه الجوفية لآبار وادي خايفة. يلتقي وادي غربان (الحاشية) مع وادي شرقي عبس (النجار) في نقطة مهمة تشكل موقع ذو أهمية كبيرة لإقامة مشروع لتخزين المياه أو لتغذية المياه في آبار وادي خايفة. تجدر الإشارة هنا إلى ضرورة أجراء بعض المعالجات للمياه العادمة النازلة من تجمع مياه الصرف الصحي في منطقة صعصعة، والواقعة أعالي هذا الحوض، حيث لوحظ وجود امتداد لتلك المخرجات وصلت إلى مناطق قريبة من أبار وادي خائفة.

2- حوض وادي شرقي عبس (وادي النجار):

يعد وادي شرقي عبس احد الأودية الرافدة لوادي خائفة الواقع شمال، شمال شرق المجرى الرئيس لوادي خايفة. فهو يقع بين دائرتي عرض (1733000 شمالا - 1736700 شمالاً)، وبين خطى طول (345000 شرقا - 352500 شرقاً) شكل(8- D). الاتجاه العام لامتداد الحوض هو شمال شرق - جنوب غرب، فهو يبدءا من سفوح مدينة حجة الجنوبية الغربية المتمثلة بحارات غربي حورة وحارة الجهدع الأعلى، كما تعد سفوح جبل ظفر أعلى قمة في الحوض، كما تناظر هذه السفوح من الجهة الجنوبية الشرقية ابتداءً من

سفوح قرية صعصعة وجبل محراث والرتعة وجبال بني هجر والخدري الشمالية الغربية، وتعد هذه السفوح الصبابة الجنوبية الشرقية للوادي.

يمتاز حوض شرقي عبس بامتداد طولي يقدر بحوالي (4.10 كم)، وبامتداد عرضي (2.63 كم)، كما تبلغ مساحة الحوض (6.885 كم^2). يستقبل الحوض كميات من مياه الأمطار النازلة على هذه السفوح، و التي تقدر بحوالي (3.43 مليون متر مكعب سنوياً)، وهي كميات لا باس بها إذا استثمرت استثماراً امثل.

- ***التدخلات المقترحة (لحوضي غربان وشرقي عبس):***

نظراً للخواص الطبوغرافية الوعرة وشدة الانحدار في كثير من مناطق الحوضين (غربان وشرقي عبس)، وكذا لتحقيق أكبر فائدة من كمية المياه المتجمعة من الحوضين فإن التدخلات المقترحة تضم التالي:

1- مهدئات وحواجز سطحية.
2- تحسين الطريق المؤدي إلى أحواض تجفيف الحمأة من أجل إزالة الحمأة من الموقع.
3- إن الخيار ذو الجدوى لإعادة استخدام المياه العادمة المعالجة هو إنشاء خزان مياه عند نقطة تصريف المحطة حيث يتم ضخ المياه إلى خزان تجميعي يتم إنشاءه في منطقة ملائمة وبمستوى يوفر الانسياب الطبيعي لري منطقة المساطب مع التأكيد بأن يكون في موقع ملائم لإعادة استخدام كافة المياه الخارجة من المحطة.
4- حاجز تجميعي سطحي (وادي النجار).
5- إقامة خزان تجميعي فوق سطحي بهدف الاستفادة من مياه الأمطار لتغذية المياه الجوفية في أبار وادي خائفة، فقد حددت منطقة تمتاز بخواص ملائمة لإقامة الحاجز السطحي، حيث تمتاز هذه الموقع بتجميع المياه المتدفقة من جميع الوديان السابقة.

موقع الحاجز: 345830 E، 1733033 N. يمتاز الموقع بوجود حاجز تحت سطحي (سد قاعدي، متدخل ناري) بامتداد شمال غرب – جنوب شرق وميلان 35° شرقاً. معدل الميلان في الوادي منخفض (أقل من 10°)، ولا توجد تجمعات سكنية أو مزارع خلف الحاجز المقترح، مما يقلل الأضرار البيئية التي قد تنجم عنه.

3- حوض وادي غربي عبس (المروي):

يقع وادي غربي عبس (المروي) في ضمن أحد الروافد الهامة لوادي خايفة، حيث يقع بين دائرتي عرض (344000 - 348000 شرقا)، أي بامتداد عرضي (2.44 كم)، وبين خطى طول (1733000 - 1737250 شمالا)، بامتداد طولي بلغ (5.08 كم). ويعد وادي غربي شرقي عبس (المروي) الوادي المنحدر من سفوح شرقي عبس الغربية إي بالجهة المعاكسة لوادي شرقي عبس السابق. الاتجاه العام للحوض هو شمال شرق - جنوب

غرب، شكل (E-8). ينحدر بداية من أقصى الشمال الشرقي من سفوح جبل شمسان الجنوبية التي تعد المنابع العليا للوادي وكذا سفوح جبل ظفر الغربية والتي تطل على الوادي من الجهة الشمالية الشرقية.

يمتاز الوادي بضيق مجراه وقلة كثافة التصريف المائي وذلك لوجوده بصورة عامة ضمن الجرانيت التي تمتاز بمقاومتها وقلة التصاريف بها. تبلغ مساحة الحوض حوالي (5.86 كم^2)، ويستقبل كمية من مياه الأمطار تقدر بحوالي (2.91 مليون متر مكعب سنوياً)، وهي كمية قليلة مقارنة بكميات المياه الواردة لبقية الأحواض السابقة الذكر.

أن الشكل الطبوغرافي والعوامل الطبوغرافية والجيولوجية لعبت دوراً بارزاً في تحديد شكل الحوض فهو متداخل التضاريس وشديد التعقيد والانحدار وخصوصاً مجراه الرئيس الذي يكثر فيه تواجد ظاهرة الشلالات التي تتمثل بتدخل صخور القاعدة والتي عجزت فعل عوامل التعرية المائية من تسويتها وصقلها، إضافة إلى انحداره الشديد الذي يؤدي إلى زيادة سرعة جريان المياه فيه مما يشكل خطراً على أي مشروع يقام فيه من مشاريع حصاد المياه ما عدى بعض الطرق البسيطة كبناء البرك والحواجز الصغيرة وتحويل قنوات تصريفية إلى المدرجات الزراعية الموجودة على ضفاف امتداد الوادي وأوديته الرافدة.

11. الخلاصة

لقد تبين من خلال الدراسة الحالية أن مديرية مدينة حجة تضم خمسة أحواض مائية هي حوض عين على، حوض وادي الحشر، حوض وادي غربان ، حوض شرقي عبس وحوض غربي عبس. وتمتاز بخصائي جيولوجية وتبوغرافية جيدة يمكن الأستفادة منها في تعزيز القدرات المائية التي تستخدمها مدينة حجة وذلك من خلال إقامة العديد من المعالجات في سبيل الاستفادة من كمية الأمطار التي تهطل على المنطقة وذلك من خلال تطبيق نظام حصاد مياه الأمطار بتنفيذ بعض المشاريع والتدخلات التي من شأنها تقليل الفاقد من مياه المطار.

إيلاء الجانب البيئي قدر من الاهتمام وذلك بإجراء دراسة بيئية للأضرار الناجمة عن مخرجات مياه الصرف الصحي والمخلفات الصلبة المرماة في مقلب قدم. ونوصي بأجراء المزيد من الدراسات التفصيلية في هذا الجانب.

المراجع (العربية):

1- أبو حصـــــيرة، يحيى محمود (2013) تطبيق نظم المعلومات الجغرافية في دراســـــة الخصـــــائص المورفومترية لحوع نهر العوجاء - فلسطين، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية، غزة، فلسطين

2- الخرباش، صلاح عبد الواسع والأنبعاوي، محمد إبراهيم (1996): جيولوجية اليمن الطبعة الأولى، دار عبادي للنشر والتوزيع، ص 209.

3- الداغســتاني، حكمــت. الســالم، طــه و الشــكرجي، بشــار (2004). دراســة الأنظمــة الهيدرولوجية وحصاد مياه الامطار ضمن المراوح الفيضية في الطرف الشمالي من جبل سنجار باستخدام معطيات التحسس النائي. لمجلة العراقية لعلوم الارض، المجلد ٤ ،العدد ١ ،ص ١٥-٢٨.

4- الهيئة العامة للطيران والأرصاد الجوية، إدارة المناخ، صنعاء، بيانات غير منشورة، 2007م.

5- الهيئة العامة لتطوير تهامة، إدارة المناخ، الحديدة، بيانات غير منشورة، 2007م.

6- الهيئة العامة للموارد المائية ، وزارة المياه والبيئة، تحديد نطاقات حماية المياه الجوفية حول أبار المؤسسة المحلية للمياه والصرف الصحي في محافظة حجة، 2009م، ص31.

7- رياض بلدية، دراسة تلوث المياه الجوفية في بساتين أبي جراش ، مجلة جامعة دمشق للعلوم الزراعية، 2010م، المجلد 26، العدد1 ص77.

8- صادق محمد الزيادي، هيدرولوجية واستغلال المياه في حوض وادي مور –شمال غرب اليمن- ،رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صنعاء، كلية الآداب، 2001م، ص10.

9- شاهر جمال آغا، جغرافية اليمن الطبيعية (الشطر الشمالي)، مكتبة الأنوار دمشق 1983م، ص20.

10-الزيادي. صادق محمد، دور السلطة المحلية في إدارة الموارد المائية في محافظة حجة، وزارة الإدارة المحلية، مكتب الإدارة المحلية بمحافظة حجة، الجمهورية اليمنية، 2010م، ص7.

11- عبد الله محمد احمد، جغرافية اليمن الطبيعية، المنتدى الجامعي للنشر والتوزيع، الطبعة ا لأولى، صنعاء 2001م، ص88.

12- محمد محمود سليمان، الجغرافية البيئية، وزارة الثقافة السورية، منشورات الهيئة العامة للكتاب، دمشق، 2009، ص264.

13- عايض. همدان احمد، الظروف المناخية المحلية وأثرها في توطن الأمراض الوبائية وانتشارها في محافظة حجة /الجمهورية اليمنية، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، كلية الآداب

والعلوم الإنسانية، قسم الجغرافيا، 2009م، ص36.

14- عايض. همدان احمد. تلوث المياه والمشكلات البيئية الناتجة عنها في محافظة حجة، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، كلية الاداب والعلوم الانسانية، 2013م، ص.60-
---

15-مشروع المواصفات والمقاييس اليمنية لمياه الشرب، 2011م، ص2.

16-منظمة الصحة العالمية، تقرير الدورة التدريبية بتحليل واختبار جودة المياه في محافظة حجة، للفترة م 22- 2008/3/25م.

17-عبد الملك بن عبد الرحمن آل الشيخ 2006. حصاد مياه الأمطار والسيول وأهميته للموارد المائية في المملكة العربية السعودية. المؤتمر الدولي الثاني للموارد المائية والبيئة الجافة.

18- وزارة التخطيط والتنمية، الجهاز المركزي للإحصاء، التعداد العام للسكان والمساكن 2004م.

المراجع (الأجنبية) References

1. El- Anbaawy, M., 1984. Contribution to lithostrati-graphic subdivisions of the Amran sequence in the Yemen Arab Republic: Bull. Fac. Sc Sana'a Univ., V,4, Pp, 65-84.
2. El-Nakhal, H.A., 1984. Possible Late Paleozoic glaciations in the central parts of the Yemen Arab Republic: J. Glaciology, V,30.
3. Heikal, M., 1985. Basement geology of Hajjah district, Yemen Arab Republic: Ph. D. thesis. Tanta University, 380p.
4. Palanisamy, S. A. Anbarasu, K. and Vijay Prabhu, M. (2015) Drainage Morphometry and its Influence on Landform Characteristics in Vsishta Nadi, Vellar River basin, Tamil Nadu, India – a Remote Sensing and GIS Approach, International Journal of Recent Scientific Research, 6 (2): 2821- 2826.

تأثر النحو العربي الحديث بالبنيوية من خلال فكر تمام حسان التجديدي

د. أحمد لطف عبدالله قائد البريهي
الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية
بكلية التربية بالنادرة-جامعة إب

خلاصة

يحاول هذا البحث إثبات تأثر النحو العربي الحديث بالمنهج البنيوي من خلال فكر تمام حسان الذي جاءت قراءته مع قراءات كثيرة للتراث اللغوي العربي بصورة عامة، والتراث النحوي بصورة خاصة للغويين عرب انتظمت جهودهم في فحص الظاهرة اللغوية مستفيدين من مناهج، ونظريات الدراسات اللسانية الحديثة في الغرب.

وإن كل محاولات التجديد، ومنها محاولة حسان لا يُنظر إليها في سياق الاتهام والطعن في جهودهم، وإنما كان ذلك منهم بدافع الغيرة الإيجابية على هذا التراث العظيم، بعد أن أيقظت فيهم الدراسات اللسانية الاندهاش به والحافز لبعثه وتنقيته وتطويره.

وقد قام هذا البحث على أربعة محددات هي:

أولًا: تأثير البنيوية في منطلقات حسان

ثانيًا: تأثير البنيوية في نظرية القرائن

ثالثا: تأثير البنيوية في حصول المعنى

رابعًا: تأثير البنيوية في الحكم على نظرية العامل

حاول البحث أن يثبت تأثر فكر حسان النحوي في هذه المسارات الرئيسة بالبنيوية باتجاهاتها المختلفة، من خلال الجانب الإجرائي العملي في دراسات حسان اللغوية، متغافلا عن توظيف حسان للتراث اللغوي العربي في مساره الفكري، وتحديدا علم المعاني ليس استشهادًا، وإنما تقعيدًا، وتأطيرًا؛ إذ من الطبيعي أن يوظف التراث الذي عمل جاهدا لتجديد تراكيبه النحوية .

المقدمة

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة صلة الدراسات النحوية العربية الحديثة بالمنهج البنيوي، وتأثر بعض الدارسين المحدثين بهذا المنهج، وتقبلهم لأفكاره، من خلال أنموذج أخذ حظه من الاهتمام في الدرس النحوي الحديث قبولا ورفضا، إنها تجربة تمام حسان من خلال فكره التجديدي لفهم تراكيب الجملة العربية، الذي قدمه مشروعا بديلا لدراسة النحو العربي في نظريته تضافر القرائن.

وقد حاول الباحث بيان هذه التجربة بمعرفة مدى تأثرها بالبنيوية، ولو في حدودها الدنيا، لكون البنيوية منهجا لسانيا غربيا اقتحم به حسان التراث اللغوي النحوي العربي؛ ليعيد قراءته بصورة غير مألوفة، وتزداد الإثارة بتعرضه لمسلمة تاريخية في الفكر النحوي العربي بحجم نظرية العامل ووسمها بأنها خرافة.

عرفت البنيوية بأنها: منهج نقدي حديث تكاد تكون ملامحه متكاملة، وله جسوره الممتدة بمناهج سابقة، وبعلوم مختلفة، كـ(الأنثروبولوجيا)، وعلم النفس، خاصة أن هذا المنهج قد امتلك أدوات التحليل اللساني العلمي.

وقد امتدت المدرسة البنيوية في أوروبا، ووصلت إلى أمريكا، وانضم تحتها كثير من العلماء، كـ(بلومفيلد)، (هاريس)، وتلميذه الأشهر في الجانب النظري (فريزر)، و(لادو) من العلماء التطبيقيين، (و(سكينر) الجامع بين علم اللغة، وعلم النفس[1].

وقد جد الدارسون العرب المحدثون أنفسهم بين هذه المناهج الجديدة، والتراث اللغوي العربي الذي مازال يمتلك عناصر النمو والتطور والفاعلية، فقرروا قراءته بالمناهج الحديثة التي اطلعوا عليها في الغرب؛ لكونها بدأت بالكليات التي تفضي إلى المشترك الإنساني بين اللغات، وبدأ التراث العربي من اللسان الخاص المقتصر على اللغة العربية، وكان المنهج البنيوي أول ما تصدر المشهد اللغوي منطلقا من اللغة وإليها، وليكون حسان أكثر إثارة بين هؤلاء الدارسين.

وليس لأحد أن ينكر ما قدمته الدراسات اللسانية للفكر اللغوي عامة والفكر اللغوي العربي خاصة، فقد حركت الجامد، وأعاد الدارسون العرب نظرهم البحثي فيه محللين ومقابلين، ووجدوا سبقا متفرقا في تراثهم لقضايا ومسائل كثيرة أثارها الدرس اللساني الحديث، و" صار الكثير منها اليوم من المسلمات التي لا ترد، فدخلت بذلك حيز البديهيات، واكتسبت أهميتها لا من أجل صحتها فحسب، بل لكثرة ما تفرع عليها من مبادئ جزئية أفاد منها الباحثون في شتى الميادين مما له علاقة بظواهر اللسان والتبليغ، سواء أكان في المستوى النظري أم التطبيقي "[2].

ولقد استمرت الإضافات على البنيوية من قبل المهتمين بها إلى أن تجاوزت البنيوية الصورية، "التي تعد النسق مغلقا على نفسه، إذا لم تتجاوز حدود البنى اللغوية، مما أدى إلى اعتناق اللسانيات الوظيفية التي لم تَزدرِ الظروف والملابسات المحيطة بالكلام، فالمقام هو الذي يفرض نمطا معينا من القول، فتكون الوظيفة بذلك قد احتوت السياق اللغوي، وسياق الموقف"[3].

---

[1] - ينظر: مبادئ النحو البنيوي دراسة تطبيقية على اللغة العربية ، يحي بعيطش، ص2، وينظر: اللسانيات العامة اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، نعمان بوقرة، ص 68، وما بعدها.

[2] - بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبدالرحمن الحاج، ص 184.

[3] - الأسلوبية الوظيفية : من كتاب البيان في روائع القرآن لتمام حسان، بداش حنيفة، ص أ

وإذا كان النحو البنيوي أو الوصفي ثمرة المنهج الوصفي في الدراسات اللسانية الحديثة الذي جاء ردّ فعل على المنهج التاريخي والمقارن اللذين سادا الدراسات اللغوية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بصفة عامة، وثورة على المنهج المعياري الذي ساد الأنحاء القديمة بصفة خاصة[4]، فإن المتأثرين من النحويين العرب عمدوا إلى هذا المنهج مسايرة للفكر النهضوي الحديث، ورغبة في تجديد النحو العربي، من حيث إنه يقبل الوصف بطريقة أفضل من التي قدمه بها النحويون القدماء.

وقد انتظم هذا البحث في أربعة محددات رئيسة لتأثير البنيوية في الفكر النحوي العربي الحديث متخذا من فكر تمام حسان أنموذجا لذلك التأثير، مشيرا في بعض الأحيان إلى صلته بالتراث اللغوي والنحوي، الذي عمل على إعادة توجيهه مستفيدا من تأسيسات اللسانيات الحديثة، ويجسد طبيعة تلك العلاقة، وهذه المحددات ما يأتي: أولًا: تأثير البنيوية في منطلقات حسان، ثانيًا: تأثير البنيوية في نظرية القرائن، ثالثًا: تأثير البنيوية في حصول المعنى، رابعًا: تأثير البنيوية في الحكم على نظرية العامل.

أولا: تأثير البنيوية في منطلقات حسان

توجه تمام حسان في مقدمة كتابه: (اللغة العربية معناها ومبناها) بالنقد للدراسات اللغوية العربية، فهي لم يكتب لها أن تنمو فيما بعد القرن الخامس الهجري، واقتصرت الجهود بعد ذلك على التعليق، أو التحقيق والتصويب، وتبعه بنقد لمسار هذه الدراسات[5]. وهذا الذي ذكره هو من جملة توسلاته ومبرراته لإعادة النظر في كيفية دراسة النحو العربي، وتجاوز القصور والجمود في الدراسات النحوية القديمة.

والقارئ في البنيوية من جهة بما قامت عليه من مبادئ وأسس وقوانين، وفي فكر حسان اللغوي من جهة أخرى لا يصعب عليه البتة أن يجد التأثير الفاعل في منطلقات حسان التجديدية من خلال ثلاث مسارات بارزة، وهي:

أ/ **الأسس التي قامت عليها البنيوية.** فالبنيوية، كأيّ منهج من المناهج الحديثة، وكأي نظرية من النظريات قامت على مجموعة من الأسس وهي[6]:

1- عدّ اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع للبحث العلمي المجرد، بعيدا عن المعطيات التاريخية والتأويلات الفلسفية والتعليلات.

2- الاعتماد على الوصف الواقعي الخالص للغة بعيدا عن الأفكار المسبقة، أو الأحكام القيمة.

3- دراسة اللغة في زمان ومكان محددين بصورة وصفية انطلاقا من مدونة لغوية مغلقة؛ لتكون هذه المدونة عينة تعمم نتائجها على مدونة مفتوحة.

4- دراسة اللغة في ذاتها، ومن أجل ذاتها، انطلاقا من بنيتها الداخلية، بعيدا عن الظروف الخارجية المحيطة بها.

5- الاعتماد على التقرير لما هو موجود، لا كما كان، أو يجب أن يكون.

---

4 - مبادئ النحو البنيوي: ص1-2.

5 - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص 11، وما بعدها.

6 - ينظر: في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، ص 14-20، وينظر: مبادئ النحو البنيوي، ص 5-6.

6- الاعتماد على المنطوق الذي يربط اللغة بمتكلميها؛ لأن اللغة نظام قائم بذاته، ذو وظيفة تبليغية تواصلية لا تمثيلية.

7- الاعتماد على التصنيف القائم على التقابل، فتصنيف اللغة إلى وحدات تحكمها القيم الخلافية، بدءًا من الوحدات الصوتية (فونيمات) إلى الصرفية (مورفيمات) المصنفة إلى فصائل مختلفة: (أفعال، وأسماء، وصفات، وأدوات)، وانتهاء بالوحدات التركيبية، أو الجملة التي تصنف هي الأخرى إلى أنماط تركيبية مختلفة.

وبالمقابل نجد حسان قد حدد الأسس التي ينبني عليها النظام النحوي للغة العربية، وهي على النحو الآتي[7]:

1- طائفة من المعاني النحوية العامة التي تسمى معاني الجمل أو الأساليب.

2- مجموعة من المعاني النحوية الخاصة، أو معاني الأبواب المفردة كالفاعلية والمفعولية.

3- مجموعة من العلاقات تربط بين المعاني الخاصة؛ لتكون صالحة لبيان المراد منها ،كعلاقة الإسناد وغيره من العلاقات.

4- ما يقدمه علماء الصوت والصرف لعلم النحو من قرائن صوتية وصرفية، كالحركات والحروف والتصريفات.

5- القيم الخلافية أو المقابلات بين أحد أفراد كل عنصر مما سبق وبقية أفراده.

فإذا أمعنا النظر بين أسس البنيوية، وأسس النحو العربي لحسان، علمنا مقدار توظيف المنهج البنيوي وتأثيره في نظرية تمام حسان التجديدية؛ فقد انطلق من اللغة نفسها، ودرس التركيب النحوي العربي –كما يتضح من مبادئها التي سار عليها- من وحداته الصغرى مستفيدا من الدراسات الصوتية والصرفية المنطلقة أساسا من اللغة، وكذلك علاقات هذه الوحدات ببعضها مكونة تركيبا مبينا لمراد المتكلم، وغيرها من القضايا المستفادة من المنهج البنيوي.

ولا يخفى معرفة تمام حسان المسبقة بالنحو العربي، والتراث اللغوي بصورة عامة، كعلم الصوت، وعلم الصرف، وعلم المعاني من جانب، والمنهج البنيوي من جانب آخر، وتضلعه بهما، ، فاستطاع بذلك أن يعرف مدى تقبل النحو العربي لكثير مما أفرزته البنيوية، ويسخر له ما يفيد من سائر فروع اللغة.

ب/ قوانين اللغة في البنيوية؛ فقد وضع (سوسير) قوانين اللغة، وعلى إثرها أثبت حسان النظام اللغوي للعربية. وتتمحور هذه المسألة في أن كل نص يطبق عليه هذا النظام يعد كيانا خاصا متراكبا من مجموع العلامات المشكلة، كبنية مستقلة في مجملها في الدلالة ومميزة، وهي الكلام عند (سوسير). والذي يحدد هذه الدلالة عند حسان هي القرائن؛ لأن كل علامة منها تستقل بأداء وظيفة معينة للمعنى، فهي صوتية وصرفية ونحوية وهكذا[8].

وبتأثير هذه القوانين اشترط حسان شرطين يرتضيهما المنهج الحديث في دراسة اللغة، وهذان الشرطان هما[9]:

---

[7] - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 178، وينظر: القرائن النحوية واطراح العامل والإعرابين التقديري والمحلي، تمام حسان، ص38.

[8] - ينظر: نظرية القرائن اللغوية عند تمام حسان، عبدالرحيم الكردي، ص 51-52.

[9] - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص13-14.

الأول: تناول لهجة واحدة من لهجات لغة ما، مع عدم الخلط في دراستها بينها وبين لهجة أخرى من اللغة نفسها؛ لكي لا يخلط في دراسة المعنى على المستوى التحليلي الوصفي بين لهجة وأخرى، فكل واحدة تمثل نظاما متكاملا مستقلا من أنظمة الرمز العرفي بحيث ترمز كل علامة فيه إلى معنى معين.

الثاني: أن يُعنى في هذه الدراسة الوصفية بمرحلة زمنية واحدة من مراحل تطور هذه اللهجة؛ كي لا يفصل بين طورين مختلفين لنحو اللهجة الواحدة.

يشير تمام حسان بهذا إلى طريقة دراسة اللهجات العربية حينما وضعت ولم تراع هذين الشرطين، فقد تناولوا تلك اللهجات مجتمعة بشرطيها الجغرافي والزمني، وأخذها من قبائل محددة، لكنها في الوقت نفسه متسعة، والذي خلص إليه أن دراستهم النحوية كانت تحليلية لا تركيبية، تُعنى بمكونات التركيب أكثر من التركيب نفسه، فأهملوا –كما يقول- المعاني التركيبية والمباني الدالة عليها، واستدل بالإسناد من حيث معناه باعتباره وظيفة، ثم باعتباره علاقة، ثم تفصيل القول في تقسيمه إلى: إسناد خبري، وإسناد إنشائي، وإسناد الخبري إلى: مثبت ومنفي ومؤكد، وتقسيم.

ج/ السياق، هذه النظرية التي أسهمت في رفد الفكر التجديدي لدى حسان، وهي وجهة لسانية بنيوية، اقتفى فيها أثر أستاذه (فيرث ت 1960م)، الذي كان له فضل إخراجها نظرية لغوية متكاملة، حاولت الكشف عن العوامل التي تؤثر في عملية إنتاج الدلالة.

وقد أقام فيرث منهجا تحليليا تكاملت به نظرية السياق، وذلك باعتماده كل تحليل لغوي على السياق أو المقام context of situation ، وما يتصل به من ملابسات أو ظروف، وأوجب تحليل الكلام إلى عناصره ووحداته المكونة له، وكشف العلاقات الداخلية للوصول إلى المعنى المتصل بالمستويات التحليلية المختلفة: الصوتية، والصرفية، والدلالية، والنحوية ، وقسم السياق إلى داخلي، وخارجي؛ يتمثل الأول بالعلاقات الشكلية اللغوية، ويتمثل الثاني بكل ما هو خارج اللغة[10] .

وفي ما يتعلق بالسياق اللغوي أضاف فيرث إلى عناصر تحليل السياق ما يعرف باسم الرصف أو النظم collocation[11]، ويعني به ارتباط كلمة بكلمات أخرى معينة في لغة من اللغات، أو استعمال كلمتين مستقلتين عن بعضهما في المعنى المعجمي، لكنهما يرتبطان ارتباطا تلازميا، كارتباط كلمة (منصهر) ببعض المعادن، كالحديد والنحاس، والذهب والفضة [12].

وقد استفاد حسان من هذه النظرية بمعالجة التعليق النحوي العربي، مضيفًا إليه ما أفاده من الجرجاني في ما تناوله لسياق الحال، وسياق المقال[13]، وظهر تأثر حسان بنظرية السياق جليا في مؤلفاته، فقد شرح مصطلح " سياق الموقف " عند " فيرث " أو ما أسماه " الماجريات " [14] .

---

[10] - ينظر: العربية وعلم اللغة البنيوي، حلمي خليل، 133، وينظر: السياق وإنتاج الدلالة (نماذج من النظريات اللسانية الغربية)،عزة شبل، ص721-722.

[11] ينظر: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث- دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق، عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، ص15

[12] - ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص74.

13 - نظرية القرائن في التحليل اللغوي، خالد بن عبد الكريم بسندي، ص 42.

[14] - ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص251

ثانيًا: تأثير البنيوية في نظرية القرائن وتوليفها

إن البنية اللغوية للنص حاضرة في نظرية القرائن، وعليه تدور فكرتها، التي تناولت ارتباط الكلمات ببعضها، سواء أكان ذلك في الجملة، أم كان في السياق. والذي يرجح معنى آخر هو وجود قرينة دالة على المعنى المقصود لفظية كانت أم معنوية.

أراد حسان إيضاح المعنى الواحد المتمثل أساسا في تفكيك بنية الإسناد، وبيان علاقات الكلمات فيه كمهمة من مهمات الإعراب كما هو معروف في النحو العربي. وهنا يتعدى مفهوم القرائن مجرد الاهتمام بالعامل، ومدى أثره في تحديد العلامات الإعرابية لمباني مكونات الإسناد إلى التعامل مع مجموعة من المعطيات الأخرى بما فيها القرائن المعنوية والقرائن اللفظية[15].

ويمكن أن تدخل القرائن اللفظية والمعنوية في إطار ما يعرف بـ: (المورفيمات)، و (الصرفيات) بأنواعها الثلاثة؛ لأنها عبارة عن معان وظيفية نحوية صرفية ناتجة عن توزيع (المورفيمات) وفق علاقة تركيبية . وأنواع (المورفيمات) هي: المورفيم الصفري، والمورفيم المقيد، والمورفيم الحر. وتقوم بثلاث وظائف: التحديد والتصنيف والتوزيع. فنحو جملة (ضرب زيد عمرا) يجد أن القرائن اللفظية والمعنوية تتحقق من خلال صرفيات الصيغة والإعراب والبناء والرتبة والإسناد وغيرها وهي تقوم بوظيفة لغوية واحدة[16].

وقد بين حسان الغاية التي تسعى إليها دراسة النحو، وتتمثل بالنظر في العلاقات؛ لنفهم بها النص، ولا يمكن النظر إليها إلا من خلال القرائن بنوعيها المعنوي واللفظي[17]. وتتفرع كل واحدة منهما إلى فروع مختلفة، فالقرائن اللفظية تتفرع إلى: العلامة الإعرابية، والرتبة، والصيغة، والمطابقة، والربط، والتضام، والأداة **[18]**. وتتفرع القرائن المعنوية إلى: الإسناد، والتخصيص، والتبعية، والنسبة، والمخالفة[19].

لكن اللافت فيما ذكره حسان في علاقة التضام استشهاده لحذف الفعل إذا دلت عليه القرينة بالتفسير بقوله تعالى: " إذا السماء انشقت" في مسألة خلافية تخالف المنهج الوصفي الذي اختاره، وغيرها من مسائل الحذف التي ناقشها في هذا المقام، وفي مقامات أخرى مسلما بالمسألة، وجعله قرينة عدمية تحت التلازم، وفرعها إلى الاستتار، والحذف[20]. وهذا يدل على أن حسان لم يخرج عن معيارية القدماء بصورة كاملة.

ومن مجموع القرائن اللفظية والمعنوية حاول حسان أن يزيح كل ما علق بالفكر النحوي من تخمين وتعليل، وحدس، مما حققه المنهج البنيوي، ليعتمد العلاقات القائمة في البنى النحوية، التي استقرت عنده بمصطلح التعليق الذي قال به الجرجاني، قاصدا بذلك العلاقات المعنوية، كعلاقات الإسناد

---

[15] - ينظر: نظرية القرائن في التحليل اللغوي، خالد بسندي، ص 40

16 - ينظر: العربية وعلم اللغة البنيوي، حلمي خليل، ص 232.

17 - ينظر القرائن النحوية: ص 38.

[18] - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص205-225

[19] - ينظر: نظرية تضافر القرائن، ص31، ونظام الارتباط والربط، مصطفى حميدة، ص 164. وينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص204، وينظر: وظاهرة الإعراب في النحو العربي، أحمد سليمان ياقوت، ص85، ومباحث التخصيص عند الأصوليين والنحاة، محمد سعد، ص 13. وينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 204، وما بعدها.

[20] - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 218- 219.

والتخصيص والنسبة والتبعية، والعلاقات اللفظية الشكلية، كالعلامة الإعرابية، والرابط، والمطابقة، والصيغة، والرتبة، والأداة، والنغمة[21].

وجد حسان ضالته في علم المعاني من علوم البلاغة العربية؛ ليكمل به ما استقاه من المنهج البنيوي، في تحقيق طموحه التجديدي، فرأى أن النحو العربي أحوج ما يكون إلى أن يدعي لنفسه هذا العلم من علوم البلاغة، بل يحسن عنده أن يكون قمة الدراسات النحوية أو فلسفتها، وأن ما قام به الجرجاني في دلائل الإعجاز من دراسة النظم وما يتصل به من أكبر جهود الثقافة العربية قيمة في سبيل إيضاح المعنى الوظيفي في السياق أو التركيب، وأنها تقف كتفا إلى كتف مع إحدى النظريات اللغوية في الغرب وتفوق معظمها في مجال فهم طرق التركيب اللغوي[22].

لم يكن ربط حسان بين البنيوية ونظرية النظم للجرجاني من قبيل الاختيار العشوائي، أو الصدفة المحضة، فثمة رؤى مشتركة بينهما جسدها حسان في نظريته، وهذه الرؤى المشتركة دفعت أحد الباحثين بحكم أسبقية عبد القاهر إلى القول بأن "البنيوية اسم حديث نسبيا لطروحات قديمة بدأها الإمام عبد القاهر الجرجاني(تـ471) في ما يسمى بنظرية النظم التي تناولها بالتفصيل في كتابه: دلائل الإعجاز ثم أعاد طرحها بشكل أو بآخر (دي سوسير) تحت اسم (البنيوية)"[23] .

إنه ينظر إلى ما ذهب إليه الجرجاني في دلائل الإعجاز على أنها أذكى محاولة لتفسير العلاقات السياقية في تاريخ التراث العربي، وذكر له أربع مصطلحات: (النظم، والبناء، والترتيب، والتعليق)، وأخطرها لديه هو التعليق. وقصد به إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية. فالتعليق هو الفكرة المركزية في النحو العربي[24].

ثالثًا/ تأثير البنيوية في حصول المعنى

إذا كانت البنيوية قد عرف عنها أنها اهتمت بالشكل اللغوي، من خلال العلاقات بين الوحدات اللغوية المكونة له، فإن اتجاهاتها المختلفة والإضافات التي أضيفت إليها من قبل أتباعها قد أفسحت فيها مكانا للاهتمام بالمعنى، فاستفاد حسان من امتدادات البنيوية، واختلاف وجهات النظر لدارسيها من نتاج معرفي لساني. وكان تركيزه على المعاني القصدية، وهذا النتاج اللساني إنما هو "تيار جديد ظهر في السنوات الأخيرة يريد أصحابه أن تكسر الحواجز بين الدراسات النحوية والدراسات الدلالية بدراسة اللسان في أثناء تحققه، وعلاقته بالمتكلمين المستعملين له، وهكذا يصبح النحو إيذانا بخروج اللفظ من المخزون المعجمي إلى الأداء التداولي"[25].

لذلك رأى حسان -من حيث المبدأ- أن الغاية التي يسعى إليها الناظر في النص هي فهم النص والوسيلة لذلك هي النظر في العلامات المنطوقة، أو المكتوبة[26]، ولكي يصل إلى هذه الغاية فقد أشار إلى أن البلاغة العربية قدمت لدراسة المعنى الاجتماعي، أو المعنى الدلالي فكرتين تعتبران اليوم من أنبل ما وصل إليه علم اللغة الحديث في هذا المجال وهي فكرة: (المقام والمقال)، وأن استقبال

[21] - ينظر: المصدر السابق: ص17.
[22] - ينظر المصدر نفسه، ص 18.
[23] - النحو العربي ودوره في تدريس اللغة العربية وفهم نظامها، علي مدكور، ص9.
[24] - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص186- 189.
[25] - الأسلوبية الوظيفية في البيان، ص1.
[26] - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ص 191.

المعنى من المقال – فحسب - إغفال معيب لأهم عنصر من عناصر المعنى، وهو المقام. وهذا يظهر من قول العرب: لكل مقام مقال[27]. وأما المقال فقد روي عن العرب قولهم: (لكل كلمة مع صاحبتها مقام)، فهي تلخيص لظاهرة التضام في العربية، والمعنى اللغوي الدلالي الاجتماعي[28].

إن المعنى الوظيفي في نظره هو الثمرة الطبيعية لنجاح عملية (التعليق)؛ لأن المعنى الوظيفي إذا اتضح أمكن إعراب الجملة دون أن نرجع إلى المعجم أو المقام[29]. ومن الباحثين من يجزم بأن حسان مثل (فيرث) يجعل المعنى غاية الدراسة اللغوية[30]. ويرى آخر أنه تبنى منهجا توليفيا بين الوصفية والوظيفية الجديدة التي هيكل أسسها وفعلها إجرائيا أحمد المتوكل[31].

ولكي تتضح الصورة أكثر فقد ضرب مثلا ببيت من الشعر صنعه من ألفاظ لا تحمل معنى معجمي على الرغم من تكونه من حروف عربية، محافظا على إدغام ما تماثل أو تقارب، وعلى المباني الصرفية والعلاقات النحوية، وهو:

قاص التَجِينُ شِحالَه بِتَرِيسهِ ال فاخي فَلَم يَسْتِف بطاسيةِ البَرَنْ

وبعد أن أعرب البيت إعرابا كاملا بين كيف أن المعنى الوظيفي يحدد الفهم صوتيا من حيث إن الحرف مقابل استبدالي، وصرفيا من حيث إن المبنى إطار شكلي يتحقق بالعلامة، ونحويا من حيث إن العلامة السياقية تكشف لنا عن ترابط المباني التي تحققت بالعلامات في سياق النص. يصل بذلك إلى إثبات أن المعنى الدلالي وهو معنى الكلمة المفردة، أو معنى المقام، فلا يتوصل إليه بواسطة المبنى فقط[32].

ولكي يكون المعنى مفهوما من الناحية الاجتماعية، فقد دعت الحاجة إلى تشقيق المعنى إلى ثلاثة معان: الأول: المعنى الوظيفي؛ أي: وظيفة الجزء التحليلي في النظام أو في السياق على حد سواء. والثاني: المعنى المعجمي للكلمة. والثالث: المعنى الاجتماعي (المقام)[33].

إن حسان يقر أن هذا التقسيم هو ما أسهمت به الدراسات اللغوية الحديثة للكشف عن المعنى اللغوي، وأنه سيحاول تطبيقه على اللغة العربية الفصحى، مع تسليط الضوء على النتائج الباهرة التي توصل إليها علماؤنا الأقدمون في الكشف عن المعنى، معترفا بالفضل لسيبويه والجرجاني، الأول في التحليل، والثاني في التركيب[34].

رابعًا: تأثير البنيوية في الحكم على نظرية العامل

النحو البنيوي أو الوصفي هو ثمرة ما عرف بالمنهج الوصفي في الدراسات اللسانية الحديثة[35]، فإذا كانت البنيوية أتت لدراسة اللغة في بنيتها وشكلها الظاهري، فإن " النحو البنيوي نحو شكلي

---

[27] - ينظر: المصدر نفسه، ص 20.
[28] - ينظر: المصدر نفسه، ص 182.
[29] - ينظر: المصدر نفسه، ص 182.
[30] - ينظر: النظام اللغوي بين الشكل والمعنى، محمد صلاح الدين، حوليات الجامعة التونسية، ص 200.
[31] - ينظر: مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، عطا موسى، ص33.
[32] - المصدر السابق، ص184.
[33] - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 29.
[34] - ينظر: المصدر نفسه، ص 29.
[35] - ينظر: مبادئ النحو البنيوي: ص3.

صوري، ينظر إلى الصور اللفظية المختلفة التي تعرضها لغة من اللغات، بحيث يصف العلاقات الناشئة بين الكلمات في الجملة وصفا موضوعيا، ثم يصنفها على أسس معينة:[36].

وقد بدأت البنيوية الاتجاه العلمي لدراسة اللغة، فأفسحت مجالا لدراسة المدلولات التركيبية في المنظومة اللغوية من الوجهة النحوية[37]، ودراسة العلاقات بين الدوال المكونة للوحدة اللغوية. ومن ثم وجد بعض الباحثين العرب، منهم تمام حسان بغيتهم فيها عن طريق الاحتكاك المباشر بالاطلاع على نتاجاتها التأسيسية، والإفادة منها في إعادة قراءة التراث النحوي العربي .

ومن المفاهيم التي جاء بها (سوسير) لوصف علاقات الكلمات المكونة للجمل مفهوم العلاقات المركبية (Les rapports syntagmatique)، الذي يقابل العلاقات الجدولية (Les rapports paradgmatique)، والعلاقات المركبية تعني العلاقة التي تربط عنصر بعنصر آخر يجاوره؛ أي: السلسلة الأفقية للجملة"[38].

وفي هذا السياق عدّ (سوسير) الجملة نمطا رئيسا للتضام (Syntagma)، ويتألف هذا التضام من وحدتين لغويتين فأكثر[39]. ولم يقتصر على علاقات الكلمات في الجمل؛ بل تجاوزها لتشمل نصا كاملا بما فيه من كلمات، وعبارات، ووحدات لغوية أخرى نتيجة وجودها معا في تعاقب معين[40].

وهذه العلاقات تعتمد وصف السلسلة الأفقية للوحدات اللغوية، وعليه فالنحو من وجهة نظر البنيوية ظاهريا، يتناول ظاهر الجملة، ولا يلجأ إلى القياس، أو التعليل، أو التقدير والتأويل؛ لأنها عند الوصفيين ظنية، تعتمد التقدير الشخصي، وتجانب معطيات المنهج العلمي الموضوعي[41].

وهذه الوجهة اعتمدها حسان لتأسيس منهج جديد في إعادة قراءة التراث النحوي العربي، راسمًا من خلاله الحدود التي يتحرك فيها هذا المنهج، ونافيًا سمة العلمية عنه إذا تعداها، إذ يقول: " كل منهج علمي من مناهج البحث في الوقت الحاضر عليه أن يُعنى أولًا وأخيًرا بالإجابة عن(كيف) تتم هذه الظاهرة أو تلك، فإذا تعدّى هذا النوع من الإجابة إلى محاولة الإجابة عن(لماذا) تتم هذه الظاهرة أو تلك لم يعد هذا منهجًا علميًا؛ بل لا مفرّ من وصفه بالحدس والتخمين"[42].

فكما يرفض المنهج البنيوي الحدس والتخمين صرح حسان بأن السؤال بـ(لماذا) لا يعنيه؛ لأنه يعتمد على الحدس والتخمين. وفي سبيل هذه الفكرة عرض حسان لنص لا معنى لكلماته، ولكنها مصوغة على شروط اللغة العربية، وهو" حَنْكَفَ المستعصُ بقاحته في الكحظ فعنّذ التران تعنيذا خسيلا ، فلما اصطف التران ، وتحنكفَ شقله المستعصّ بحشله فانحكز سُحيْلا سُحيْلا حتى خزب"

---

[36] - نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، نهاد الموسى، ص28.

[37] - ينظر: الأسلوبية الوظيفية وموقعها من كتاب البيان في روائع القرآن لتمام حسان، بداش حنيفة، ص أ ، وينظر: البنيوية في اللسانيات، محمد الحناش، ص184.

[38] - الجملة بين النحو العربي واللسانيات: ص34.

[39] - ينظر: مدخل إلى دراسة الجملة العربية، محمود أحمد نحلة، ص11.

[40] - ينظر: معجم اللسانيات الحديث، سامي عياد حنا وآخرون، ص38.

[41] - ينظر: مبادئ النحو البنيوي: ص5.

[42] - اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان، ص 42 .

ثم قال بعد ذلك :"لكأني بالقارئ الآن قد بدأ في إعراب هذا النص ، وكأني أسمعه يقول: حنكف فعل ماض ، والمستعص فاعل ، وبقاحته جار ومجرور متعلق بحنكف، إلى أن يتم الإعراب الصحيح"[43]

يرى حسان أن "على عالم اللغة الوصفي أن يقصر نشاطه على الملاحظة والوصف والتسجيل، وأن العامل النحوي، وما أثار من ضجيج إنما هو مبالغة بسبب النظرة السطحية، وتأثير الأقدمين من النحاة، ودعا إلى ترك المنطق الأرسطي في النحو ورفض التعليل، فالقرائن عنده كفيلة بإيضاح المراد بدلا عن العامل"[44].

إنه يرى أن فهم القرائن المقالية تغني عن فكرة العامل النحوي، وأن هذا الفهم سيعوض قصور العلامات الإعرابية عن تفسير المعاني النحوية، وهي قرينة إعرابية واحدة توجه إليها النحاة، وجاءوا بفكرة العامل. فالقرائن في نظره هي البديل؛ فهي لا تعطي العلامة الإعرابية من الاهتمام أكثر مما تعطيه لأية قرينة أخرى[45].

لكني أستطيع القول إن لموقف حسان من العامل امتداد في التراث العربي، وليس خالصا لتأثره بالمنهج الوصفي الحديث، فقد سبقه ابن مضاء الذي أنكر العامل من القدماء، ومن المحدثين إبراهيم مصطفى. وقد وجد في المناهج الحديثة ما يسد به تعليلات وبدائل تقوم مقام العامل، أما من جاء قبله، وذهب هذا المذهب، فقد أنكر العامل ولم يعط بديلا له.

فقد أراد حسان أن يوظف ما فهمه من التراث في عده العامل، أو العلامات الإعرابية قرينة من القرائن، وأنه قد قال به قامة كبيرة بقدر عبد القاهر الجرجاني، إذ يقول: "وفي رأيي - كما في رأي عبد القاهر على أقوى احتمال – أن التعليق هو الفكرة المركزية في النحو العربي، وأن فهم التعليق على وجه كافٍ وحده للقضاء على خرافة العمل النحوي"[46].

إن حسان أعمل فكره الاستنباطي في توجيه فكر الجرجاني ومقاصده في دلائل الإعجاز، مما جعله يحمله ما لا يحتمل، من غير نص واضح من الجرجاني يؤيد ذلك الاستنباط، فالحقيقة أن الجرجاني لم ينكر العامل، ولم يقل بعدم جدواه، وليس من المقبول تقزيم دور العامل على لسان الجرجاني، والدليل عليه قول الجرجاني: "لا يتصور أن يتعلق الفكر بمعاني الكلم أفرادًا ومجردة من معاني النحو، فلا يقوم في وهم، ولا يصح في عقل أن يتفكر متفكر في معنى فعل من غير أن يريد إعماله في اسم، ولا أن يتفكر في معنى اسم من غير أن يريد إعمال فعل فيه، وجعله فاعلا له أو مفعولا.."[47].

إن ما يبدو للباحث هو أن موقف حسان هذا لا يفسره إلا ما حاولنا إثباته في هذا البحث وهو تشبثه بالتراث إلى درجة التأصيل لما توصل إليه فكره في إخراج نظرية القرائن مستفيدا من الدراسات البنيوية الغربية من التراث اللغوي العربي.

---

[43] - مناهج البحث في اللغة ، تمام حسان ، ص 193 . وينظر: اتجاهات البحث في قضية الإعراب عند اللغويين العرب المحدثين ، خالد الحجيلان، الرياض، جامعة الملك سعود، 1419هـ،ص 201 . وينظر: نظرية القرائن، خالد بسندي، ص41.

[44] - اللغة العربية معناها ومبناها، ص 232، وينظر: نظرية تضافر القرائن بين التراث واللسانيات الحديثة، ص23.

[45] - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص231-232، وينظر: نظرة في قرينة الإعراب في الدراسات النحوية القديمة والحديثة، محمد صلاح الدين، ص 47-49.

[46] - اللغة العربية معناها ومبناها، ص 232.

[47] - دلائل الإعجاز، ص118.

كما أن آراء حسان اللسانية تمثل "صورة واضحة المعالم لالتقاء الفكر اللساني العربي الأصيل، وهذا المنهج الغربي الحديث في محاولة توفيقية ناقدة لمنهجي النحاة العرب القدماء، واللسانيين البنيويين منهم بشكل خاص، قصد التأسيس لنظرية نحوية عربية حديثة"[48] .

والذي يؤكد ما سبق بناء تمام حسان نظريته –كما قلنا- على أساسين متينين هما : التراث اللغوي العربي، والنتاج اللساني الحديث، وقد حدد زاويته التراثية في كتاب سيبويه، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني. وحملت هذه الدراسة على عاتقها معرفة الجوانب الخاصة بهذين الأساسين اللذين تأثر بهما تمام حسان؛ لمعرفة جوانب التأثير في نظريته.

النتائج

1- تأثرت الدراسات النحوية العربية الحديثة بالمنهاهج الغربية الحديثة، كما ظهر من خلال أنموذج فكر تمام حسان االتجديدي المتأثر بالمنهج البنيوي، ورفضه لنظرية العامل العربية، وعمل هذا المنهج على بلورة فكره النحوي، وطريقة نظره فيه؛ فالمنهج الحديث يقوم على دراسة اللغة لذاتها، ويستبعد كل ما كان خارجها، وبهذا صار منهجا علميا.

2- نظرية القرائن نظرية توليفية جمعت بين استفادتها من المناهج الحديثة وتحديدا المنهج البنيوي في اتجاهاته المختلفة، والتراث اللغوي العربي وتحديدا علم المعاني، فمثلت بذلك نظرة تجديدية للنظر في التراكيب النحوية في العربية.

3- لم ينسلخ تمام حسان بفكره التجديدي عن الموروث اللغوي العربي، بل أصل لتوجهاته في كل مساراتها من نتاج العلماء الأقدمين وخاصة سيبويه، والجرجاني، كما صرح بذلك في أكثر من مقام.

4- حاول حسان إثبات عدم كفاية نظرية العامل لكشف المعاني النحوية بشمولية، وقدمها في صورة لم تزد عن كونها قرينة من جملة قرائن أخرى كثيرة تعمل معها لتؤدي هذا الغرض.

5- إن تحديد تمام حسان ما كان ينبغي للنحاة فعله – حسب رأيي – هو تجنٍّ عليهم، فالمنهجية العلمية تقتضي ألا يحاكمهم إلى إفرازات النظريات والمناهج الحديثة التي وصلوا إليها بعد تراكم معرفي طويل، خاصة أن حسان أدخل إلى النحو مبادئ علوم أخرى لم يعملها الأقدمون، واستعان بمناهج لم تكن في متناول الأقدمين، ولم يكن له أن يصل إليها إلا بعد أن أفرزتها الدراسات الغربية الحديثة.

[48] - نظام الجملة في شعر المعلقات، محمود أحمد نحلة، ص80.

ثبت بالمصادر والمراجع

1- اتجاهات البحث في قضية الإعراب عند اللغويين العرب المحدثين ، خالد الحجيلان، الرياض، جامعة الملك سعود، 1419هـ.
2- بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبدالرحمن الحاج، ط1، موفم للنشر، الجزائر، 2007م.
3- البنيوية في اللسانيات، محمد الحناش، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1980.
4- البيان في روائع القرآن دراسة لغوية أسلوبية ، د. تمام حسان، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1993م.
5- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح/ محمد الداية، وفايز الداية، دار قتيبة، دمشق، 1983م.
6- دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث- دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق، عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دار المنار- القاهرة،1991م،
7- ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم، د. أحمد سليمان ياقوت، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994م.
8- العربية وعلم اللغة البنيوي دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1988 م .
9- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ط3، عالم الكتب، القاهرة، 1992م،
10- في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2007م.
11- اللسانيات العامة اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، د. نعمان بوقرة، ط1، عالم الكتب الحديث، 2009م.
12- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء- المغرب، 1994م.
13- مباحث التخصيص عند الأصوليين والنحاة، محمد سعد، ط1، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1988م.
14- مبادئ النحو البنيوي دراسة تطبيقية على اللغة العربية، د. يحي بعيطش، جامعة قسنطينة- الجزائر، رابط umc.edu.dz/vf/images/revue-langue/11%20%20.pdf
15- مدخل إلى دراسة الجملة العربية، محمود أحمد نحلة، ط1، بيروت، دار النهضة العربية، 1988م.
16- معجم اللسانيات الحديث، سامي عياد حنا وآخرون، مكتبة لبنان، 1997م.
17- مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، د. عطا موسى، ط1، دار الإسراء- الأردن، 2002م.
18- مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1974م.

19- النحو العربي ودوره في تدريس اللغة العربية وفهم نظامها، علي مدكور، 2004م، رابط www.majma.org.jo/majma/index.php/2009-02-10-09.../248-22-4.html
20- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، ط1، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، 1997م.
21- نظام الجملة في شعر المعلقات، محمود أحمد نحلة، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 1991م.
22- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، نهاد الموسى، مكتبة وسام، عمان، 1987م.

الرسائل العلمية

1- الأسلوبية الوظيفية وموقعها من كتاب البيان في روائع القرآن لتمام حسان، رسالة ماجستير في الأدب العربي، بداش حنيفة، جامعة منتوري، قسنطينة – الجزائر، 2008م.

2- الجملة بين النحو العربي واللسانيات المعاصرة (مفهومها وبنيتها)، رسالة ماجستير، وداد ميهوبي، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، 2009 -2010م.

المجلات والدوريات

1- السياق وإنتاج الدلالة (نماذج من النظريات اللسانية الغربية)،عزة شبل، الندوة الدولية قضايا المنهج في الدراسات اللغوية والأدبية النظرية والتطبيق (بحوث محكمة)، جامعة الملك سعود، 1431هـ - 2010م.

2- القرائن النحوية واطراح العامل والإعرابين التقديري والمحلي، تمام حسان، مجلة اللسان العربي، الرباط، مج 11، 1974م .

3- النظام اللغوي بين الشكل والمعنى، محمد صلاح الدين، حوليات الجامعة التونسية، ص 200.

4- نظرة في قرينة الإعراب في الدراسات النحوية القديمة والحديثة، محمد صلاح الدين بكر، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية الخامسة، الرسالة العشرون، 1984م.

5- نظرية تضافر القرائن بين التراث واللسانيات الحديثة، د. نعمان بوقرة، علوم اللغة، مصر، مج12، ع3، 2009م.

6- نظرية القرائن اللغوية عند تمام حسان، عبدالرحيم الكردي، كتابات- مصر، ع2، 2011م.

7- نظرية القرائن في التحليل اللغوي، خالد بن عبد الكريم بسندي، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد4 العدد 2، 2007.

الجامعة القرآنية لتعليم ألفاظ القرآن الكريم في عهد الصحب الكرام

د. منصور علي سالم ناصر
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بجامعة الحديدة

المقدمة.

الحمدلله رب العالمين القائل في محكم كتابه: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[الحجر:9] والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبدالله الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد

فإن كتاب الله عزوجل هو عزة الأولين والآخرين، وسندا لكل من تمسك به واتبع هداه، كيف لا؟ والذي تكلم به وصفه بقوله: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)[الإسراء:9] والقائل فيه صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللَّهِ، فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدُبَةِ اللَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللَّهِ، وَهُوَ النُّورُ الْمُبِينُ، وَالشَّافِعُ النَافِعُ، عِصْمَةٌ لِمَنْ يَتَمَسَّكُ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ تَبِعَهُ، لَا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمَ، وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، أَتْلُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْجُرُكُمْ عَلَى تِلَاوَتِهِ بِكُلِّ حَرْفٍ مِئَةُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ أَلِفٌ وَلَامٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ عَشْرًا، وَلَامٌ عَشْرًا))[1].

ولذلك رأينا الصحابة الكرام عكفوا على تلقيه مباشرة ومشافهة من فم النبي ﷺ، وجعلوه ديدنهم الذي يمثل الوقود الأساسي لحياتهم وسلوكهم وأخلاقهم، وبعد أن تلقوه وأتقنوه حفظا وكتابة وتطبيقا انتقلوا لمرحلة التعليم والتدريس للأجيال التي جاءت بعدهم فنقلوه كما تعلموه، ورووه كما سمعوه من غير تحريف أو تبديل، وانتشر القرآن انتشارا واسعا عم أجزاء كثيرة من الكرة الأرضية كان يتحرك في نفوس سامعيه كتحرك خيول الفاتحين في كل أصقاع الدنيا، وانتشرت المقارئ والمدارس والجامعات التي تفرعت عن الجامعة الأم التي هي في مركز الدولة الإسلامية وعاصمة الخلافة المدينة المنورة.

ومن هذا المنطلق أقدمت مستعينا بالله تعالى على الكتابة عن عصر الصفوة من الصحب الأخيار الذين نشأوا في مدرسة النبي ﷺ، ومن ثم قيامهم بإنشاء جامعة إسلامية عملاقة طلابها يعدون بالآلاف، من خلال الانتشار الواسع لهذه الجامعة في أصقاع الأرض المختلفة وافتتاح فروعها في كل مصر من الأمصار، ووسمت بحثي هذا بـ**((الجامعة القرآنية لتعليم ألفاظ القرآن الكريم في عهد الصحب الكرام))**

سبب اختيار البحث:

إن مما دفعني لاختيار هذا البحث هو:

1- قلة الدراسات في هذا المجال نسبة إلى غيره من العلوم الأخرى المتعلقة بكتاب الله عز وجل، فارتأيت أن أتناول هذا الموضوع بنوع من الدراسة والبحث الجاد في ما يتعلق بإقراء اللفظ القرآني في زمن الصحب الكرام.

[1] - مسند ابن أبي شيبة: (251/1)، حديث رقم (376).

2- أهمية هذا الموضوع كونه يتعلق بمعجزة الحفظ للقرآن الكريم وألفاظه، ما بقيت هذه البشرية على وجه الأرض.

3- امتدادا للسلسة البحثية الخاصة بالقراءة والإقراء، والتي ابتدأتها ببحثي الموسوم بـ((المدرسة النبوية في تعليم ألفاظ القرآن الكريم)) والذي تم نشره في المجلة العلمية المحكمة لأعمال المؤتمر العالمي الثاني للقراءات القرآنية ((التلقي في العهد النبوي: أنماط ومآلات)) والذي انعقد في المملكة المغربية- مراكش- مركز الإمام أبي عمرو الداني للدراسات والبحوث القرائية المتخصصة من الفترة (17- **19) مارس 2015م.**

أهمية البحث:

يعد هذا البحث إسهاما جديدا في الدراسات القرآنية، والمتعلقة بأول جامعة وجدت مع فجر الرسالة الخاتمة، والتي بدأت كمدرسة قرآنية تلقى فيها الصحابة الكرام ألفاظ القرآن الكريم غضة طرية على يد المعلم الأول معلم البشرية محمد ﷺ.

منهج البحث:

إن المنهج الذي اتبعته هو المنهج الاستقرائي الاستنباطي في عرض الموضوعات وتحليلها وربطها مع بعضها جريا على الطريقة المعهودة في الدراسات الموضوعية.

طريقة البحث:

إن الطريقة المتبعة في تقسيم الموضوع هي طريقة البحوث العلمية الأكاديمية من تتبع مظان الموضوع من الكتب والمصادر التي تناولته، على النحو التالي:

1- كتابة الآيات وعزوها إلى السور التي وردت فيها مع بيان اسم السورة ورقم الآية.

2- إذا استدعى المقام الاستشهاد بالآية مرة أخرى في نفس الصفحة فإني لا أعزوها مكتفيا بما أشرت إليه سابقا.

3- استخدام القوسين المزهرين للآيات لتمييزها عن ما سواها.

4- تنصص الأحاديث بأقواس تميزها عن غيرها من النقولات.

5- إذا نقلت كلام عالم من العلماء بالنص فإني أنصصه بين قوسين وأشير في الهامش لاسم الكتاب مع بيان رقم الجزء والصفحة فقط، إذ التعريف به كاملا محله قائمة المراجع والمصادر.

7- إذا تم اقتباس كلام من أي كتاب مع تصرف يسير فإني أكتب العبارات بدون أقواس ثم أشير في الهامش بكلمة ينظر، وأشير للكتاب الذي نقلت منه المعلومة.

هيكل البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة والتي تناولت فيها دواعي البحث، وأهمية الموضوع ومنهجه، وكذلك هيكل البحث الذي انحصر بعد المقدمة في مبحثين وخاتمة على النحو التالي:

المبحث الأول: التأسيس والنشأة للجامعة القرآنية، وفيه مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الجامعة القرآنية.

المطلب الثاني: تطور الجامعة القرآنية من مدرسة إلى جامعة كبرى تضم آلاف التلاميذ.

المطلب الثالث: الانتشار الواسع للجامعة القرآنية في العديد من الأمصار المفتوحة، وأشهر أئمتها.

المبحث الثاني: المنهجية التي اتبعها الصحابة الكرام في تعليم ألفاظ القرآن الكريم. وفيه مطالب:

المطلب الأول: مفهوم المنهجية القرآنية وأهميتها.

المطلب الثاني: المنهجية التي اتبعها الصحابة الكرام في تعليم ألفاظ القرآن الكريم.

المطلب الثالث: الوسائل التعليمية التي اتبعها الصحابة الكرام في تعليم ألفاظ القرآن.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: التأسيس والنشأة للجامعة القرآنية.

البداية الحقيقية للتأسيس ارتبطت ارتباطا مباشرا بنزول القرآن الكريم على النبي ﷺ بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، وقد تلقى النبي القرآن مشافهة وعرضا من جبريل عليه السلام ونقل ذلك التلقي للصحب الكرام، ولذلك كانت دار الأرقم بن أبي الأرقم هي النواة الأولى لهذه المدرسة القرآنية، فهي أول مؤسسة تربوية في تاريخ الإسلام، وقد كان النبي ﷺ يجتمع فيها بأصحابه يتلو عليهم القرآن، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة.

ومن هذا المنطلق فقد قسمت هذا المبحث إلى مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: مفهوم الجامعة القرآنية.

المطلب الثاني: تطور الجامعة القرآنية من مدرسة إلى جامعة كبرى تضم آلاف التلاميذ.

المطلب الثالث: الانتشار الواسع للجامعة القرآنية، وأشهر أئمتها.

المطلب الأول: مفهوم الجامعة القرآنية.

أولا: الجامعة في اللغة:

الجامعة في اللغة مأخوذة من الفعل (جَمَعَ) وقد جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس:" الجيم والميم والعين أصلٌ واحد، يدلُّ على تَضَامِّ الشَّيء. يقال جَمَعْتُ الشيءَ جَمْعاً "[1].

وفي لسان العرب لابن منظور: "جَمَعَ الشيءَ عَنْ تَفْرِقة يَجْمَعُه جَمْعاً وجَمَّعَه وأَجْمَعَه فاجتَمع واجْدَمَعَ، وَهِيَ مُضَارَعَةٌ، وَكَذَلِكَ تجمَّع واسْتجمع. وَالْمَجْمُوعُ: الَّذِي جُمع مِنْ هاهنا وهاهنا وإِن لَمْ يُجْعَلْ كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ. واسْتجمع السيلُ: اجْتَمَعَ مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ. وجمَعْتُ الشَّيْءَ إِذا جِئْتَ بِهِ من هاهنا وهاهنا. وتجمَّع الْقَوْمُ: اجْتَمَعُوا أَيضاً من هاهنا وهاهنا"[2].

ومما سبق يتبين أن كلمة (جمع) جاءت في القواميس اللغوية بمعنى جمع المتفرق وضم بعضه إلى بعض.

ثانيا: مفهوم الجامعة في الاصطلاح:

لفظ جامعة (University) مشتق من كلمة (Universitas) وهي كلمة لاتينية يقصد بها- حتى القرنين الحادي عشر والثاني عشر- طائفة من الناس تربطهم رابطة واحدة ويعملون كوحدة واحدة سواء كانت هذه الرابطة في الناحية الدينية أو الصناعية أو الإدارية أو في حرفة من الحرف وبذلك يبدو أنها اتحاد أو تنظيم[3].

قال الدكتور طه جابر العلواني:" إن كلمة جامعة قد أخذت من لفظ الجمع. وإذا كان الجامع قد سمي جامعا لأنه موضع اجتماع الناس لعبادة الله جل شأنه، فإن كلمة جامعة تدل على مكان يجتمع الناس فيه لخدمة العلم والمعرفة، كشفا وإنتاجا وتعلما وتعليما، حيث يرتبط مفهوم العلم بالعبادة، ويتصل مفهوم العلم بالعمل"[4].

وتطور الأمر حتى أصبحت الجامعة تطلق على مؤسسة التعليم العالي، وتضم العديد من الكليات المختلفة في كل فروع المعرفة.

أما الجامعة القرآنية: فهي تلك المؤسسة القرآنية التي أسسها النبي ﷺ، وتعلم فيها الصحابة الكرام ألفاظ الوحي تلقيا عن النبي ﷺ مباشرة، ثم تطورت بتطور الفتوحات وكثافة الداخلين في الإسلام حتى صارت جامعة كبرى لها كلياتها وفروعها المختلفة في كل الأمصار المفتوحة.

---

[1] - معجم مقاييس اللغة: (479/1).

[2] - لسان العرب: (53/8)

[3]- ينظر: دراسات في التعليم العالي المعاصر: (15).

[4]- الجامعات الإسلامية وبناء علوم الأمة: (239).

المطلب الثاني: تطور الجامعة القرآنية من مدرسة إلى جامعة كبرى.

لقد بدأت الجامعة القرآنية عملها منذ نزول ألفاظ القرآن الكريم على النبي ﷺ، من خلال نقل ما يتلقاه النبي صلى الله عليه عن أمين الوحي جبريل عليه السلام، فكانت دار الأرقم بن أبي الأرقم هي نواة التأسيس للجامعة القرآنية، وكانت هذه الدار على جبل الصفا قريبة من الكعبة، وهي الدار التي كان رسول الله يجلس فيها مع الصحابة يقيمون صلاتهم، ويعلمهم ما نزل من القرآن الكريم، واختار النبي ﷺ دار الأرقم لتكون مدرسة قرآنية دعوية؛ لموقعها الاستراتيجي فهي تقع قريبا من جبل الصفا في موضع مشرف على مكة وبعيدا عن عيون أهل مكة وتحركاتهم - التي أخذت ترقب تجمعات المسلمين- إضافة لذلك أن الأرقم لم يكن معروفًا بإسلامه، فما كان يخطر ببال قريش أن يتم لقاء محمد وأصحابه بداره، كذلك كان فتىً عند إسلامه، فلقد كان في حدود السادسة عشرة من عمره، ويوم أن تفكر قريش في البحث عن مركز التجمع الإسلامي، فلن يخطر في بالها أن تبحث في بيوت الفتيان الصغار من أصحاب رسول الله، بل يتجه نظرها وبحثها إلى بيوت كبار أصحابه.

واستمرت دار الأرقم كمدرسة قرآنية مبكرة طوال الفترة السرية للدعوة وانضم في رحابها عدد كبير من الذين اتبعوا النبي ﷺ.

وممن تتلمذ في هذه الفترة على يد النبي ﷺ خديجة زوج النبي ﷺ، وبناته، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وأبو بكر الصديق الذي أسلم على يديه خمسة من المبشرين بالجنة، وهم: عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وكان السبب وراء إسلام هذا العدد على يد أبي بكر الصديق هو منزلة أبي بكر في قريش فهو رجل محبب لأهلها، حلو العشرة، كريما جوادا، تاجرا موسرا له علاقاته الواسعة والكثيرة، ذا أخلاق عالية، وايضا كان أنسب أهل قريش وأكثرهم علما بالوقائع والأيام، وعلم الأنساب من العلوم الرائجة عند العرب قديما لشدة حرصهم عليها، وهذه الخصال والعلوم جعلت لأبي بكر الصديق اتصال بكافة شرائح المجتمع المكي، وهذا ظاهر من تفاوت أعمار من أسلم على يديه، وهذا إن دل فإنه يدل على مدى عناية أبي بكر في نشر الدعوة الإسلامية بين كل من يجلس اليه، فإنه لم يأنف من دعوة الغلمان والشباب الصغار.

وممن تلمذ أيضا في هذه المدرسة في هذه الفترة أبو عبيدة بن الجراح، وأبو سلمة والأرقم بن أبي الأرقم، وعثمان بن مظعون، وسعيد بن زيد، وخباب بن الأرت، وعمار بن ياسر، وصهيب الرومي، وبلال الحبشي، وغيرهم، حتى تكاملوا أربعين رجلا وامرأة.

واستمر رسول الله ﷺ في إحياء هذه المدرسة القرآنية طوال المرحلة السرية من الدعوة المباركة، وبدايات المرحلة الجهرية حتى أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فخرج حين ذلك أربعون مسلما من دار الأرقم نحو المسجد الحرام جهارا نهارا أمام قريش لممارسة العبادة عند الكعبة، ولم تتوقف المدرسة القرآنية في دار الأرقم عن أدائها فقد كانت تستقبل الوفود التي تأتي من خارج مكة سرا لمقابلة النبي ﷺ، ولم يُذكر أنها توقفت حتى في غياب النبي ﷺ عن مكة حين خرج للطائف في السنة العاشرة من البعثة النبوية، فقد كان قُرَّاء الصحابة يجتمعون بالمسلمين الجدد فيها وفي بيوتهم، في نظام أشبه بالأُسر التربوية أو الحِلق التعليمية؛ لكلِ أسرةٍ معلم، ولكل مجموعة نقيب، ومثالُ ذلك ما أبانته قصة إسلام عمر رضي الله عنه لما دخل بيت ختنه وابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو- زوج فاطمة بنت الخطاب- فُوجِئ بخباب بن الأرت ومعه صحيفة فيها سورة طه

يقرئهما إياها، وهذا يدل أن علماء الصحابة في هذا الوقت كانوا يتعهدون البيوتَ سرًا لتعليم المسلمين ألفاظ القرآن الكريم.

ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة كان مسجد رسول الله هو الجامعة القرآنية التي تلقى فيها الصحب الكرام تعليم ألفاظ القرآن الكريم،كون المسجد هو المكان الأنموذجي لتعلم القرآن وتعليمه، لكن هذا لا يعني أنهم لا يقرؤون القرآن في مكان سواه، يدل على ذلك حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنَ مُغَفَّلٍ، قَالَ: (رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ أَوْ جَمَلِهِ، وَهِيَ تَسِيرُ بِهِ، وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الفَتْحِ - أَوْ مِنْ سُورَةِ الفَتْحِ - قِرَاءَةً لَيِّنَةً يَقْرَأُ وَهُوَ يُرَجِّعُ)[1]. وفي هذا دليل صريح على أن قراءة القرآن تجوز في أي مكان وعلى أي هيئة.

كذلك كان أصحاب النبي ﷺ أسبق الناس إلى الخير، وأسرعهم إلى العمل الصالح، وأقدرهم عليه، وكان من أعظم همهم: حفظ كتاب الله تعالى، وتعلمه، والعمل به، ثم تعليمه الناس، وكانوا يتعلمونه من رسول الله ﷺ، ومن فاته من رسول الله ﷺ شيء-لانشغالهم بالجهاد- تعلمه من صاحبه.

وأقبل الصحابة على حفظ القرآن الكريم، فحفظ منهم عدد كبير، يدلنا على ذلك حديث السبعين قارئا. فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: (جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: أَنِ ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُمْ: الْقُرَّاءُ، فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيئُونَ بِالْمَاءِ فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ، وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصُّفَّةِ وَلِلْفُقَرَاءِ، فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَعَرَضُوا لَهُمْ، فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ، فَقَالُوا: اللهُمَّ، بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ، وَرَضِيتَ عَنَّا، قَالَ: وَأَتَى رَجُلٌ حَرَامًا، خَالَ أَنَسٍ مِنْ خَلْفِهِ، فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ حَتَّى أَنْفَذَهُ، فَقَالَ حَرَامٌ: فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ:"إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا، وَإِنَّهُمْ قَالُوا: اللهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ، وَرَضِيتَ عَنَّا")[2].

ومما يدل على كثرة القراء وذيوع صيتهم حديث زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه وكان ممن يكتب الوحي قال: (أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ اليَمَامَةِ وَعِنْدَهُ عُمَرُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي، فَقَالَ: إِنَّ القَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ اليَمَامَةِ بِالنَّاسِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ القَتْلُ بِالقُرَّاءِ فِي المَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ القُرْآنِ إِلَّا أَنْ تَجْمَعُوهُ، وَإِنِّي لَأَرَى أَنْ تَجْمَعَ القُرْآنَ)[3]. قال الحافظ في الفتح: "وهذا يدل على أن كثيرًا مِمَّن قتل في وقعة اليمامة كان قد حفظ القرآن، لكن يمكن أن يكون الْمراد أن مجموعهم جَمَعَهُ، لا أن كل فرد جمعه"[4].

وأشهر من كان يعلِّم الناس القرآن: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبيُّ بن كعب رضي الله عنهم، فعلموا كثيرا من صغار الصحابة، ومن بعدهم من التابعين. قال أبو عبد الرحمن السلمي:

---

[1] - صحيح البخاري: (6/ 195) – كتاب فضائل القرآن- باب الترجيع.

[2] - صحيح مسلم: (45/6) – كتاب الإمارة– باب ثبوت الجنة للشهيد.

[3] - صحيح البخاري: (350/11) – كتاب تفسير القرآن – بَابُ قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

[4]- فتح الباري شرح صحيح البخاري: (12/9).

حدثنا الذين كانوا يُقرِئوننا: (أنهم كانوا يستقرِئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلَّموا عَشْر آيات لم يخلِّفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعا) [1].

أما أبرز الصحابة الذين حفظوا القرآن كاملا في زمن النبي ﷺ فهم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأُبيُّ بن كعب، وعبدالله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وأبو الدرداء، وأبو هريرة الدوسي، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن السائب، ومعاذ بن جبل، وسالم ولى أبي حذيفة، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وعقبة بن عامر، وعائشة بنت أبي بكر الصديق زوج النبي ﷺ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب زوج النبي ﷺ، وأم سلمة هند بنت أبي أمية زوج النبي ﷺ[2].

ومن هنا يظهر مدى الاهتمام بالقرآن الكريم، والإقبال عليه تعلما وتعليما، ومدارسة وحفظا في زمنه ﷺ.

[1] - جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (80/1) قالا في تخريجه أحمد محمد شاكر ومحمود محمد شاكر: هذا إسناد صحيح متصل، وقد صرح أبو عبدالرحمن السلمي: بأنه حدثه الذين كانوا يقرئونه، وأنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، فهم الصحابة، وإبهام الصحابي لا يضر، بل يكون حديثه مسندًا متصلا.

[2]- ينظر تفاصيل ذلك: تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلاني. وينظر: غاية النهاية في طبقات القراء: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري.

المطلب الثالث: الانتشار الواسع للجامعة القرآنية، وأشهر الأئمة فيها.

لقد كان للفتوحات الإسلامية دور كبير في انتشار الصحابة الكرام في كل أصقاع المعمورة، حاملين معهم كتاب الله الذي حفظوه في صدروهم وسطورهم، وأخذ كل مصر القراءة ممن وفد إليه من الصحابة، حيث كان كل صحابي يُعَلِّم بالحرف الذي تلقاه من الأحرف السبعة التي نزلت على رسول الله ﷺ.

وانتشرت فروع عدة لهذه الجامعة القرآنية في العديد من الأمصار المفتوحة على يد الصحابة الكرام الذين انتقلوا بين البلدان فاتحين لنشر دين الله، ومعلمين للناس ألفاظ القرآن الكريم الذي تلقوه عن مصدره الأول ﷺ، وكانت هذه الفروع للجامعة القرآنية بمثابة كليات لها منهجيتها وأساليبها ووسائلها في تعليم القرآن الكريم ومن هذه الفروع:

1- الكلية القرآنية بالمدينة المنورة.

تعتبر كلية المدينة المنورة لتعليم القرآن الكريم من أكبر الكليات؛ لأن الكثير من الصحابة أقاموا بها ولم يتحولوا عنها إلى غيرها من بلاد المسلمين فجلسوا لأتباعهم يعلمونهم كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ، فقامت بالمدينة كلية للإقراء والتفسير، تتلمذ فيها كثير من التابعين لمشاهير القراء من الصحابة، أبرزهم أُبَيُّ بن كعب رضي الله عنه، الذي يعد هو المؤسس الأبرز لهذه الكلية القرآنية، وهو أشهر مَن تتلمذ على يديه مقرؤوا ومفسروا التابعين بالمدينة، وذلك لشهرته أكثر من غيره في القراءة والتفسير، وكثرة ما نُقل لنا عنه في ذلك، ولفضله الكبير الذي أشارت إليه الأحاديث النبوية. فعن سليمان بن عامر قَالَ: سَمِعْتُ الرَّبِيعَ بْنَ أَنَسٍ يَقُولُ: قَرَأْتُ الْقُرْآنَ عَلَى أَبِي الْعَالِيَةِ وَقَرَأَ أَبُو الْعَالِيَةِ عَلَى أُبَيٍّ قَالَ: وَقَالَ أُبَيٌّ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أُمِرْتُ أَنْ أُقْرِئَكَ الْقُرْآنَ) قَالَ: قُلْتُ: أَوَ ذُكِرْتُ هُنَاكَ؟ قَالَ: (نَعَمْ) فَبَكَى أُبَيٌّ قَالَ: (فَلَا أَدْرِي أَبِشَوْقٍ أَوْ بِخَوْفٍ))[1].

وعَنْ أَنَسِ بن مالك أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأُبَيٍّ: ((إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ». قَالَ: أَوَ سَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَم» فَبَكَى أُبَيٌّ))[2]. وتعجب أبيّ بن كعب من ذلك؛ لأن تخصيصه بذلك تشريف عظيم له، فلذلك بكى، إما فرحاً، وإما خشوعا.

وأراد رسول الله ﷺ أن يعرف علم أبيّ بالقرآن فقال له: ((يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟. قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: 255]. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ))[3]. أي هنيئاً لك بالعلم بكتاب الله وحسن معرفته.

ورجال هذه المدرسة من تلاميذ أبيّ بن كعب رضي الله عنه جم غفير لا يحصى عددهم من التابعين اشتهر من بينهم ثلاثة هم: زيد بن أسلم، وأبو العالية، ومحمد بن كعب القرظي، وهؤلاء منهم مَن أخذ عن أُبَيّ مباشرة، ومنهم مَن أخذ عنه بالواسطة.

2- الكلية القرآنية بمكة المكرمة.

---

[1] - السنن الكبرى للنسائي: (250/7) - بَابٌ ذِكْرُ كَاتِبِ الْوَحْيِ.

[2] - السنن الكبرى للنسائي: (251/7) - بَابٌ ذِكْرُ كَاتِبِ الْوَحْيِ.

[3] - صحيح مسلم: (556/1). - كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا - باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي.

حيث تعتبر مكة المكرمة هي أول مهبط للوحي وأول ساحة ينزل فيها القرآن الكريم، وفيها مكث النبي ﷺ ثلاثة عشر عاما يعلم الناس القرآن الكريم ويدعوهم للدخول في دين الله، وفيها نزل أول لفظ يدعو للقراءة، وبها تأسس أول مركز لتعليم المسلمين- دار الأرقم- ليتخرج منها الأرقميون الذين تعهدوا القرآن وعلموه، وانطلقوا في بقاع الأرض ينشرونه، وبعد اتساع الفتوحات، تفرق الصحابة في الأمصار.

وتعد الكلية القرآنية بمكة المكرمة الأولى في هذا الحقل العلمي بفضل مؤسسها وخريجيها، فابن عباس رضي الله عنه هو المؤسس لهذا الفرع القرآني للجامعة القرآنية، وهو حبر الأمة وبحرها، وقد اعترف له كبار الصحابة بطول الباع في التفسير وغيره من العلوم، قال عنه الجليل ابن مسعود: "لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشره منا أحد. وقال: نعم ترجمان القرآن ابن عباس"[1].

وقال عنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه: " إِنَّهُ لَيَنْظُرُ إِلَى الْغَيْبِ مِنْ سِتْرٍ رَقِيقٍ؛ لعقله وفطنته بالأمور"[2].

أما تلامذته وخريجو مدرسته فعددهم لا يحصر ولا يحصى، ولكن اشتهر منهم خمسة عدوا من الجهابذة الأول في علم الإقراء والتفسير على حد سواء، قال فيهم ابن تيمية: "أعلم الناس بالتفسير أهل مكة؛ لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء وعكرمة وطاووس وسعيد بن جبير وغيرهم"[3].

والحقيقة التي لا نغفلها ولا نتجاهلها أن لهذه المدرسة تأثيرا كبيرا في إشهار العلوم كالتفسير، وعلوم القرآن، والقراءات القرآنية وتاريخها، وعلوم الحديث، فقد تأثر بها كل المهتمين بهذه العلوم، والأثر واضح جلي إذ يكفي أن نعلم أن أكثر من قارئ من القراء السبعة الذين تلقت الأمة قراءتهم بالثقة والقبول قد تتلمذوا على أبناء هذه الكلية القرآنية، كأبي عمرو بن العلاء، وعبد الله بن كثير قارئ مكة، وغير هذين من القراء المشهورين كالأعرج وابن محيصن وغيرهم، وعلى يد تلاميذ هؤلاء تخرجت الأجيال التي جاءت بعدهم.

3- الكلية القرآنية بالعراق

وتشمل فرعين مهمين هما:

1- فرع الكوفة. تأسس هذ الفرع بالكوفة على يد الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، وكان هناك غيره من الصحابة أخذ عنهم أهل العراق القراءة والتفسير، غير أن عبد الله ابن مسعود كان يعتبر الأستاذ الأول لهذه الكلية، نظراً لشهرته في القراءة، وكثرة المروى عنه في ذلك، ولأن عمر رضى الله عنه لما وَلَّى عمار بن ياسر على الكوفة، سيَّر معه عبد الله بن مسعود مُعلِّماً ووزيراً، فكونه مُعلِّم أهل الكوفة بأمر أمير المؤمنين عمر، جعل الكوفيين يجلسون إليه، ويأخذون عنه أكثر مما يأخذون عن غيره من الصحابة[4].

---

[1]- المنتقى من كتاب الطبقات:(68).
[2]- المجالسة وجواهر العلم: (415/2)
[3]- مقدمة في أصول التفسير:(24).
[4]- ينظر: التفسير والمفسرون: (89/1)

يضاف لذلك مكانته وشرف تلقيه للقرآن غضا طريا من فم النبي صلى الله عليه كما أنزل. وقد نوه النبي ﷺ بابن مسعود كما روى ذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أخبرهما بقوله: ((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ مِنَ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ))[1].

وقد أخرج البخاري وغيره عن مسروق بن الأجدع قال: ذُكر عبد الله بن مسعود عند عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: ذاك رجل لا أزال أحبه بعدما سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((«اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَبَدَأَ بِهِ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ))[2].

وهذا يدل دلالة قاطعة على الشرف العظيم الذي ناله ابن مسعود رضي الله عنه من خلال ثناء النبي ﷺ عليه، كيف لا؟! وهو فقيه الأمة، ومؤسس مدرسة الكوفة في القرآن والحديث والفقه، فقد أعلن أكثر من مرة عن إتقانه للقرآن وتلقيه له من في رسول الله ﷺ وما ذاك إلا لأنه من السابقين الأولين الذين أقبلوا على هذا الدين، فقد كان سادس ستة ما على ظهر الأرض مسلم غيرهم، وكان يعدونه من أهل بيت رسول الله ﷺ لكثرة دخوله وخروجه مع النبي ﷺ، وقيامه بشؤونه وحاجاته، بل كان مكلفاً بالمطهرة والوساد - أي الفراش - والسواك والنعلين؛ ولهذا كان أكثر ملازمة للنبي صلى الله عليه وسلم، وأكثر تلقيا للقرآن. فقد أخرج البخاري وغيره عن عبد الله بن مسعود قال: ((وَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلاَ أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ، تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ))[3].

كما أنه وضع الأساس لعلم الرأي في الاستدلال، ثم توارثها عنه علماء العراق، ومن الطبيعي أن تؤثر هذه الطريقة في مدرسة التفسير، فيكثر التفسير بالرأي والاجتهاد، لأن استنباط مسائل الخلاف الشرعية، نتيجة من نتائج إعمال الرأي في فهم نصوص القرآن والسُّنَّة[4]. ولذلك امتاز أهل العراق بأنهم أهل الرأي.

أما رجال هذه المدرسة فهم كثر لا يحصى عددهم، تتلمذوا على ابن مسعود فلقنهم القرآن وعلمهم إملاءه عن ظهر قلب، وأشهر تلاميذه الذين حملوا راية التعليم والإقراء والتفسير في العراق من بعده هم: أبو عبدالرحمن السلمي، وعلقمة بن قيس، ومسروق، والأسود بن يزيد، ومُرَّة الهمداني، وعامر الشعبي، والحسن البصرى، وقتادة بن دعامة السدوسي.

ب. فرع البصرة.

أستاذ هذه المقرئة ومؤسسها هو الصحابي الجليل عبد الله بن قيس بن سليم صاحب رسول الله - ﷺ- أبو موسى الأشعري التميمي الفقيه المقرئ وهو معدود ممن قرأ على النبي ﷺ، وقد ورد فضله

[1]- مسند الإمام أحمد بن حنبل: (182/1). قال عنه شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيحَ.
[2] - صحيح البخاري: (27/5). -كتاب أصحاب النبي ﷺ- بَابُ مَنَاقِبِ سَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
[3] - صحيح البخاري: (187/6). كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ- بَابُ القُرَّاءِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
[4] -ينظر: التفسير والمفسرون: (89/1).

في الصحيحين عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه: أن رسول الله - ﷺ- قال: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا)[1].

وقد استعمله النبي - ﷺ -ومعاذا على زبيد وعدن- من أرض اليمن- ولم يكن في الصحابة أحد أحسن صوتا منه. فقد روى أبو موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال له: ((يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ))[2].

وقد نال العديد من أوسمة الشرف من قبل النبي ﷺ فعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ غَداً قَوْمٌ، هُمْ أَرَقُّ قُلُوْباً لِلإِسْلاَمِ مِنْكُمْ) فَقَدِمَ الأَشْعَرِيُّوْنَ، فَلَمَّا دَنَوْا، جَعَلُوا يَرْتَجِزُوْنَ:

غَداً نَلْقَى الأَحِبَّهْ * مُحَمَّداً وَحِزْبَهْ

فَلَمَّا أَنْ قَدِمُوا، تَصَافَحُوا، فَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ أَحْدَثَ المُصَافَحَةَ[3].

وفي خلافة عمر بن الخطاب وليَ إمرة البصرة، فقد كان أميرا ومجاهدا ومعلما لأهلها، وخاصة القرآن الذي اشتهر بقراءته، والجهاد في سبيل الله والحرص عليه، والفصل في الخصومات، ونشر العدل وضبط الولايات عن طريق القضاء والإدارة، ولا شك أن هذه المهامّ صعبة وتحتاج إلى مهارات وصفات فريدة من العلم والفهم والفطنة والحذق والورع والزهد، وقد أخذ منها أبو موسى بنصيب وافر، وأثمرت جهوده العلمية رضي الله عنه، وقرت عينه برؤية عدد كبير حوله من حفاظ القرآن الكريم وعلمائه، زاد عددهم في البصرة وحدها على ثلاثمائة، ولما طلب عمر بن الخطاب من عماله أن يرفعوا إليه أسماء حفاظ القرآن لكي يكرمهم ويزيد عطاءهم، فكتب إليه أبو موسى أنه بلغ من قبلي ممن حمل القرآن ثلاثمائة وبضعة رجل[4]. وأشهر تلاميذ هذه الفرع من التابعين الحسن البصري، وقتادة، وابن سيرين.

4- الكلية القرآنية بالشام.

نشأت هذه الكلية كفرع للجامعة القرآنية التي أنشئت في زمن النبي ﷺ، على يد تلميذ النبي ﷺ، الذي تفرغ لخدمة كتاب الله وإقرائه، حكيم هذه الأمة سيد القراء بدمشق أبو الدرداء عويمر بن زيد الأنصاري الخزرجي المتوفى سنة اثنتين وثلاثين للهجرة في عهد عثمان رضي الله عنه، أحد الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ وأبرزهم. حيث ذكر البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال: ((جَمَعَ القُرْآنَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَةٌ، كُلُّهُمْ مِنَ الأَنْصَارِ: أُبَيٌّ، وَمُعَاذُ بْن جَبَلٍ، وَأَبُو زَيْدٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ " قُلْتُ لِأَنَسٍ: مَنْ أَبُو زَيْدٍ؟ قَالَ: أَحَدُ عُمُومَتِي))[5].

أما عن دخوله الشام فقد ندب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الصحابة ليذهب من شاء منهم إلى الشام ليعلم أهلها، فانتدب ثلاثة من الصحابة أحدهم أبو الدرداء، واستقر بدمشق معلما وقاضيا.

---

[1] - صحيح البخاري: (386/10) -كِتَابُ المَغَازِي - بَابُ غَزْوَةِ أَوْطَاسٍ. وينظر: صحيح مسلم: (1943/4) - كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ - بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي مُوسَى وَأَبِي عَامِرٍ الْأَشْعَرِيَّيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

[2] - صحيح البخاري: (510/12) - كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ - بَابُ حُسْنِ الصَّوْتِ بِالقِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ.

[3] - مسند أحمد: (39/20) - مُسْنَدُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- قال عنه الأرنؤوط: " إسناده صحيح على شرط الشيخين".

[4] - سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: علي محمد محمد الصلابي: (166/2).

[5] - صحيح البخاري: (187/6). كتاب مناقب الأنصار - بَابُ مَنَاقِبِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال محمد بن كعب القرظي: جمع القرآن في زمان النبي ﷺ خمسة من الأنصار، معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وأبو أيوب، وأبو الدرداء، فلما كان زمن عمر بن الخطاب كتب إليه يزيد بن أبي سفيان: إن أهل الشام قد كثروا، ورملوا، وملئوا المدائن، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم، فأعِنّي يا أمير المؤمنين برجال يعلمونهم، فدعا عمر أولئك الخمسة فقال لهم: إن إخوانكم من أهل الشام قد استعانوني بمن يعلمهم القرآن، ويفقههم في الدين، فأعينوني رحمكم الله بثلاثة منكم، إن أجبتم فاستهموا، وإن انتدبْ ثلاثة منكم فليخرجوا، فقالوا: ما كنا لنتساهم، هذا شيخ كبير لأبي أيوب، وأما هذا فسقيم لأبيّ بن كعب، فخرج معاذ، وعبادة، وأبو الدرداء. فقال عمر: ابدأوا بحمص، فإنكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة، منهم من يلقن، فإذا رأيتم ذلك فوجهوا إليه طائفة من الناس، فإذا رضيتم منهم فليقم بها واحد، وليخرج واحد إلى دمشق، والآخر إلى فلسطين، وقدموا حمصا فكانوا بها حتى إذا رضوا من الناس، أقام بها عبادة بن الصامت، وخرج أبو الدرداء إلى دمشق، ومعاذ إلى فلسطين، وأما معاذ فمات عام طاعون عمواس، وأما عبادة بن الصامت فصار بعد إلى فلسطين فمات بها، وأما أبو الدرداء فلم يزل بدمشق حتى مات[1].

قال الذهبي عن أبي الدرداء رضي الله عنه: ((وَهُوَ مَعْدُوْدٌ فِيْمَنْ تَلاَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَبْلُغْنَا أَبَداً أَنَّه أَقْرَأَ عَلَى غَيْرِهِ. وَهُوَ مَعْدُوْدٌ فِيْمَنْ جَمَعَ القُرْآنَ فِي حَيَاةِ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتصدَّر لِلإِقْرَاءِ بِدِمَشْقَ فِي خِلاَفَةِ عُثْمَانَ، وَقَبْلَ ذَلِكَ))[2].

ودخل دمشق ولم يكن للعلم بها سوق رائجة فأخلص النصيحة لأهلها ورغبهم بالعلم، وحببهم به حتى أحبوه وأقبلوا عليه، فكان منهم امتداد علم وقرآن متصلة إلى يومنا هذا، وستبقى إن شاء الله، وكان يقول لهم حين جاءهم: "يا أهل دمشق، أرضيتم بأن شبعتم من خبز البر عاماً فعاماً، لا يذكر الله تعالى في ناديكم، ما بال علمائكم يذهبون، وجهالِكم لا يتعلمون، لو شاء علماؤكم لازدادوا ولو التمسه جهالكم لوجدوه، خذوا الذي لكم بالذي عليكم، فوالذي نفسي بيده ما هلكت أمة إلا باتباعها هواها وتزكيتها أنفسها"[3].

قال سويد بن عبد العزيز: "كان أبو الدرداء إذا صلى الغداة في جامع دمشق اجتمع الناس للقراءة عليه فكان يجعلهم عشرة عشرة وعلى كل عشرة عريفا، ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره، فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفه فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء يسأله عن ذلك. وكان ابن عامر عريفا على عشرة كذا قال سويد، فلما مات أبو الدرداء خلفه ابن عامر"[4].

وعن مسلم بن مشكم قال: "قال لي أبو الدرداء: اعدد من يقرأ عندي القرآن؟ فعددتهم ألفا وستمائة ونيفا[5]، وكان لكل عشرة منهم مقرئ. وكان أبو الدرداء يكون عليهم قائما وإذا أحكم الرجل

[1] - ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: (273/2).
[2] - سير أعلام النبلاء: (14/4).
[3] - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: (222/1).
[4] - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: (20).
[5] - النيف: الزائد على غيره. والزائد على العقد من واحد إلى ثلاثة، وما كان من أربعة إلى تسعة فهو بضع. يقال: عشرة ونيف، وألف ونيف. ولا يقال: خمسة عشر ونيف، ولا نيف وعشرة. ولا يستعمل إلا بعد العقد. "ينظر: لسان العرب: (342/9).

منهم تحول إلى أبي الدرداء رضي الله عنه، فهؤلاء الذين بلغنا أنهم حفظوا القرآن في حياة النبي ﷺ، وأخذ عنهم عرضا، وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة"[1].

قال الذهبي: "قيل: الذين في حلقة إقراء أبي الدرداء كانوا أزيد من ألف رجل، ولكل عشرة منهم ملقن، وكان أبو الدرداء يطوف عليهم قائماً، فإذا أحكم الرجل منهم، تحول إلى أبي الدرداء - يعني يعرض عليه"[2].

وأشهر من تخرج على يدي أبي الدرداء جماعة من أكابر التابعين، منهم: سعيد بن المسيب، وعلقمة بن قيس، وسويد بن غفلة، وجبير بن نفير، وزيد بن وهب، وابو إدريس الخولاني، وآخرون.

مما سبق يتضح لنا مدى الانتشار الواسع لهذه الجامعة القرآنية، وفروعها التي انتشرت في كل الأمصار، وتخرج من هذه الفروع آلاف الحفاظ والمقرئين، اكتفينا بالإشارة لأشهرهم، كما أن ذكرنا لهذه الفروع لا يعني أن الأمصار الأخرى لم يكن فيها فروع للإقراء، ولكننا اكتفينا بالفروع التي بلغت شهرتها الآفاق وإلا فهناك العديد من المقارئ القرآنية فمثلا في مصر أسس الصحابي الجليل عبدالله بن عمرو بن العاص مدرسة قرآنية وتخرج على يديه كوكبة من المقرئين أشهرهم يزيد بن أبي حبيب.

وفي اليمن كان هناك أستاذان أكبران معاذ بن جبل إمام العلماء، وأبو موسى الأشعري زينة القراء، اللذان أرسلهما النبي ﷺ مبكرا إلى اليمن، وممن تخرج عليهما: طاووس بن كيسان شيخ أهل اليمن، كان كثير الحج، مات بمكة سنة ست ومائة. ووهب بن منبه الصنعاني وقد روي عنه في التفسير روايات كثيرة جدًا مما في كتب أهل الكتاب، وكان ثقة توفي سنة أربع عشرة ومائة.

[1] - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: (20).
[2] - سير أعلام النبلاء: (353/2).

المبحث الثاني: المنهجية التي اتبعها الصحابة الكرام في تعليم ألفاظ القرآن الكريم.

تلقى الصحابة الكرام ألفاظ القرآن الكريم من فيِّ النبي ﷺ وفق منهجية معينة أساسها التلقي، وظل التلقي هو المنهجية المتبعة لدى الصحب الكرام في تعليم التابعين في كل فروع الجامعة القرآنية التي انتشرت في كل أصقاع الأرض، وحول هذا الموضوع فقد اقتضى أن نتناول هذا المبحث من خلال مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: مفهوم المنهجية القرآنية وأهميتها.

المطلب الثاني: المنهجية التي اتبعها الصحابة الكرام في تعليم ألفاظ القرآن الكريم.

المطلب الثالث: الوسائل التعليمية التي اتبعها الصحابة الكرام في تعليم ألفاظ القرآن.

المطلب الأول: مفهوم المنهجية القرآنية وأهميتها.

كلمة منهج من الكلمات العربية الأصيلة. قال الرّاغب الأصفهانيُّ في مفرداته: "النَّهْجُ: الطريقُ الوَاضِحُ، ونَهَجَ الأمْرُ وأَنْهَجَ: وَضَحَ، ومَنْهَجُ الطَّرِيقِ ومِنْهَاجُهُ، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُم شِرْعَة وَمِنْهاجاً﴾[المائدة: 48]"[1]. فالمنهج في اللغة العربية إذن، هو الطريق الواضح، الّذي لا يتيه سالكُه، بل يصلُ إلى غايته من ورائه مباشرةً، بلا التواءٍ ولا تعرُّج.

وبهذا نقول: بأن المنهج هو الطريقة أو القواعد التي تُوصل الباحثَ الى نتيجة، إن كانت على المستوى العلمي أو الانساني، وتظهر أهمية المنهجية القرآنية في التعليم كما تظهر أهميتها في التأصيل والتقعيد للمنهجية التي اتبعها النبي ﷺ في تعليم أصحابه ألفاظ القرآن الكريم، وكيف نقل الصحابة الكرام تلك المنهجية من خلال تعليم تلاميذهم من صغار الصحابة والتابعين، وكيف انتشرت في كل الأمصار التي كانت فروعا للجامعة القرآنية في زمن الصحب الكرام، بعد تفرقهم مع الفتوحات الإسلامية، وتظهر أهمية المنهجية القرآنية من خلال ما يأتي:[2]:

1- حاجة علماء الإقراء والتجويد إلى منهج محدد يوضح لهم كيفية إقراء النبي صلّى الله عليه وسلّم اللفظ القرآني، ليكون أساسا تقعيديا يعتمدون عليه في تأصيل عمليات الإقراء، وركنا واضحا يتخذونه سبيلا تطبيقيا في تعليم اللفظ القرآني وتعلمه.

2- ليأوي معلم القرآن ومتعلمه من المسلمين عامة إلى ظلال وارفة عيشا مع قضايا علم القراءة والتجويد في صورتها الصافية، وسيرتها الأولى.

3- ليستبين المقياس المطلق لصحة المنهجية التعليمية للفظ القرآني، وبالتالي يتم تصحيح بعض الأخطاء الشائعة في المنهجيات التعليمية السائدة كالغلو في حفظ الألفاظ دون مصاحبة ذلك لمنهجية في تعلم المعاني، والتخلق بالخلق القرآني، فتكون هذه الدراسة محاولة في سبيل إعادة المنهجية النبوية إلى واقع الأمة، وتمثل أساسا لتقويم واقع الإقراء وتسديده في العصر الحاضر.

5- لسد الثغرة القائمة في مؤلفات علوم القرآن الكريم؛ إذ لا يوجد كتاب جامع يتضمن دراسة وصفية لتعليم النبي صلّى الله عليه وسلّم القرآن الكريم لأصحابه رضى الله عنهم.

---

[1] - المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: (825).

[2]- ينظر بالتفصيل: إذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم في تعليم النبي صلى الله عليه أصحابه ألفاظ القرآن الكريم: (6).

ومن خلال ما سبق تتضح أهمية معرفة الأمة الإسلامية للمنهج النبوي في تعليم ألفاظ القرآن الكريم، وتسلسله عبر الصحابة الكرام إلى تلاميذهم من التابعين، حتى غدت هذه المنهجية سنة يتناقلها اللاحق عن السابق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومهما تقدم العلم والوسائل والتقنيات في المجال العلمي، لا يمكننا الاستغناء عن منهج التلقين المباشر لألفاظ كتاب الله عزوجل من خلال الحلقات القرآنية التي أسسها سيد البشرية ﷺ.

المطلب الثاني: المنهجية والقواعد التي اتبعها الصحابة الكرام في تعليم ألفاظ القرآن الكريم.

لقد علَّم النبيُ ﷺ أصحابَه ألفاظ القرآن الكريم وفق منهجية نبوية عظيمة الأثر في نفوس أصحابه، وقد تسلست هذه المنهجية فيما بعد لدى الصحب الكرام في تعليم تلاميذهم ألفاظ كتاب الله عزوجل، فهذا ابن مسعود رضي الله عنه أحد أصحاب النبي ﷺ وتلميذه النجيب يقول: ((تَعلَّمُوا الْقُرْآنَ، وَاتْلُوهُ تُؤْجَروا بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ: الم، ولكن ألف، ولام، وميم))[1].

وكذلك كان الصحابة رضي الله عنهم يعقدون حلقات الإقراء فعن أَبي إِسْحَاقَ، قَالَ: (رَأَيْتُ رَجُلًا سَأَلَ الْأَسْوَدَ بْنَ يَزِيدَ وَهُوَ يُعَلِّمُ الْقُرْآنَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: كَيْفَ تَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: 15]، أَدَالًا أَمْ ذَالًا؟ قَالَ: بَلْ دَالًا سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مُدَّكِرٍ» دَالًا)[2]، ووصف بعض تلاميذ أبي موسى الأشعري تعليم شيخهم رضي الله عنه لهم فقال: (تعلمنا القرآن في هذا المسجد -يعني مسجد البصرة - وكنا نجلس حلقا حلقا، وكأنما أنظر إليه بين ثوبين أبيضين وعنه أخذت هذه السورة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1]قال: وكانت أول سورة أنزلت على محمد صلّى الله عليه وسلّم[3].

ولقد اهتم الصحابة اهتماما بالغا – رضوان الله عليهم- بالقرآن، وكان محور حياتهم يدورون معه حيث دار يهتمون بنزوله، وطرق أخذه وحفظه، وقد حفظ عدد منهم القرآن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم بروايات القرآن وقراءاته المتواترة، وكان النبي ﷺ يشير إلى ضرورة أخذ القرآن من المهرة من الصحابة بقوله: (اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ)[4].

كما اهتموا بجمعه كاهتمامهم بتلاوته، وقد اشتهر بإقراء القرآن منهم سبعة هم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وأُبيّ بن كعب، وأبو الدرداء، وعبد الله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري؛ وعنهم أخذ كثير من الصحابة والتابعين في الأمصار، وكلهم يُسنِدُ إلى رسول الله - ﷺ[5].

وقد أخذت كتابة القرآن ثلاث مراحل: من بداية نزول القرآن وحتى وفاته النبي ﷺ، والمرحلة الثانية

---

[1] - التفسير من سنن سعيد بن منصور: (35/1)

[2] - صحيح مسلم (1/ 565). كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا - بَابُ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْقِرَاءَاتِ.

[3] - المستدرك على الصحيحين للحاكم:(240/2). وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وله شاهد بإسناد صحيح على شرط مسلم»

[4] - مسند أحمد: (379/11). مُسْنَدُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال عنه شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[5] - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: (39)

هي ما كان من جمع للقرآن في عهد الخليفة أبي بكر الصديق، ثم ختمت بعهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، حيث أصبح منهج كتابة القرآن أكثر وضوحاً واتفاقاً وإجماعاً إلى اليوم.

وانطلق الصحابة رضوان الله عليهم في تعليم ألفاظ القرآن الكريم لتلاميذهم وفق المنهجية التي علمهم إياها صلى الله عليه، وترغيبه لهم في ذلك. فقد روى أبو داود عن النبي ﷺ قوله: (الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ، مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ وَهُوَ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ، فَلَهُ أَجْرَانِ)[1].

وقد تميز الصحابة رضي الله عنهم بالعديد من الميزات والصفات في نقلهم لألفاظ القرآن الكريم، والتي تعلموها من النبي ﷺ أهمها[2]:

1- حرصهم الشديد على تطبيق ما تعلموه في واقع حياتهم العملية، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (كُنَّا إِذَا تَعَلَّمْنَا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ، لَمْ نَتَعَلَّمْ مِنَ الْعَشْرِ الَّتِي نَزَلَتْ بَعْدَهَا حَتَّى نَعْلَمَ مَا فِيهِ) قِيلَ لِشَرِيكٍ: مِنَ الْعَمَلِ؟ قَالَ: نَعَمْ)[3].

2- حرصهم على فهم معاني القرآن الكريم وتدبر ما فيه من الأوامر والنواهي، فقد روى زيد بن أبي أنيسة عن القاسم بن عوف قال سمعت عبد الله بن عمر يقول: (لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها، وما ينبغي أن يوقف عنده فيها كما تعلمون أنتم القرآن، ثم قال: لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما أمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه ينثره نثر الدقل)[4])[5].

3- لزومهم قراءة النبي ﷺ كما علمهم، ومن ذلك ما رواه خُبَيْبِ بن سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، قَالَ: (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَأْمُرُنَا أَنْ نَقْرَأَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ كَمَا أَقْرَأَنَاهُ)[6].

4- اعتمادهم في أداء القرآن وتعليمه على التلقي والمشافهة، قال السيوطي: ((أما الصحابة فكانت فصاحتهم وطباعهم السليمة تقتضي قدرتهم على الأداء كما سمعوه من النبي ﷺ لأنه نزل بلغتهم))[7]. وهذا من أبرز السمات التي ميزت مناهج الصحابة في تعلم القرآن، ومما ساعد على ذلك عدم انتشار الكتابة في صدر الإسلام، وقد أسهم ذلك في تدريب الذاكرة على الحفظ دون الاهتمام بتدريب اليد على الكتابة، ويُسمى هذا المنهج عند المعاصرين من المهتمين بتعليم القرآن الكريم وتطوير مناهجه بـــ" الطريقة السمعية الشفوية"[8].

---

[1] - سنن أبي داود: (70/2). باب في ثواب قراءة القرآن، قال عنه شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

[2] - ينظر تفصيل ذلك: بحث بعنوان: (مناهج تعليم القرآن الكريم من بداية نزول الوحي وحتى القرن السابع الهجري "دراسة وصفية").

[3] - السنن الكبرى للبيهقي: (170/3). بَابُ الْبَيَانِ أَنَّهُ إِنَّمَا قِيلَ: يَؤُمُّهُمْ أَقْرَؤُهُمْ إِنَّ مَنْ مَضَى مِنَ الْأَئِمَّةِ كَانُوا يُسْلِمُونَ كِبَارًا فَيَتَفَقَّهُونَ قَبْلَ أَنْ يَقْرَءُوا مَعَ الْقِرَاءَةِ.

[4] - هو رديء التمر. ينظر: (القاموس المحيط: (999).

[5] - مستدرك الحاكم: (91/1). وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولا أعرف له علة ولم يخرجاه») وعلق عليه الذهبي في التلخيص: "على شرطهما ولا علة له".

[6]- المعجم الكبير للطبراني: (254/7)، حديث رقم (6887)

[7]- الإتقان في علوم القرآن: (344/1)

[8]- أصوات القرآن كيف نتعلمها ونعلمها: (4).

5- اعتمد منهجهم على الطريقة الجزئية، في تلاوة القرآن وحفظه. وهو أن يتم حفظ القرآن وتلاوته مع تجزئة السورة لوحدات لا تزيد عن العشر آيات كما يدل على ذلك حديث بن مسعود رضي الله عنه الذي سبق ذكره.

6- الترغيب في الاستماع لتلاوة القرآن، حيث كان الصحابة يحبون الاستماع إلى تلاوة القرآن، فقد روى الدارمي أن الخليفة عمر بن الخطاب كان يقول لأبي موسى الأشعري: (ذكِّرنا ربَّنا فيقرأ عنده)[1].

وهذا يدلنا على مدى اهتمام الصحابة الكرام بالقرآن الكريم تعلما وتعليما، حيث كان محور حياتهم اليومية، يعيشون في رحابه ويتذوقون حلاوة إيمانه، فكانوا خير أمة تشرفت بصحبة خير الخلق محمد ﷺ.

[1] - سنن الدارمي: (789) باب التغني بالقرآن.

المطلب الثالث: الوسائل التعليمية التي اتبعها الصحابة الكرام في تعليم ألفاظ القرآن.

لا شك أن الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين قد تسلست معهم المنهجية النبوية والوسائل التعليمية التي استخدمها النبي ﷺ في تعليمهم ألفاظ القرآن الكريم، وقد عرضت لهذه الوسائل مفصلة في بحثي الموسوم بـــ(المدرسة النبوية في تعليم ألفاظ القرآن الكريم) وتناولها مفصلة تفصيلا دقيقا صاحب كتاب" المنهج النبوي في تعليم ألفاظ القرآن الكريم" ولهذا سأكتفي هنا بالإشارة إلى أهم وسيلتين من وسائل النقل والنشر لكتاب الله تعالى وهما: (الحلقات القرآنية- الصلاة)، كون الصحابة الكرام حثوا عليهما، وعملوا بهما في حياتهم التعليمية والعملية.

أولا: الحلقات القرآنية:

الحَلْقَةُ بالتسكين، كلّ شيء استدار كحلقة الحديد والفضّة والذهب، وكذلك هو في الناس، فالحلقة فيهم هي الجماعة من الناس مستديرون، وتحلّق القوم جلسوا حلقة حلقة[1]، والجمع حَلَقٌ و حَلَقاتٌ وحِلَقٌ[2].

فيكون تعريف الحلقة من الناس: القوم الذين يجتمعون متراصين وذلك لاستفادة ما يلقيه شيخ الحلقة من العلوم، ويبثه من أحكام الشريعة، وتعليم الأمة ما ينفعهم في الدارين[3]. ولهذا النوع من الاجتماع مدلول نفسي، إذ إن الحلقة تعطي مدلولا للتآلف والاجتماع والقوة، بحيث لا يطمع العدو في النيل منهم.

وقد وردت كلمة الحلقة في كثير من الأحاديث، ومن ذلك ما جاء عند البخاري أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا: فَرَأَى فُرْجَةً فِي الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الآخَرُ: فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاَثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ))[4].

كما كان صلّى الله عليه وسلّم يحث الصحابة الكرام على تكوين الحلقات وقراءة القرآن، ولو كان ذلك بدون إشرافه عليهم. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ((وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ))[5]. وكان الصحابة رضي الله عنهم يفعلون ذلك فيجتمعون حلقا يذكرون الله ﷻ أو يتدارسون القرآن.

---

[1] - ينظر: مختار الصحاح: (78)

[2] - ينظر: مختار الصحاح: (78)

[3] - ينظر: إذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم: (96).

[4] - صحيح البخاري: (1/ 24). حديث رقم(66)،كِتَابُ العِلْمِ - بَابُ مَنْ قَعَدَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ المَجْلِسُ، وَمَنْ رَأَى فُرْجَةً فِي الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا.

[5] - صحيح مسلم: (4/ 2074)، حديث رقم (2699)، كتاب الْعِلْمِ -بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ.

ولما للحلقات القرآنية من أهمية في تلقين ألفاظ القرآن الكريم، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يقيمونها ويحثون عليها، فهذا أبو الدرداء رضي الله عنه مؤسس الكلية القرآنية في الشام كان له حلقة عظيمة تفوق الألف رجل. قال الذهبي: "وَقِيْلَ: الَّذِيْنَ فِي حَلْقَةِ إِقْرَاءِ أَبِي الدَّرْدَاءِ كَانُوا أَزْيَدَ مِن أَلْفٍ وستمائة رَجُلٍ وَلِكُلِّ عَشْرَةٍ مِنْهُم مُلَقِّنٌ، وَكَانَ أَبُو الدَّرْدَاء يطُوْفُ عَلَيْهِم قَائِماً، فَإِذَا أَحْكَمَ الرَّجُلُ مِنْهُم، تَحَوَّلَ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ - يَعْنِي: يعرض عليه"[1]. وقد سبقت الإشارة لحلقة أبي ذر رضي الله عنه عند حديثنا عن الكلية القرآنية في الشام.

ولهذا يعد أبو ذر الغفاري أول من سن الحلقات القرآنية، وكانت حلقات أبي الدرداء في النهار لها دوي كدوي النحل، وفي الليل لها رنين في التهجد والقيام، وكان يمر على المتهجدين فيقول لهم: (بأبي النواحون على أنفسهم قبل يوم القيامة، وتندى قلوبهم بذكر الله أو لذكر الله)[2].

ولكي تؤدي الحلقة القرآنية دورها بنجاح لا بد أن تكون وفق منهجية معينة كما رأينا التنظيم الدقيق لها عند أبي ذر رضي الله عنه، وهذه المنهجية تتم من خلال:

1-تقسيم الحلقة الكبيرة إلى مجموعات.

2- أن يكون لكل مجموعة عريف ملقن.

3- أن يحرص الشيخ على أن يكون الملقن من الطلاب المتميزين لديه.

4- كما يحرص على ألا يعطيه الثقة الكاملة بل يشعره بأنه مراقب عمله ومطلع على أدائه.

وبهذه المنهجية المتميزة ظلت الحلقات القرآنية تؤدي دورها الريادي في تعليم الناشئة ألفاظ القرآن الكريم كطريقة متبعة إلى يومنا هذا في تخريج الحفاظ والحافظات لكتاب الله تعالى. وقد أسهبنا الحديث عن الحلقات وأنواعها في بحثنا الموسوم بـــ(المدرسة النبوية في تعليم ألفاظ القرآن الكريم).

ثانيا: الصلاة.

تعد الصلاة وسيلة من الوسائل لتثبيت حفظ القرآن الكريم؛ وذلك لأثرها البالغ فهي العبادة الوحيدة التي تؤدى كل يوم خمس مرات، منها ست ركعات جهرية- على الأقل- والأثر التعليمي لربطها بالقرآن الكريم؛ لتكون وسيلة من وسائل النشر للقرآن الكريم، ولهذا كان صلّى الله عليه وسلّم يقرأ معظم القرآن موزعا على ركعات الفريضة اليومية- وذلك إن لم يكن يقرؤه كله- ويدل على هذا ما جاء عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّهُ قَالَ: (مَا مِنْ الْمُفَصَّلِ سُورَةٌ صَغِيرَةٌ وَلَا كَبِيرَةٌ، إِلَّا وَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَؤُمُّ النَّاسَ بِهَا فِي الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ))[3]، وعن أبي العالية: قال أخبرني من سمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: ((لكل سورة حظها من الركوع والسجود))[4].

أما في زمن الصحب الكرام فقد كانوا يحثون حفظة كتاب الله على تثبيت حفظه في الصلاة، فهذا ابن مسعود رضي الله عنه مؤسس الكلية القرآنية بالعراق كان يقول: ((ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا

[1] - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: (20)

[2] - حلية الأولياء: (221/1).

[3] - سنن أبي داود: (215/1) حديث رقم (814)،- بَابُ مَنْ رَأَى التَّخْفِيفَ فِيهَا. قال عنه الألباني: ضعيف.

[4]- مسند أحمد: (250/34) حديث رقم (20651). قال في مجمع الزوائد: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً حكيماً حليماً سكيناً، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافياً ولا غافلاً ولا سخاباً ولا صياحاً ولا حديداً))[1].

وفي هذا دلالة قوية على أن الصلاة لها دور بارز ومثمر في تثبيت الحفظ لدى القارئ، لما يحصل فيها من البركة وصفاء النفس عند مناجاة الله سبحانه وتعالى، فيكون القارئ أكثر انتباها وتركيزا مع الآيات التي يتلوها في صلاته، ووصية ابن مسعود رضي الله عنه لتلاميذه وحثهم على قيام الليل بما حفظوه من القرآن، فيه إشارة واضحة على أن قيام الليل هو أقوم قيلا، وأزكى تحصيلا، لحفظ كتاب الله سبحانه وتعالى.

الخاتمة.

الحديث عن "الجامعة القرآنية لتعليم ألفاظ القرآن الكريم في زمن الصحب الكرام"، هو امتداد حديثنا السابق في بحثنا" المدرسة النبوية لتعليم ألفاظ القرآن الكريم" الذي تقدمنا به للمؤتمر الثاني" التلقي في العهد النبوي أنماط ومآلات" والذي تناولنا فيه الإقراء في زمن الوحي ونزول القرآن على النبي ﷺ.

وفي البحث كان حديثنا عن الإقراء في زمن الصحابة الكرام، والانتشار الواسع للجامعة القرآنية في كل الأمصار المفتوحة، والتي انتقل إليها الصحابة الكرام، والحديث عن هذا يحتاج لكتابة سفر كامل، والذي تناولته هنا وأشرت إليه هي شذرات من حياة أولئك الصفوة مع القرآن الكريم، والمنهجية التي نقلوها عن النبي ﷺ وعلموا بها تلاميذهم، وكيف تسلسلت معهم هذه المنهجية، وكذلك الوسائل والطرق التي أدت إلى الانتشار الواسع للقرآن الكريم.

ومن خلال هذا البحث نخرج بالعديد من التوصيات.

1- إعادة تطبيق منهج الصحب الكرام في تعليم ألفاظ القرآن الكريم، ونحث المؤسسات والجمعيات القائمة على ذلك أن تعتمد هذه المنهجية اعتمادا كليا.

2- حث الجهات المعنية على دعم ونشر القرآن الكريم، وتكريم الحفظة من الرجال والنساء والصبيان، وإشهارهم عبر وسائل الإعلام احتفاء بهم وتكريما لحفظهم لكتاب الله عزوجل.

3- الاهتمام بعقد مؤتمرات قرآنية محلية ودولية، يلتقي فيه أصحاب الاختصاص لتقديم خبراتهم ومقترحاتهم لتطوير المنهجية القرآنية وفق مقتضيات العصر.

4- الإشادة الكاملة بمركز الإمام أبي عمرو الداني للدراسات والبحوث القرائية المتخصصة- المملكة المغربية- مراكش، على قيامه بالدعوة لعقد هذه المؤتمرات التسلسلية لخدمة كتاب الله عزوجل، وبيان

وأخيرا فإن ما كتبت ونقلت وجمعت هو بتوفيق الله عزوجل، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وأسأله تعالى الرحمة والغفران لي وللقائمين على مركز الإمام أبي عمرو الداني للدراسات والبحوث القرائية المتخصصة- المملكة المغربية- مراكش. والذين حفزوني لكتابة هذا البحث من خلال دعوتهم وإعلانهم للمشاركة في المؤتمر العالمي الثالث للقراءات القرآنية ((التلقي القرآني في عهد الصحابة الكرام: أنماط ومآلات)).

[1] - حلية الأولياء: (129/1).

قائمة المصادر والمراجع.

1) الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ - 1974م.

2) إذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم في تعليم النبي صلى الله عليه أصحابه ألفاظ القرآن الكريم: عبد السلام مقبل المجيدي، دار الإيمان–القاهرة.

3) أصوات القرآن كيف نتعلمها ونعلمها: يوسف الخليفة أبو بكر، دار المركز الاسلامي الأفريقي للطباعة-الخرطوم،1994م.

4) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط8، 1425هـ - 2005م.

5) التفسير من سنن سعيد بن منصور: أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني، تحقيق: د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط1، 1417ه – 1997م.

6) التفسير والمفسرون: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي، مكتبة وهبة- القاهرة.

7) تهذيب التهذيب: أبو الفضل أحمد بن علي حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية-الهند، ط1، 1326ه. وينظر: غاية النهاية في طبقات القراء: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، مكتبة ابن تيمية.

8) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،ط1، 1420ه- 2000م.

9) الجامعات الإسلامية وبناء علوم الأمة: د. طه جابر العلواني، مجلة جامعة القرويين- تونس، العدد (11)، 1419ه- 1998م.

10) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م.

11) دراسات في التعليم العالي المعاصر: أهدافه، إدارته، نظمه: محمد وجيه الصاوي وآخر، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع- الكويت، 1999م.

12) سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية- صيدا – بيروت.

13) سنن الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، تحقيق: نبيل هاشم الغمري، دار البشائر- بيروت، ط1، 1434هـ - 2013م.

14) السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1، 1421ه - 2001م.

15) السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط3، 1424هـ -2003م.

16) سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، دار الحديث- القاهرة، 1427هـ - 2006م.
17) سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: علي محمد محمد الصلابي، ط1، 1426ه – 2005م.
18) صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
19) صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة - بيروت.
20) الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1410 هـ - 1990 م.
21) فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
22) القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط8، 1426هـ - 2005م.
23) لسان العرب: محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، دار صادر – بيروت، ط3، 1414ه.
24) المجالسة وجواهر العلم: أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي، تحقيق: أبوعبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية (البحرين- أم الحصم)، دار ابن حزم (بيروت - لبنان)، 1419هـ.
25) مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط5، 1420هـ / 1999م.
26) المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1411هـ - 1990م.
27) مسند ابن أبي شيبة: أبو بكر بن أبي شيبة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي، دار الوطن – الرياض،ط1، 1997م.
28) مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، ط1، 1416هـ - 1995م.
29) المعجم الكبير: سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، مكتبة ابن تيمية – القاهرة.

30) معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر- بيروت، 1979م.

31) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: محمد بن أحمد الذهبي أبو عبد الله، تحقيق : بشار عواد معروف ، شعيب الأرناؤوط ، صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1، 1404ه.

32) المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق – بيروت، ط1، 1412ه.

33) مقدمة في أصول التفسير: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني: دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، 1980م.

34) مناهج تعليم القرآن الكريم من بداية نزول الوحي وحتى القرن السابع الهجري "دراسة وصفية": د. عثمان محمد حامد العالم، مجلة كلية القرآن الكريم، العدد الثالث،1430هـ - 2009م.

35) المنتقى من كتاب الطبقات: أبو عروبة الحسين بن محمد بن أبي معشر مودود السُّلَمي الجَزَري الحرَّاني: تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1994م.

تأثير استخدام أسلوب التدريب بالمصادمة خلال الوحدة التدريبية على تحسين الوثب العمودي ودقة التصويب بالقدم والرأس للاعبي كرة القدم.

د. أبوعلي غالب علي

المقدمة ومشكلة البحث :

إن التطور السريع والمتلاحق الذي تشهده جميع نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والرياضية في الآونة الأخيرة نتيجة للتكنولوجيا الحديثة والتطبيقات العلمية المعمعة والأفكار والنظريات والتي أفرزتها العلوم المختلفة، والتدريب الرياضي أحد مجالات التربية البدنية والرياضة وهو المجال الأكثر استخداماً للمستحدثات العلمية والنظريات التي أفرزتها العلوم المرتبطة بالمجال الرياضي .

ولقد تطورت رياضة كرة القدم الآن وأخذت شكلا جديداً في كثير من الجوانب التي يتطلبها شكل الأداء التنافسي فنرى أن طرق التدريب قد تباينت ونتج عن ذلك اختلاف في تطوير القدرات لدى اللاعب ومن رؤية مساحة ملعب كرة القدم نجد أنه من أكبر المساحات في الأنشطة الرياضية، الأمر الذي يتطلب أن يكون اللاعب قادر على اللعب في كل مناطق مساحة الملعب مشاركاً في الواجبات الدفاعية والهجومية إضافة إلى أن سرعة وكثافة التحركات وهذا الأداء يتطلب من اللاعبين على مستوى عال من القدرات على اختلاف أنواعها[10 :144] .

ويعد التدريب الرياضي هو أحد أهم أشكال الممارسة الرياضية المنظمة وهو وسيلة التربية الرياضية والبدنية في تحقيق أهدافها خاصة ما يتعلق منها بتطوير المستوى بكل أشكاله البدنية والمهارية والفنية من أجل تحقيق الإنجاز الرياضي على المستويين الفردي والجماعي [21 :280]

وفي السنوات الأخيرة تطورت نظريات وطرق التدريب الرياضي تطورا سريعا تلك النظريات والطرق التي تهتم برياضة المستويات باعتبار النتائج الجيدة التي تتحقق على المستوى الدولي هي نتاج حقيقي لصراع النظرية والأسلوب والطريقة في إدارة وإخراج عمليات التدريب الرياضي، مع صياغة عملية ومدروسة لهذه العمليات التدريبية، أساس هذه الصياغة التنظيم والاستمرار [وأهدافها تحقيق النتائج .

ويرى الباحث بأن التطور السريع في طرق اللعب في كرة القدم يستلزم التخطيط العلمي والجيد لبرامج التدريب والتي يجب أن تتصف بالتكامل والشمولية والتدرج ومناسبتها للمراحل السنية المختلفة بهدف تطوير قدرات اللاعبين سواء البدنية أو المهارية .

وتتعدد أنواع طرق التدريب الرياضي وتهدف جميعاً إلى تطوير مستوى الأداء المهاري وصولاً لتحقيق مراكز متقدمة في الأنشطة المختلفة ويسعى المدربون إلى اختيار أفضل أنواع طرق التدريب وتطبيق أنسبها واستخدام أحدث الوسائل التي تتناسب مع نوع النشاط التخصصي، وذلك بهدف

الوصول إلى تحقيق استثمار أهم القدرات البدنية الخاصة بنوع النشاط المحدد لها من تأثير مباشر في ارتفاع مستوى الأداء المهاري الى جانب العديد من العوامل الأخرى

وطرق التدريب هي الوسائل الرئيسية اللازمة لتنفيذ البرنامج التدريبي لتطوير الحالة التدريبية للاعب في جوانبها المتعددة، وتعرف بأنها النظام المقنن المخطط لإيجابية التفاعل بين المدرب واللاعب للسير على الطريق المؤدي إلى الهدف من عملية التدريب الرياضي .

ويذكر كل من حنفي مختار(1988م) (محمد حسن علاوي1992 م) ، ومفتي إبراهيم(1998 م (أن هناك طرق متعددة لتدريب الصفات البدنية يمكن تقسيمها طبقا لأسلوب وكيفية استخدام الحمل والراحة إلى طريقة الحمل المستمر والفتري والتكراري)

ويرى الباحث أن رياضة كرة القدم من الأنشطة الرياضية ذات الطابع السريع والتي تتطلب مستوى عالي من الأداء المهاري من خلال استخدام القدرات الحركية للاعبين لأداء المهارات الأساسية وكذلك ارتباط نتيجة الوثب العمودي بتتابع الكثير من مباريات كرة القدم وهي أحد القدرات التي يحتاج إليها كلا من لاعبي خط الدفاع والهجوم وذلك لتنفيذ مهارة ضرب الكرة بالرأس وهي أحد المهارات التي تستلزم من اللاعبين سرعة وقوة الدفع بالرجلين للارتقاء لتنفيذ ضرب الكرة بالرأس .

وفي السنوات الأخيرة توصل العلماء إلى أسلوب جديد في تنمية القدرة على الوثب، أطلق عليه اسم التدريب البليومتري، ويعتمد هذا الأسلوب على لحظات التسارع الفرملة التي تحدث نتيجة لوزن الجسم في حركاته الديناميكية كما هو الحال في الوثب الارتدادي بأنواعه وهذا الأسلوب في التدريب يساعد على تنمية القدرة العضلية وبالتالي يحسن الأداء الديناميكي خلال أداء الوثب .

ويذكر ياسر عبدالعظيم سالم [1992] أن من الأساليب والوسائل المستحدثة والتي لها أهداف محددة أيضا في التدريب الرياضي أسلوب المصادمة أو التصادم مع الأرض وهو يعني السقوط من ارتفاعات مختلفة ثم الوثب السريع للأمام أو لأعلى وأول من استخدمها هو العالم الروسي فيرخاشانسكي Fearkhashamisky وذلك بهدف دراسة فعالية هذا الأسلوب في تنمية القوة الانفجارية للناشئين في الأنشطة الرياضية المختلفة ومن خلال إيجاد العلاقة بين الارتفاع الذي يسقط منه اللاعب وبين مسافة الوثب للأمام أو لأعلى مع حساب زمن الأداء في الحالتين .

والمصادمة هي أحد أنواع تدريبات المقاومة وهو ما يعرف أيضا بتمرينات الوثب أو تمرينات الصدمة Shock Exercise وقد انتشر هذا النوع في خلال الثمانينات وزاد استخدامه حاليا وإن كانت نظرياته قد بدأت في الستينات، والمصادمة تزيد من كفاءة العضلات للوصول إلى أقصى قوة في أقل زمن ممكن، وتتضمن عادة بعض أنواع الوثبات بالإضافة إلى أنواع أخرى من التمرينات، وتقوم فكرة المصادمة أساسا على استغلال الحركة الارتدادية حيث تنتج المطاطية الناتجة من حركة انبساط العضلة بعد انقباضها جزئياً طاقة حركية عالية جداً، وتعني قوة المطاطية Elastic

Strengthمقدرة العضلات والأنسجة الضامة Conative tissues على إطلاق قوة سريعة ينتج عليها قدرة قصوى في خط مستقيم أو عمودي أو داخلي أو خليط من هذا كله .

ولاعب كرة القدم يحتاج إلى قوة كافية لجميع العضلات القابضة لمفصلي الفخذين والركبتين ومفاصل رسغ القدم لدفع الجسم في الاتجاه المطلوب، حيث تعتبر القوة الانفجارية من أهم الركائز التي يبنى عليها اكتساب وإتقان هذه المهارة فهي صفة تجمع بين القوة والسرعة حيث تتطلب الوثبات سرعة معينة بجانب قوة دفع بقدر معين تخضع لمتطلبات الأداء .

ويرى الباحث أنه يمكن تنمية الوثب العمودي وضرب الكرة بالرأس من خلال برامج التدريب المختلفة مثل التدريب بالمصادمة ولكون أن مرحلة الناشئين مجالا خصبا لإكساب الناشئين الكثير من القدرات في آن واحد الأمر الذي يتطلب التحسب العلمي لتحديد الطرق والوسائل الحديثة في التدريب بالمصادمة للوصول إلى أفضل النتائج .

وهذا الإجراء طوره ياسر عبد العظيم وآخرون1992 م بابتكار، أسلوب المصادمة، لتنمية وتطوير القوة الانفجارية ذلك من خلال تجريب السقوط من ارتفاعات مختلفة ثم الوثب السريع للأمام أو الوثب السريع لأعلى وذلك بهدف تحسين القوة الانقباضية للوحدات الحركية وتنشيطها إلى أقصى المعدلات التي تسمح بها ميكانيكية العمل العضلي .

ومن خلال الأطر المرجعية التي استند إليها الباحث وخبراته الشخصية لاحظ الباحث قلة عدد الأهداف بصورة واضحة في مباريات الناشئين في الجمهورية اليمنية وبما أن الهدف من مباريات كرة القدم هو تحقيق الفوز في المباراة وغالبية الأهداف لا تتأتى إلا من خلال ضرب الكرة بالرأس في ظل تطوير طرق اللعب الأمر الذي دفع الباحث إلى إيجاد محاولة جادة لتنمية وزيادة الوثب العمودي ودقة ضرب الكرة بالرأس لناشئي كرة القدم بالجمهورية اليمنية .

ومن هذا المنطلق اختار الباحث أسلوب المصادمة في محاولة للتعرف على مدى فعاليته على زيادة الوثب العمودي ومن ثم تحسين قوة ودقة التصويب بالقدم ودقة ضرب الكرة بالرأس حتى يقنن الجهد المبذول دون ضياع الوقت .

أهداف البحث :

- التعرف تأثير البرنامج التدريبي بأسلوب المصادمة على زيادة الوثب العمودي ودقة التصويب بالقدم ودقة ضرب الكرة بالرأس للاعبي كرة القدم بالجمهورية اليمنية .
- التعرف على الفروق بين المجموعتين التجريبية والضابطة في القياس للوثب العمودي ودقة التصويب ودقة ضرب الكرة بالرأس للاعبي كرة القدم بالجمهورية اليمنية .

فروض الدراسة :

- البرنامج التدريبي المقترح بأسلوب المصادمة يؤثر إيجابياً على زيادة الوثب العمودي ودقة التصويب بالقدم ودقة ضرب الكرة بالرأس .
- توجد فروق دالة إحصائياً بين المجموعتين التجريبية والضابطة في القياس البعدي للوثب العمودي ودقة التصويب بالقدم ودقة ضرب الكرة بالرأس ولصالح المجموعة التجريبية .

الدراسات السابقة :

- أجرى ياسر عبدالعظيم وآخرون1992 م (15) بحث بعنوان" دراسة فعالية طريقة المصادمة في تنمية القوة المميزة بالسرعة للاعبي كرة القدم وكرة اليد والسباحة، بهدف التعرف على تأثير استخدام تمرينات السقوط من ارتفاعات مختلفة25] سم،45 سم،65 سم،85 سم [ثم الوثب السريع لأعلى أو للأمام على مسافة الوثب وزمن الأداء في اختباري الوثب العمودي والوثب العريض [القوة المميزة بالسرعة] للاعبي كرة القدم وكرة اليد والسباحة واستخدم الباحثون المنهج التجريبي، وكانت العينة قوامها [48] لاعبا وزعت كالتالي [16] لاعب كرة قدم ،[16] لاعب كرة يد، [16] لاعب سباحة، وقسمت كل مجموعة إلى مجموعتين واحدة تجريبية وأخرى ضابطة بواقع [8] لاعبين لكل مجموعة، وكانت أهم النتائج أن طريقة المصادمة لها تأثير مباشر وفعال في تنمية القوة المميزة بالسرعة للاعبي كرة القدم وكرة اليد والسباحة وأيضا السقوط من ارتفاعات مختلفة25 سم،45 سم،65 سم،85 سم له تأثير إيجابي على مسافة الوثب للأمام ولأعلى ويختلف هذا التأثير باختلاف نوع النشاط ومستوى الممارسة .
- أجرى شميدت بليكر1993 Schemidet Bleicher م (22) بحث بعنوان" دراسة تأثير ارتفاعات مختلفة من تدريبات البليومتري على قوة عضلات الرجلين "بهدف التعرف على الارتفاعات المناسبة عند استخدام تدريبات التليومتري، واشتملت عينة البحث على 60 لاعبا قسموا إلى أربعة مجموعات تجريبية واستمر البرنامج خمسة أسابيع بواقع مرتين أسبوعياً، وقد أسفرت النتائج لهذه الدراسة عن أن أنسب ارتفاع لتدريب عضلات الفخذ هو 1 متر وعند تدريب عضلات أسفل القدم هو ارتفاع 50 سم .
- أجرى رفاعي مصطفى حسن1994 م (6) بحث بعنوان ا" دراسة مقارنة بين تأثير~ اسلوب استخدام الأثقال وأسلوب المصادمة لتنمية القوة المميزة بالسرعة للرجلين للاعبي كرة القدم "وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على تأثير استخدام التدريب بأسلوب المصادمة على تنمية القوة المميزة بالسرعة للرجلين للاعبي كرة القدم والفرق بين الأسلوبين في تنميتها وقد استخدم الباحث المنهج التجريبي لملاءمته العمدية، ثم تقسيمهم إلى مجموعتين تدريبية، واستمرت فترة التطبيق للبرنامج ستة اسابيع بواقع (3) وحدات تدريبية أسبوعياً، وقد أسفرت النتائج عن كلا من أسلوب التدريب بالأثقال وأسلوب التدريب بالمصادمة قد أثر تأثير إيجابيا في تنمية القوة

المميزة بالسرعة للاعبي كرة القدم بينما حقق أسلوب التدريب بالمصادمة نسبة أفضل من أسلوب التدريب بالأثقال في تنمية القوة المميزة بالسرعة للرجلين للاعبي كرة القدم .

- أجرى لس، فهمي (Fahmi Less, (2000 بحث بعنوان" أفضل ارتفاعات السقوط للتدريب البليومتري بهدف التعرف على تأثير مسافة الوثب العميق على أداء التدريب البليومتري، واشتملت عينة البحث على [30] لاعبا وقد تم توزيعهم على الارتفاعات المحددة حيث أدت العينة الوثبات العميقة من ارتفاعات0.12] ،0.24، 0.36، 0.58، 0.68 من المتر وتم ذلك على لوحة كستلر Kistler لقياس القوة وتم قياس الآتي] :مسافة إزاحة مركز ثقل الجسم الكلية –مسافة ارتفاع مركز الثقل – أقصى قوة في الاتجاه العمودي -أقصى سرعة في الاتجاه العمودي -أقصى قدرة من ناتج كلا من القوة والسرعة[، وقد أسفرت النتائج عن أن ارتفاعات [0.12]من المتر هو أفضل الارتفاعات في ضوء القياسات المستخدمة .

- أجرى هامفريز وآخرون1995 Hymphries م [19] دراسة بعنوان" تأثير جهاز الفرملة في خفض القوى المصاحبة للاصطدام بالأرض في التدريب البليومتري، بهدف خفض قوة الاصطدام بالأرض أثناء الهبوط في التدريب البليومتري لإنقاص مخاطر الإصابة واشتملت عينة البحث على [20] لاعبا وأدوا سلسلة من أحمال الوثب بأقصى ارتفاع بدون استخدام نظام الفرملة لخفض قوة الاصطدام أثناء الهبوط وكذا تم أداء الوثبات المصحوبة بالفرملة أثناء تدريب القوة البليومترية باستخدام 75% من وزن الجسم، وقد تم تجميع البيانات عند قوى رد الفعل العمودي باستخدام لوحة كستلر لكل وثبة، وقد استخدمت القياسات التالية] أقصى قوة في الاتجاه العمودي – زمن القوة القصوى -أقصى قوة انقباض [وقد أسفرت النتائج عن أن استخدام جهاز الفرملة أنقص قوة الاصطدام بمقدار [155%] وازداد مقدار الاصطدام السلبي بمقدار [200%] وذلك عند مستوى معنوية 0.1 وذلك بدون نقص في قوة الانقباض كما أن استخدام نظام الفرملة يقلل احتمالية حدوث الإصابات عند استخدام الأحمال ذات الشدة العالية للتدريب البليومتري .

- أجرت إلهام عبدالرحمن محمد1997 م [2] دراسة بعنوان" فاعلية التدريب البليومتري على مسافة الوثب العمودي وأثرها على الضربة الساحقة وبعض القدرات البدنية الخاصة بالكرة الطائرة، بهدف التعرف على مدى فاعلية التدريب البليومتري على تحسين مسافة الوثب العمودي لطالبات الفرقة الثالثة بكلية التربية الرياضية للبنات بالإسكندرية، وكذلك التعرف على مدى تأثير ارتفاع مسافة الوثب العمودي على بعض القدرات البدنية الخاصة ومهارة الضربة الساحقة في كرة الطائرة للعينة قيد البحث، واشتملت العينة على 48 طالبة قسمت إلى مجموعتين الأولى ضابطة وعددها (22) طالبة والثانية تجريبية وعددها (26) طالبة واستمر البرنامج لمدة شهرين، وقد اسفرت النتائج عن وجود فروق معنوية ذات دلالة إحصائية بين القياس القبلي والبعدي ولصالح القياس البعدي مما يؤكد فاعلية التدريبات البليومترية على تحسين مسافة الوثب العمودي وأيضاً على مستوى القدرات البدنية الخاصة ومهارة الضربة

الساحقة نظرا لتنمية القدرة البدنية الخاصة ومهارة الضربة الساحقة نظراً لتنمية القدرة الانفجارية لعضلات الرجلين .

إجـــراءات البـــحث:

منهج البحث :

استخدم الباحث المنهج التجريبي باستخدام التصميم التجريبي لمجموعتين إحداهما تجريبية والأخرى ضابطة وذلك نظراً لملاءمته لطبيعة البحث .

مجتمع البحث :

قام الباحث بتطبيق هذا البحث على شباب تحت 19 سنة والمسجلين بسجلات الاتحاد اليمني لكرة القدم والمسجلين بأندية بمحافظة الحديدة ثلاثة أندية أهلي الحديدة، الهلال، شباب الجيل،

عينة البحث :

قام الباحث باختيار عينة البحث بالطريقة العمدية من شباب كرة القدم تحت 19 سنة بنادي الهلال الساحلي والمسجلين بالاتحاد اليمني لكرة القدم للموسم الرياضي2014 /2015 م والبالغ عددهم40 لاعب تم استبعاد عدد (10) لاعبين للتجربة الاستطلاعية وبذلك يصبح العدد الفعلي لعينة البحث 30)لاعب (تم تقسيمهم إلى مجموعتين تجريبية وضابطة قوام كل منهم 15 لاعب .

توصيف وتجانس عينة البحث:

جدول رقم[1]
المتوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة معامل الالتواء
لعينة البحث في متغيرات النمو

المتغيرات	وحدة القياس	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسيط	معامل الالتواء
السن	سنة	18.65	2.24	18.65	0.600
الطول	سم	162.32	2.38	162.32	0.40
الوزن	كجم	59.32	1.28	59.32	0.75
العمر التدريبي	سنة	7.32	1.13	7.00	0.85

يتضح من الجدول رقم [1] أن قيم معاملات الالتواء قد تراوحت ما بين0.40] ، [0.85 أي أنها انحصرت ما بين 1 ± الأمر الذي يشير على اعتدالية توزيع العينة .

جدول رقم[2]
المتوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة معامل الالتواء
لعينة البحث في الاختبارات قيد البحث

المتغيرات	وحدة القياس	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسيط	معامل الالتواء
اختبار الوثب العريض من الثبات	سم	1.70	0.12	1.69	0.25
اختبار الوثب العمودي لسارجنت	سم	35.00	2.76	35.50	-0.54
اختبار وثب الصندوق	سم	53.39	2.54	54.00	-0.72
اختبار الحجل من الثبات للقدم اليمني	سم	151.65	2.56	152.00	-0.41
اختبار الحجل من الثبات للقدم اليسرى	سم	152.41	3.42	152.60	-0.16
اختبار الخطو من الثبات للقدم اليمنى	سم	152.96	3.53	153.50	0.48
اختبار الخطو من الثبات للقدم اليسرى	سم	151.69	2.16	151.50	0.26
اختبار ضرب الكرة بالرأس في دائرة متداخلة	درجة	8.50	1.56	8.00	0.96
اختبار ضرب الكرة بالرأس على المرمى	درجة	9.50	1.86	9.00	0.8
اختبار التصويب بالقدم على جزء محدد من المرمى	درجة	3.80	2.25	3.50	0.54
اختبار دقة التصويب	درجة	10.50	2.15	10	0.69

يتضح من الجدول رقم [2] أن قيم معاملات الالتواء قد تراوحت ما بين 0.72-] ، [0.96 أي أنها انحصرت ما بين 1 ± الأمر الذي يوضح إلى اعتدالية توزيع عينة البحث مما يدل على تجانس العينة .

تكافؤ مجموعتين البحث :

قام الباحث بعد الانتهاء من القياس القبلي بإجراء عملية التكافؤ بين مجموعتين البحث التجريبية والضابطة في الاختبارات قيد البحث وهو ما يوضحه جدول رقم .[3]

جدول رقم[3]

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة) ت (بين المجموعتين التجريبية والضابطة في القياس القبلي في الاختبارات قيد البحث

المتغيرات	وحدة القياس	المجموعة التجريبية		المجموعة الضابطة		قيمة ت
		س	ع	س	ع	
اختبار الوثب العريض من الثبات	سم	1.73	0.15	1.72	0.16	0.24
اختبار الوثب العمودي لسارجنت	سم	34.50	2.22	34.62	2.23	0.20
اختبار وثب الصندوق	سم	54.64	2.12	54.19	2.61	0.70
اختبار الحجل من الثبات للقدم اليمني	سم	250.41	2.18	152.60	2.64	0.29
اختبار الحجل من الثبات للقدم اليسرى	سم	153.21	2.69	152.68	2.18	0.8
اختبار الخطو من الثبات للقدم اليمنى	سم	154.21	2.24	154.61	2.30	0.65
اختبار الخطو من الثبات للقدم اليسرى	سم	152.87	2.18	152.27	2.14	1.03
اختبار ضرب الكرة بالرأس في دائرة متداخلة	درجة	9.40	1.38	9.60	1.25	0.56
اختبار ضرب الكرة بالرأس على المرمى	درجة	8.60	1.42	8.75	1.29	0.41
اختبار التصويب بالقدم على جزء محدد من المرمى	درجة	4.65	2.8	3.8	2.12	1.28
اختبار دقة التصويب	درجة	10.4	2.53	9.7	2.24	1.09

يتضح من الجدول رقم [3] عدم وجود فروق دالة إحصائيا بين المجموعتين التجريبية والضابطة في القياس القبلي في الاختبارات قيد البحث مما يدل على تكافؤ مجموعتين البحث .

الأجهزة والأدوات المستخدمة في البحث :

• جهاز الرستاميتر لقياس الطول الكلي • إطارات حديدية متعددة الأوزان • كرات طبية • سبورة خشبية • جير وطباشير • الاختبارات البدنية والمهارية مرفق[3]	• ميزان طبي • شريط قياس • بار حديدي • حبال • أطواق متداخلة

المعاملات العلمية للاختبارات قيد البحث:

معامل الثبات :

قام الباحث بحساب معامل الثبات عن طريق استخدام اسلوب التطبيق وإعادة التطبيق على عينة البحث الاستطلاعية وقوامها شباب وبفاصل زمني قدره يومان وذلك يوم-18 / 5 / 2014 ..... 15وتم حساب معامل الارتباط وهو ما يوضحه الجدول رقم .[4]

جدول رقم[4]

معامل الثبات للاختبارات المستخدمة قيد البحث

المتغيرات	وحدة القياس	التطبيق الأول		التطبيق الثاني		معامل الارتباط
		س	ع	س	ع	
اختبار الوثب العريض من الثبات	سم	1.73	0.16	1.71	0.18	0.854
اختبار الوثب العمودي لسارجنت	سم	34.00	2.32	34.60	1.96	0.799
اختبار وثب الصندوق	سم	54.60	2.8	54.40	2.23	0836.
اختبار الحجل من الثبات للقدم اليمني	سم	151.42	2.23	151.68	2.11	0856.
اختبار الحجل من الثبات للقدم اليسرى	سم	250.67	3.11	152.78	2.98	0846.
اختبار الخطو من الثبات للقدم اليمنى	سم	151.68	2.38	151.60	2.25	0842.
اختبار الخطو من الثبات للقدم اليسرى	سم	151.61	2.18	151.80	2.47	0811.
اختبار ضرب الكرة بالرأس في دائرة متداخلة	درجة	9	1.27	9.50	1.31	0893.
اختبار ضرب الكرة بالرأس على المرمى	درجة	8.50	1.65	9	1.24	0796.
اختبار التصويب بالقدم على جزء محدد من المرمى	درجة	3.7	1.65	3.5	1.22	0865.
اختبار دقة التصويب	درجة	10.3	2.54	11.2	2.65	0812.

قيمة" ر "الجدولية عند مستوى0.707 = 0.05

يتضح من الجدول رقم [4] وجود فروق دالة إحصائيا بين التطبيق الأول والتطبيق الثاني عند مستوى معنوية [0.5] في جميع الاختبارات قيد البحث مما يشير إلى ثبات الاختبارات المستخدمة .

معامل الصدق :

استخدم الباحث لحساب معامل الصدق صدق التمايز بين مجموعتين إحداهما مميزة وعددهم 10 لاعبين من شباب تحت 19 سنة بنادي الهلال، ومجموعة غير مميزة تحت 14 سنة من نادي وحدة صنعاء وذلك يوم م 23 / 5 / 2014 وهو ما يوضحه جدول رقم .[5]

جدول رقم[5]

معامل الصدق بين المجموعتين المميزة وغير المميزة في الاختبارات قيد البحث

الاختبارات	وحدة القياس	المجموعة المميزة		المجموعة غير المميزة		قيمة ت
		س	ع	س	ع	
اختبار الوثب العريض من الثبات	سم	1.71	0.18	1.20	0.15	9.23
اختبار الوثب العمودي لسارجنت	سم	34.60	1.96	31.63	1.20	5.48
اختبار وثب الصندوق	سم	54.40	2.23	50.20	1.68	6.38
اختبار الحجل من الثبات للقدم اليمني	سم	151.68	2.11	146.13	1.69	8.71
اختبار الحجل من الثبات للقدم اليسرى	سم	152.78	2.98	147.70	2.14	5.87
اختبار الخطو من الثبات للقدم اليمنى	سم	151.60	2.25	147.40	1.48	6.62
اختبار الخطو من الثبات للقدم اليسرى	سم	151.80	2.47	147.50	1.45	6.37
اختبار ضرب الكرة بالرأس في دائرة متداخلة	درجة	9.50	1.31	6.50	1.40	6.64
اختبار ضرب الكرة بالرأس على المرمى	درجة	9	1.24	6	.195	5.51
اختبار التصويب بالقدم على جزء محدد من المرمى	درجة	3.80	1.72	1.58	1.5	4.13
اختبار دقة التصويب	درجة	10.30	2.51	7.8	1.25	3.78

قيمة" ت "الجدولية عند مستوى 3.66 = 0.05

يتضح من الجدول رقم [5] وجود فروق دالة إحصائيا عند مستوى معنوية [0.05] بين المجموعتين المميزة وغير المميزة ولصالح المجموعة المميزة في جميع الاختبارات قيد البحث مما يدل على صدق تلك الاختبارات .

البرنامج التدريبي المقترح : مرفق رقم[1]

أسس وضع البرنامج :

بعد الاستعانة بالابحاث والدراسات العربية والاطلاع على العديد من الدراسات الأجنبية التي استطاع الباحث الحصول عليها في تدريبات المصادمة قام الباحث بوضع البرنامج المقترح وفقا لعدة أسس :

- أن يحقق البرنامج الهدف الموضوع من أجله وهو تحسين المستوى البدني والمهاري للمتغيرات قيد البحث .
- أن يتشابه المسار الزمني للقوة العضلية في المجموعة العضلية العاملة خلال التدريب مع المسار الزمني لها خلال أداء المهارة .
- مراعاة الفروق الفردية والتدرج في تنفيذ البرنامج .
- التقدم بشكل تدريجي في الأداء منعا للإجهاد .
- أن تكون المدة الكلية للبرنامج المقترح وزمن الأداء والتكرار والشدة والتدرج بحمل التدريب ومحتوى الخطة الزمنية وفقاً للاسس العلمية للبرامج التدريبية .
- مرونة البرنامج وقبوله للتطبيق العملي .

محتوى البرنامج :

بعد أن تم تحديد اسس وضع البرنامج المقترح للتدريبات المصادمة قام الباحث باستطلاع رأي الخبراء، مرفق [4] في محتوى الخطة الزمنية والتدريبية للبرنامج المقترح من حيث] الفترة الكلية للبرنامج، عدد مرات التدريب اليومية، شدة حمل التدريب، كيفية التدرج بحمل التدريب [والجدول رقم [6] يوضح ذلك .

جدول رقم[6]
النسبة المئوية لدى السادة الخبراء في محتوى الخطة الزمنية والتدريبية للبرنامج المقترح لتدريبات المصادمة

م	المحتوى الزمني والتدريبي	رأي الخبراء	النسبة المئوية
•	الفترة الكلية للبرنامج	ثمانية أسابيع	85%
•	عدد مرات تكرار التدريب في الأسبوع	3مرات	90%
•	زمن جرعة التدريب التصادمي للرجلين	من 15-7 ق إحماء من40-22 ق جزء رئيسي)مصادمة -مهاري (من7-5 ق تهدئة	90%
•	شدة حمل التدريب	تتراوح من متوسطة إلى أقصى 65% إلى100%	80%

وتم تحديد شدة حمل التدريب على أساس 65% إلى 100% من أقصى معدل للنبض وقد تم حسابها عن طريق معدل النبض المستهدف كدلالة لشدة الحمل المطلوب .

مدة تطبيق البرنامج .

تم تطبيق وحدات البرنامج التدريبي المقترح على عينة البحث لمدة ثمانية أسابيع بواقع 3 وحدات تدريبية في الأسبوع اعتباراً 25 / 5/ حتى / 26/ 7 بتنفيذ مدرب فريق الهلال وتحت إشراف الباحث .

تقسيم فترة الإعداد :

وفقاً لما قام به الباحث من مسح مرجعي للمراجع العلمية في رياضة كرة القدم أمكن تحديد أنسب التقسيمات الخاصة بفترة الإعداد حيث تم تقسيمها إلى إعداد عام لمدة اسبوعين الأول والثاني ثم إعداد خاص) مهاري (لمدة أربعة أسابيع ثم مراحل الإعداد للمباريات وتمثل الأسبوعين الأخيرين من إجمالي فترة الإعداد .

مكونات الوحدة التدريبية:

الإحمـــــــــاء [15] :ق

يبدأ البرنامج التدريبي اليومي بالإحماء الجيد الذي يخدم هدف كل وحدة تدريبية يومية وذلك بهدف تنمية الجهاز العصبي المركزي والجهاز الحركي وزيادة نشاط الجهاز التنفسي لمختلف أجزاء الجسم] الرقبة، الذراعين، الجذع، الرجلين [وبجانب مجموعة من تمرينات الإطالة والمرونة .

الجزء الرئيسي [40] :ق

يتم فيه أداء تمرينات البرنامج التدريبي الذي تم اختيارها لتحقيق هدف كل مرحلة من مراحل الإعداد مع مراعاة الشروط الموضوعة لكل تمرين من حيث الشدة وعدد مرات التكرار وذلك لتدريبات المصادمة، مرفق [2] وكذلك تم وضع مجموعة من التدريبات المهارية المتشابهة لنوعية الأداء الحركي للمهارات قيد البحث .

التهـــدئة [5] :ق

ويهدف إلى عودة اللاعب إلى حالته الطبيعية من خلال مجموعة من تدريبات الاسترخاء والتهدئة لأجهزة الجسم المختلفة .

الدراسة الأساسية:

القياس القبلي :

قام الباحث بإجراء القياس القبلي على عينة البحث للمجموعتين التجريبية والضابطة في المتغيرات قيد البحث وذلك يوم الجمعة الموافق 24 / 5 / 2014 م

القياس البعدي :

قام الباحث بإجراء القياس البعدي على عينة البحث بعد مرور ثمانية أسابيع مدة البرنامج التدريبي وعقب انتهاء الإعداد وذلك يوم السبت الموافق2014 / 7 / 28 م .

المعالجات الإحصائية :

استخدم الباحث المعالجات الإحصائية التالية لمعالجات البيانات إحصائياً

- المتوسط الحسابي - الانحراف المعياري - معامل الالتواء
- معالم الارتباط - اختبار" ت - "معادلة نسب التقدم .

عرض ومناقشة النتائج :

جدول رقم[7]

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة] ت [بين القياسين القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية للاختبارات قيد البحث ن15=

الاختبارات	القياس القبلي		القياس البعدي		قيمة ت
	س	ع	س	ع	
اختبار الوثب العريض من الثبات	1.73	0.15	1.93	0.14	5.15
اختبار الوثب العمودي لسارجنت	34.50	2.22	39.40	2.13	8.42
اختبار وثب الصندوق	54.64	2.12	62.48	2.24	13.45
اختبار الحجل من الثبات للقدم اليمني	152.41	2.18	156.51	2.15	10.02
اختبار الحجل من الثبات للقدم اليسرى	153.21	2.69	158.21	2.48	7.23
اختبار الخطو من الثبات للقدم اليمنى	154.21	2.24	157.42	2.18	5.43
اختبار الخطو من الثبات للقدم اليسرى	152.87	2.18	156.42	1.69	6.81
اختبار ضرب الكرة بالرأس في دائرة متداخلة	9.40	1.38	13.40	1.25	11.36
اختبار ضرب الكرة بالرأس على المرمى	8.60	1.42	12.60	1.36	10.76
اختبار التصويب بالقدم على جزء محدد من المرمى	4.65	2.8	8.5	1.35	6.50
اختبار دقة التصويب	10.4	2.53	16.20	2.56	8.52

قيمة" ت "الجدولية عند مستوى 2.02 = 0.05

يتضح من الجدول رقم [7] وجود فروق ذات دلالة إحصائيا عند مستوى 0.5 وذلك بين نتائج كلا من القياس القبلي والقياس البعدي ولصالح القياس البعدي وذلك لعينة المجموعة التجريبية في جميع الاختبارات قيد البحث .

ويعزى الباحث هذه النتائج إلى أن استخدام التدريبات البليومترية بأسلوب المصادمة كان له الأثر الإيجابي في تنمية الوثب العمودي ودقة وقوة ضرب الكرة بالرأس والقدم وهي التدريبات المكونة للبرنامج التدريبي المقترح .

وتتفق هذه النتائج مع ما أشار إليه طلحة حسام الدين1997 م [7] أن من مميزات تحسن القدرة العضلية لعضلات الرجلين تنعكس على رفع معدل القوة في زمن قصير جداً وبسرعة عالية وهذه السرعة تمثل أهمية كبيرة في كثير من المهارات، وبالتالي تحقيق عائداً تدريبياً عالياً في معظم المهارات الرياضية التي تعتمد على حركات الوثب .

وتتفق أيضا هذه النتائج مع ما أشار إليه كل من براون1992 م[16] ، وعلية محمد فرحات1993 م [8]إلى ان استخدام تدريبات البليومتري وخاصة التي تستخدم الوثب بالقدمين والحجل والارتداد باستخدام الصناديق والحواجز تؤدي إلى رفع مستوى الوثبات ولها تأثير إيجابي على القدرة العضلية والتي تتطلبها المهارات التي تعتمد على الوثب .

وفي هذا الشأن يشير غازي السيد يوسف وآخرون2000 م [10] أن من أهم واجبات مدرب كرة القدم أن يعمل على تقوية القدرة على الوثب عند المهاجمين إذ أنهم غالبا ما يقفزون من الثبات لضرب الكرة بالرأس وذلك للتصويب على المرمى وعلى العكس المدافعون إذ أنهم يقتربون خطوة أو خطوتين وذلك لضرب الكرة بالرأس الأمر الذي يتطلب من المدرب تدريب لاعبيه سواء مهاجمين أو مدافعين على القدرة للوثب الأعلى .

وتؤكد إلهام عبدالرحمن محمد1997 م [2] إلى نفس النتائج حيث أثبتت إلى وجود فروق ذات دالة إحصائيا بين القياسين القبلي والبعدي ولصالح القياس البعدي ويرجع ذلك إلى فاعلية التدريبات البليومترية والتي تعمل على تحسين مسافة الوثب العمودي .

ويرى الباحث أن التحسن الناتج عن تنمية القدرة العضلية وكذلك الاختبارات المهارية لدقة التصويب للقدم والرأس ذلك لأن البرنامج التدريبي الذي احتوى على تدريبات بدنية ومهارية ساعدت على الإنسابية بين الإنقباض والإنبساط أحدث تناغم بين الانقباض والانبساط مما أدى إلى الارتقاء بالقدرة العضلية للرجلين وبذلك يتحقق صحة الفرض الأول .

جدول رقم[8]

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة] ت [بين القياسين القبلي والبعدي للمجموعة الضابطة للاختبارات قيد البحث ن15=

الاختـــــــبارات	القياس القبلي		القياس البعدي		قيمة ت
	س	ع	س	ع	
اختبار الوثب العريض من الثبات	1.72	0.16	1.65	0.21	1.40
اختبار الوثب العمودي لسارجنت	34.62	2.23	35.59	2.21	.0.61
اختبار وثب الصندوق	54.69	2.61	55.12	2.59	0.49
اختبار الحجل من الثبات للقدم اليمني	250.60	2.64	250.90	1.86	0.93
اختبار الحجل من الثبات للقدم اليسرى	153.14	2.18	153.69	2.24	0.96
اختبار الخطو من الثبات للقدم اليمنى	154.61	2.30	155.18	2.11	1.45
اختبار الخطو من الثبات للقدم اليسرى	152.27	2.14	153.12	2.28	0.60
اختبار ضرب الكرة بالرأس في دائرة متداخلة	9.60	1.25	9.80	1.21	0.39
اختبار ضرب الكرة بالرأس على المرمى	8.75	1.29	8.90	1.54	0.69
اختبار التصويب بالقدم على جزء محدد من المرمى	3.8	2.2	4.2	2.1	1.50
اختبار دقة التصويب	9.7	2.24	10.35	2.38	

قيمة" ت "الجدولية عند مستوى 2.02 = 0.05

يتضح من الجدول رقم [8] وجود فروق ذات دلالة إحصائيا عند مستوى 0.5 بين القياس القبلي والبعدي للمجموعة الضابطة ولصالح القياس البعدي في جميع الاختبارات قيد البحث .

ويرجع الباحث هذه النتائج إلى تأثير البرنامج التدريبي الذي طبق على المجموعة الضابطة والذي اشتمل على مجموعة من التدريبات البدنية والتي تهدف الارتقاء بعناصر اللياقة البدنية كالسرعة والرشاقة والمرونة وكذلك التوافق وكل هذه العناصر تتطلبها مهارة ضرب الكرة بالرأس مما كان له الأثر في تحسن مستوى أداء عينة المجموعة الضابطة .

ويرجع الباحث نسب التقدم الضعيفة إلى أن البرنامج المتبع مع المجموعة الضابطة لا يحتوي على القدر الكافي من التدريبات التصادمية التي تؤدي إلى الارتفاع بالمستوى البدني والمهاري قيد البحث .

جدول رقم[9]

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة] ت [بين المجموعتين) التجريبية والضابطة (في القياس البعدي للاختبارات قيد البحث ن=1ن15=2

الاختـــــــبارات	المجموعة التجريبية		المجموعة الضابطة		قيمة ت
	س	ع	س	ع	
اختبار الوثب العريض من الثبات	1.93	0.14	1.65	0.21	4.13
اختبار الوثب العمودي لسارجنت	39.40	2.13	35.59	2.21	6.56
اختبار وثب الصندوق	62.48	2.24	55.12	2.59	11.37
اختبار الحجل من الثبات للقدم اليمني	156.51	2.15	250.90	1.86	6.71
اختبار الحجل من الثبات للقدم اليسرى	158.21	2.48	153.69	2.24	7.15
اختبار الخطو من الثبات للقدم اليمنى	157.42	2.18	155.18	2.11	3.90
اختبار الخطو من الثبات للقدم اليسرى	156.42	1.69	153.12	2.28	6.85
اختبار ضرب الكرة بالرأس في دائرة متداخلة	13.40	1.25	9.80	1.21	10.94
اختبار ضرب الكرة بالرأس على المرمى	12.60	1.36	8.90	1.54	9.52
اختبار التصويب بالقدم على جزء محدد من المرمى	8.5	1.35	4.2	2.1	9.11
اختبار دقة التصويب	16.20	2.56	10.35	2.38	9.85

قيمة" ت "الجدولية عند مستوى 2.09 = 0.05

يتضح من الجدول رقم [9] وجود فروق ذات دلالة إحصائيا عند مستوى 0.5 بين المجموعتين التجريبية والضابطة في القياس وذلك للاختبارات قيد البحث ولصالح المجموعة التجريبية .

ويفسر الباحث تلك النتائج والفروق بين المجموعتين التجريبية والضابطة ولصالح المجموعة التجريبية إلى استخدام أسلوب المصادمة في البرنامج التدريبي والذي احتوى على التنمية الشاملة والمتوازنة لعناصر اللياقة البدنية الخاصة بشباب كرة القدم وقد راعى الباحث أثناء تصميم البرنامج الفروق الفردية للاعبين وكذلك مراعاة مبدأ علم التدريب الرياضي في تقنين الأحمال التدريبية، كما

أن استخدام أسلوب المصادمة أدى إلى تطور مستوى أداء الشباب في مهارة ضرب الكرة بالرأس ودقة التصويب .

وتتفق نتائج هذا الجدول مع ما ذكر من نتائج دراسات كلا من جال علاء الدين وآخرون 1980 [3]، إسلام الطحلاوي [1] 1997 في أن المجموعة التي استخدمت تدريبات البليومتري تفوقت على المجموعات الأخرى وكذلك توجد علاقة دالة بين تدريبات البليومتري والوثب العمودي .

وتؤكد هذه النتائج ما أشارت إليه نتائج كلا من تيلور1992 Taylor م [23] وبريزو Brezzo 1997م [17] ومحمد أحمد رمزي2002 م [12] إلى أن التدريبات التي تستخدم الوثب بالقدمين والحجل والارتداد باستخدام صناديق أو حواجز ومدرجات" المزج بينهما بغرض انقباض العضلة تقصيراً بعد انقباضها بالتطويل يعد الأساس في تنمية قوة الرجلين .

وتتفق أيضا هذه النتائج مع نتائج دراسة رفاعي مصطفى حسن1994 م [6] التي أسفرت عن أن أسلوب التدريب بالمصادمة قد أثر تأثيراً إيجابيا وحقق نسبة أفضل من أسلوب التدريب بالأثقال في تنمية القوة المميزة بالسرعة لعضلات الرجلين للاعبي كرة القدم .

وفي هذا الشأن يشير جمال علاء الدين1980 م [4] إلى أن الأسلوب الأمثل لتدريب القدرة العضلية للرجلين هو الذي يتشابه فيه المسار الرقمي للقوة في المجموعات العضلية الأساسية العاملة خلال التمرين مع المسار الزمني لها خلال أداء المهارة ذاتها كما أن التدريب البيلومتري باستخدام أسلوب المصادمة يعد أساس لمحاكاة الحركة الرياضية وفقا لمسارها الزمني والهندسي يعد من أفضل أساليب تنمية قوة الرجلين .

جدول رقم[10]
نسب تقدم القياس البعدي عن القياس القبلي للاختبارات قيد البحث لدى المجموعتين التجريبية والضابطة

الاختبارات	المجموعة التجريبية			المجموعة الضابطة		
	قبلي	بعدي	نسبة تقدم%	قبلي	بعدي	نسبة تقدم%
اختبار الوثب العريض من الثبات	1.73	1.93	11.56	1.72	1.78	3.4
اختبار الوثب العمودي لسارجنت	34.50	39.40	14.20	34.62	35.59	2.8
اختبار وثب الصندوق	54.64	62.48	14.34	54.69	59.12	0.78
اختبار الحجل من الثبات للقدم اليمني	152.41	156.51	2.68	250.60	250.70	0.06
اختبار الحجل من الثبات للقدم اليسرى	153.21	158.21	3.25	153.14	135.69	0.35
اختبار الخطو من الثبات للقدم اليمنى	154.21	157.42	2.1	154.61	155.18	0.76
اختبار الخطو من الثبات للقدم اليسرى	152.87	156.42	2.3	152.27	153.12	0.55
اختبار ضرب الكرة بالرأس في دائرة متداخلة	9.40	13.40	38.29	9.60	9.80	2.9
اختبار ضرب الكرة بالرأس على المرمى	8.60	12.60	46.51	8.75	8.90	1.71
اختبار التصويب بالقدم على جزء محدد من المرمى	4.65	8.5	46.23	3.8	4.2	10.52
اختبار دقة التصويب	10.4	16.20	18.26	9.7	10.35	6.70

يتضح من الجدول رقم [10] وجود نسب تقدم للقياس البعدي والقبلي للمجموعتين التجريبية الضابطة ولصالح القياس البعدي في جميع الاختبارات قيد البحث ويوضح الجدول تفوق نسب تقدم المجموعة التجريبية عن الضابطة .

ويرجع الباحث هذه النسب المئوية في المتغيرات قيد البحث أن تلك المتغيرات قد استجابت للتدريب البليومتري باستخدام أسلوب المصادمة وهو يعني أن البرنامج التدريبي المقترح والمطبق على عينة

المجموعة التجريبية كان له الأثر الإيجابي في إحداث هذا التحسن أي أنه كلما زادت فترة التدريب باستخدام أسلوب المصادمة لتنمية الوثب العمودي لدى عينة البحث كلما زادت النسب المئوية لمعدل التقدم مما يدل على سلامة هذا الأسلوب واتفاقه مع مبادئ علم التدريب الرياضي .

وتتفق هذه النتائج مع ما توصل إليه براون [16] Brown 1992 والتي أشارت إلى تحسن نتائج المجموعة التجريبية في اختبار الوثب العمودي باستخدام الذراعين، كما أن تحسن نسبة التقدم في الوثب العمودي يرجع إلى تحسن مستوى مهارة الوثب .

ويشير بريزو (17) Brezzo Di إلى أن التدريب البليومتري أدى إلى تحسن الوثبة العمودية والقوة الثابتة لعضلات الرجلين ولابد من الاستمرار في هذه التدريبات أكثر من خمسة أسابيع .

ويذكر ياسر عبدالعظيم وآخرون1992 م [15] إلى أن أسلوب المصادمة يعمل على تنمية وتطوير القوة من خلال تجارب السقوط من ارتفاعات مختلفة ثم الوثب السريع للأمام والوثب السريع لأعلى وذلك بهدف تحسن القوة الانقباضية للوحدات الحركية وتنشيطها بما يسمح بميكانيكية العمل العضلي.

ويرى الباحث أنه على الرغم من أهمية تدريبات المصادمة للاعبي كرة القدم إلا أن الكثير من المدربين يغفلون استخدام مثل هذه التدريبات والبعض يستخدمها بشكل غير منظم وعملي رغم أهمية هذه التدريبات والتي تساعد على تنمية وتطوير الوثب حيث تساعد اللاعبين على الربط التام بين عمل الذراعين والقدمين عند الارتقاء لأداء مهارة ضرب الكرة بالرأس ودقة التصويب على المرمى .

الاستنتاجات والتوصيات

الاستنتاجات

في حدود عينة البحث المختارة وطبقا للفترة الزمنية للبرنامج أمكن التوصل إلى الاستنتاجات الآتية :

- البرنامج التدريبي المقترح بأسلوب المصادمة أثر إيجابيا على زيادة الوثب العمودي لدى أفراد المجموعة التجريبية .
- البرنامج التدريبي المقترح بأسلوب المصادمة أثر إيجابياً على دقة مهارة ضرب الكرة بالراس ودقة التصويب بالقدم على المرمى .
- وجود فروق دالة إحصائياً بين المجموعة التجريبية والضابطة في القياس البعدي في المتغيرات قيد البحث ولصالح القياس البعدي .
- تفوقت المجموعة التجريبية عن المجموعة الضابطة في نسب التقدم للقياس البعدي عن القياس القبلي في المتغيرات قيد البحث .
- أن البرنامج التدريبي لا يقل عن 6 أسابيع حتى يمكن الحصول على فاعلية تأثير مقبولة .

التوصيات :

- استخدام تدريبات بأسلوب المصادمة لفرق الناشئين حيث ثبت أهميتها في تنمية عنصر القدرة العضلية والوثب العمودي وذلك في فترات الإعداد .
- توفير الأجهزة والأدوات الحديثة اللازمة لتدريبات المصادمة .
- القيام بأبحاث مشابهة على عينات أخرى تختلف في الجنس والسن والموطن والنشاط الممارس ومدة البرامج التدريبية .

المراجع العربية والأجنبية :

أولاً :المراجع العربية :

- إسلام محمد عادل الطحلاوي :أثر استخدام تدريبات البليومترك كأحد مكونات برنامج تدريبي مقترح على بعض المتطلبات البدنية والمتغيرات الفسيولوجية لدى ناشئ كرة السلة، رسالة ماجستير، كلية التربية الرياضية ببور سعيد، جامعة قناة السويس،1997 م .

- إلهام عبدالرحمن محمد :فاعلية التدريب البليومتري على مسافة الوثب العمودي وأثرها على الضربة الساحقة وبعض القدرات البدنية الخاصة بالكرة الطائرة، المجلة العلمية للتربية البدنية والرياضة، كلية التربية الرياضية للبنات، جامعة الإسكندرية، العدد الثاني عشر،1997 م .
- جمال محمد علاء الدين وآخرون :أثر استخدام بعض الأساليب المقترحة لتنمية القوة المميزة بالسرعة على تحسين مسافة الوثب العمودي للناشئين، المؤتمر العلمي لدراسات وبحوث التربية الرياضية مشكلات الإعداد الرياضي للناشئين، مايو1980 م .
- جمال محمد علاء الدين :دراسات معملية في بيوميكانيكا الحركات الرياضية، دار المعارف، القاهرة،1980 م .
- حنفي محمود مختار :أسس تخطيط برامج التدريب الرياضي، دار زهران،1988 م .
- رفاعة مصفى حسن :دراسة مقارنة بين تأثير أسلوب استخدام الأثقال وأسلوب المصادمة لتنمية القوة المميزة بالسرعة للرجلين للاعبي كرة القدم، نظريات وتطبيقات، مجلة علمية، كلية التربية الرياضية للبنين، جامعة الإسكندرية،1994 م .
- طلحة حسام الدين وآخرون :الموسوعة العلمية في التدريب الرياضي، الجزء الأول، الطبعة الأولى، مركز الكتاب للنشر، القاهرة،1997 م .
- عبلة محمد فرحات :دراسات فاعلية تدريبات البليومتري على مهارة الوثب في التعبير الحركي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية الرياضية للبنات بالقاهرة، جامعة حلوان،1993 م .
- عصام عبدالخالق :التدريب الرياضي، نظريات – تطبيقات، الطبعة السابعة، دار المعارف، 1992م .
- غازي السيد يوسف، إبراهيم مجدي صالح :الاتجاهات الحديثة في تدريب كرة القدم، مكتب العزيزي للكمبيوتر، الزقازيق،2000 م .
- فيلين .ف.ب :نظريات وطرق تدريب الناشئين، دار الثقافة البدنية والرياضة، موسكو،1988 م .
- محمد أحمد رمزي :فعالية تطوير القدرة العضلية للرجلين على بعض الخصائص البيوميكانيكية للحجلة لناشئ الوثب الثلاثي، بحث منشور، كلية التربية الرياضية للبنات، جامعة حلوان، 2002م .
- محمد حسن علاوي، علم التدريب الرياضي، الطبعة الثانية عشرة، دار المعارف، القاهرة، 1992م .
- مفتي إبراهيم حماد :التدريب الحديث -تخطيط وتطبيق وقيادة، دار الفكر العربي،1998 م .

- ياسر عبدالعظيم سالم وآخرون :دراسة فعالية طريقة المصادمة في تنمية القوة المميزة بالسرعة للاعبي كرة القدم وكرة اليد والسباحة، بحث منشور، مجلة بحوث التربية الرياضية للبنين، جامعة الزقازيق،1992 م .

ثانياً :المراجع الأجنبية :

- Brown, M.E: Effect of plyometric training on Vertical Jumper of mane in high school Basket Ball players, sports medicine and physical Fitness, Torino, 1992.
- Di.Brezzo, R.: The Effect of Modified plyometric program on Junior High Female Basket Ball players, Research Coaching and Athelteic, Boston, 1997.
- Fleck, S.J. & Kraemer, N.J.: designating Resistance Training programs 2nd., ed., Human Kinetics Champaign, 1997.
- Humphries, B.J & et al.: The effect of abraking device in reducing the ground impact forces inherent in plyometric train international journal of sports medicine, 16 (2), feb., 1995.
- Less, A.& Fahmi, E.: Optimal Heights for plyometric training sport Biomechanics laboratory, John Liverpool moors university, Ergonomics, 37 (1); Jan, 1994.
- Mativeyev: Fundamental of sports training progress publishers, Mosco, 2nd, chapter 10, translasted form the russion by albert P. Z. or Nykh, 1981.
- Schmidt Bleicher: What is suitable heights for plyometric training research quarterly for sports medicine, vo1.62No.2,1993.
- Taylor, A.W.: Effect of plymoteric training on vertical Jump performance in Long Jump, Sport Medicine and physical Fitness Torno, 1992.

مصادر الانترنت :

- www.home.m.mrr.comwwftta/ .

مرفـق(1)

البرنامج التدريبي

الأسبوع :الأول **بدني** درجة الحمل :متوسط

الوحدة التدريبية	التدريبات	الأدوات والأجهزة	المسافة البيئية	مكونات الحمل		
				الشدة	التكرار	الراحة البيئية
الأولى	الوثبة الواسعة برجل واحدة	صندوق بارتفاع 30سم	-	65%	6	2ق
	وثبة الصندوق	صندوق بارتفاع 30سم	45سم		7	2ق
	وثبة الفجوة السريعة بالقدمين	صندوق بارتفاع 30سم	35سم		8	2ق
	التمريرة الصدرية بالكرة الطبيبة	كرة طبية1 كجم	3سم		6	45ث
الثانية	الوثب العميق الأمامي	صندوق بارتفاع 60سم	-	70%	6	1ق
	الوثب للصندوق] ب [بعد الصندوق] أ [	صندوق بارتفاع 60سم	120سم		6	3ق
	الوثب العميق مع الفجوة	صندوق بارتفاع 45سم	60سم		6	1ق
	ارتداد الصندوق بالرجلين معا	صندوق بارتفاع 30سم	180سم		6	2ق
	قذف كرة طبية من الالتفاف	كرة طبية1 كجم	3م		6	45ث
الثالثة	الإنزلاق بالجانب من الصندوق]أ [والوثب للصندوق] ب [	صندوق بارتفاع 45سم	70سم	65%	6	2ق
	خطو الصندوق	صندوق بارتفاع 30سم	70سم		6	2ق
	الحجل للجانب	صندوق بارتفاع 45سم	60سم		6	2ق
	ارتداد الصندوق بتعاقب الرجلين	صندوق بارتفاع 30سم	120سم		6	2ق
	تمرير كرة طبية من الجلوس	كرة طبية1 كجم	3م		6	45ث

الأسبوع :الثاني **بدني** درجة الحمل :أقل من الأقصى

الوحدة التدريبية	التدريبات	الأدوات والأجهزة	المسافة البيئية	مكونات الحمل		
				الشدة	التكرار	الراحة البيئية
الأولى	الوثب العميق	صندوق بارتفاع 30سم	-	80%	8	1ق
	الوثب العميق مع الفجوة	صندوق بارتفاع 45سم	60سم		8	1ق
	ارتداد الصندوق بالرجلين معا	صندوق بارتفاع 30سم	120سم		8	2ق
	التمرير الصدرية بالكرة الطبية	كرة طبية2 كجم	30م		8	30ث
الثانية	وثب بالقدمين معا	صندوق بارتفاع 70سم	80سم	75%	8	1ق
	الوثب العميق الجانبي بقدم واحدة	صندوق بارتفاع 70سم	80سم		8	1ق
	الحجل بالقدمين] يمين – شمال [	صندوق بارتفاع 40سم	80سم		8	1ق
	تعاقب الحجل والوثب	صندوق بارتفاع 40سم	80سم		8	1ق
	قذف كرة طبية من التفاف	كرة طبية2 كجم	3م		8	30ث
الثالثة	الوثب العميق لأسفل	مدرج بارتفاع 40سم	-	70%	6	2ق
	الوثب لأعلى بالقدمين معا	مدرج بارتفاع 40سم	-		6	
	الجري لأسفل	مدرج بارتفاع 30سم	-		6	
	الجري لأعلى بخطوات واسعة	مدرج بارتفاع 20سم	-		6	2ق

الأسبوع :الثالث **بدني** درجة الحمل :حمل أقصى

الوحدة التدريبية	التدريبات	الأدوات والأجهزة	المسافة البيئية	مكونات الحمل		
				الشدة	التكرار	الراحة البيئية
الأولى	الحجل بالقدمين] يمين شمال [	حواجز بارتفاع 40سم	70سم	80%	6	1ق
	الوثب بالقدمين معا	حواجز بارتفاع 70سم	70سم		6	1ق
	تعاقب الوثب والحجل	حواجز بارتفاع 40سم	70سم		6	1ق
	التمريرة الصدرية بالكرة الطبية	كرة طبية2 كجم	4م		6	30ث
الثانية	الجري لأعلى بخطوات واسعة	مدرج بارتفاع 40سم	-	90%	8	2ق
	الوثب العميق لأسفل	مدرج بارتفاع 40سم	-		8	
	تعاقب الوثب والحجل	حواجز بارتفاع 70سم	70سم		8	
	الوثب لأعلى بالقدمين معا	مدرج بارتفاع 40سم	-		8	
	الجري لأسفل	مدرج بارتفاع 40سم	-		8	2ق
الثالثة	الحجل بالقدمين] يمين شمال [	حواجز بارتفاع 50سم	70سم	85%	8	1ق
	الوثب بالقدمين معا	حواجز بارتفاع 80سم	70سم		8	1ق
	الإنزلاق من الصندوق]أ [ثم الوثب نصف لفة للصندوق] ب[	صندوق بارتفاع 45سم	110سم		8	2ق
	تعاقب الوثب والحجل	حواجز بارتفاع 70سم	70سم		8	1ق
	التمريرة الصدرية بالكرة الطبية	كرة طبية2 كجم	4م		8	30ث

الأسبوع :الرابع **بدني** درجة الحمل :حمل أقصى

الوحدة التدريبية	التدريبات	الأدوات والأجهزة	المسافة البيئية	مكونات الحمل		
				الشدة	التكرار	الراحة البيئية
الأولى	الحجل لأعلى بخطوات واسعة	مدرج بارتفاع 40سم	-	95%	8	2ق
	الوثب العميق لأسفل	مدرج بارتفاع 40سم	-		8	
	الوثب لأعلى بالقدمين معا	مدرج بارتفاع 40سم	-		8	
	الجري لأسفل	مدرج بارتفاع 20سم	-		8	2ق
الثانية	وثب القدمين معا	مدرج بارتفاع 60سم	-	85%	6	1ق
	الحجل بالقدمين] يمين شمال [	مدرج بارتفاع 45سم	60سم		6	1ق
	تعاقب الحجل والوثب	مدرج بارتفاع 30سم	180سم		6	1ق
	قذف كرة طبية من الالتفاف	كرة طبية1 كجم	3م		6	45ث
الثالثة	الحجل للأمام والخلف	صندوق بارتفاع 45سم	80سم	90%	6	2ق
	الحجل للجانب] يمين شمال [	صندوق بارتفاع 45سم	60سم		6	2ق
	الوثب للجانب بالقدمين	صندوق بارتفاع 45سم	150سم		6	2ق
	تمرير كرة طبية	كرة طبية2 كجم	3م		6	2ق

الأسبوع :الخامس **بدني** درجة الحمل :متوسط

الوحدة التدريبية	التدريبات	الأدوات والأجهزة	المسافة البيئية	مكونات الحمل		
				الشدة	التكرار	الراحة البيئية
الأولى	خطو الصندوق	صندوق بارتفاع 45سم	80سم	70%	6	1ق
	الوثب العميق مع الفجوة	صندوق بارتفاع 45سم	60سم		6	1ق
	ارتداد الصندوق بالرجلين	صندوق بارتفاع 45سم	150سم		6	2ق
	قذف كرة طبية من الالتفاف	كرة طبية2 كجم	3م		6	30ث
الثانية	الحجل للأمام والخلف	قمع بارتفاع 55 سم	60سم	60%	6	2ق
	الحجل للجانب] يمين شمال [	قمع بارتفاع 55 سم	60سم		6	2ق
	الوثب للجانب بالقدمين معا	قمع بارتفاع 55 سم	60سم		6	2ق
	التمريرة الصدرية بالكرة الطبية	كرة طبية	3م		6	45ث
الثالثة	الوثب الواسع برجل واحدة	صندوق بارتفاع 30سم	50سم	65%	6	1ق
	وثب الصندوق	صندوق بارتفاع 30سم	50سم		6	1ق
	وثب الفجوة السريعة	صندوق بارتفاع 40سم	50سم		6	1ق
	قذف كرة طبية من الالتفاف	كرة طبية2 كجم	3م		6	1ق

الأسبوع :السادس **بدني** درجة الحمل :أقل من الأقصى

الوحدة التدريبية	التدريبات	الأدوات والأجهزة	المسافة البيئية	مكونات الحمل		
				الشدة	التكرار	الراحة البيئية
الأولى	الوثبة الواسعة برجل واحدة	صندوق بارتفاع 30سم	-	85%	6	1ق
	وثب صندوق	صندوق بارتفاع 45سم	50سم		6	1ق
	وصب الفجوة السريعة بالقدمين	صندوق بارتفاع 45سم	50سم		6	1ق
	قذف كرة طبية من الالتفاف	كرة طبية2 كجم	4م		6	30ث
الثانية	الجري لأعلى بخطوات واسعة	مدرج بارتفاع 40سم	-	90%	6	2ق
	الوثب العميق لأسفل	مدرج بارتفاع 40سم	-		6	
	الوثب لأعلى بالقدمين معا	مدرج بارتفاع 40سم	-		6	2ق
	الجري لأسفل	مدرج بارتفاع 30سم	-		6	
الثالثة	خطو الصندوق	صندوق بارتفاع 45سم	80سم	85%	6	1ق
	الوثب العميق مع الفجوة	صندوق بارتفاع 45سم	60سم		6	1ق
	ارتداد الصندوق بالرجلين معا	صندوق بارتفاع 45سم	150سم		6	1ق
	قذف كرة طبية من الالتفاف	كرة طبية2 كجم	4م		6	30ث

الأسبوع :السابع **بدني** درجة الحمل :حمل أقصى

الوحدة التدريبية	التدريبات	الأدوات والأجهزة	المسافة البيئية	مكونات الحمل		
				الشدة	التكرار	الراحة البيئية
الأولى	الحجل للأمام والخلف	قمع بارتفاع 60سم	60سم	95%	8	2ق
	الحجل للجانب] يمين شمال [	قمع بارتفاع 60سم	60سم		8	2ق
	الوثب للجانب بالقدمين	قمع بارتفاع 60سم	60سم		8	2ق
	قذف كرة طبية من الالتفاف	كرة طبية2 كجم	4م		8	30ث
الثانية	الحجل بالقدمين	حواجز بارتفاع 70سم	70سم	90%	8	1ق
	الوثب بالقدمين معا	حواجز بارتفاع 70سم	70سم		8	1ق
	تعاقب الوثب والحجل	حواجز بارتفاع 70سم	70سم		8	1ق
	التمريرة الصدرية بالكرة الطبية	كرة طبية2 كجم	5م		8	30ث
الثالثة	الحجل للأمام والخلف	قمع بارتفاع 60سم	70سم	95%	8	2ق
	الحجل للجانب	قمع بارتفاع 60سم	70سم		8	2ق
	الوثب للجانب بالقدمين معا	قمع بارتفاع 60سم	70سم		8	2ق
	قذف كرة طبية من الالتفاف	كرة طبية2 كجم	5م		8	30ث

الأسبوع :الثامن **بدني** درجة الحمل :حمل أقصى

الوحدة التدريبية	التدريبات	الأدوات والأجهزة	المسافة البيئية	مكونات الحمل		
				الشدة	التكرار	الراحة البيئية
الأولى	الجري لأعلى بخطوات واسعة	مدرج بارتفاع 40سم	-	95%	8	2ق
	الوثب العميق لأسفل	مدرج بارتفاع 40سم	-		8	
	الوثب لأعلى بالقدمين	مدرج بارتفاع 20سم	-		8	
	الجري لأسفل	مدرج بارتفاع 20سم	-		8	
الثانية	الحجل للأمام والخلف	قمع بارتفاع 60سم	80سم	95%	8	1ق
	الحجل للجانب	قمع بارتفاع 60سم	80سم		8	1ق
	الوثب للجانب	قمع بارتفاع 60سم	80سم		8	1ق
	قذف كرة طبية من الالتفاف	كرة طبية2 كجم	6م		8	30ث
الثالثة	الجري لأعلى بخطوات واسعة	حواجز بارتفاع 70سم	80سم	90%	8	1.5ق
	الوثب العميق لأسفل	حواجز بارتفاع 70سم	80سم		8	
	الوثب لأعلى بالقدمين معا	حواجز بارتفاع 70سم	80سم		8	
	الجري لأسفل	كرة طبية2 كجم	6م		8	1.5ق

V(z) Evaluation of Crystallographic Orientations Effects on Elastic Properties of Sodium Cobalt Germanate Single Crystals

Dr. Ibrahim Hamid Qassem AL-Suraihy

Department of Physics, Faculty of Education, AL-Mahweet, Sana'a University, Al-Mahweet, Yemen.

Abstract. Herein we report on the effect of anisotropy on the elastic acoustic parameters (reflection coefficients R(θ), critical angles of wave excitation, acoustic signatures V(z), spatial periods, velocities) of sodium cobalt germanate Na_2CoGeO_4 single crystals with six crystallographic orientations [100], [001], [010], [110], [101], and [011]. Simulations were carried out in the case of a scanning acoustic microscope at an operating frequency of 142MHz, a half opening angle of 50° and water couplant. Interesting results were found. Shear modes were first excited at $\theta_S \sim 26.8°$ on [100] direction. However, at other propagation directions [001], [010], [110], [101], and [011] the shear mode appears at higher angles: θ_S ~27.1°, 31°, 33.9°, 40.5°, 43° respectively. Propagation of acoustic waves showed a decrease of longitudinal waves velocities from 5687 m/s for [101] direction to 4471 m/s for [011] direction. Similar behaviors were obtained with R(θ) and V(z) curves. These variations are due to either low or high atomic occupation of different orientations.

1. Introduction

Materials elastic properties are of great importance in industrial applications as well in basic research. In industry, elastic data are very much useful to determine the strength of the materials under various strained conditions while in basic research, the data are useful in obtaining an insight into the structure of the inter-atomic and inter-ionic forces in solids especially of the long-range type forces. These data can be obtained via static or dynamic methods; the latter case based on acoustic wave propagation is non destructive. However,

elastic wave propagations strongly depend on the nature of propagating media, in particular in solids that could be homogeneous or inhomogeneous, isotropic or anisotropic [1-4].

Therefore, it is our aim to investigate anisotropy effects on several acoustic parameters: reflection coefficients R(θ), critical angles of wave excitation, acoustic signatures V(z), spatial periods Δz, velocities of propagating modes). This investigation is carried out, in the case of a scanning acoustic microscope, on sodium cobalt germanate Na_2CoGeO_4 single crystals that are playing very important roles in many modern applications.

2. Materials and computing procedure

2.1.Materials

Sodium-cobalt germanate single crystals, Na_2CoGeO_4, possess orthorhombic structure. These crystals are isomorphous to Na_2ZnGe0_4, whose monoclinic unit cell is strongly pseudo-orthorhombic; its lattice parameters are a = 7.175, b=5.605 and c =5.325 and the angles α, β and γ are equal to 90°. The characteristic equation of orthorhombic structure, as in case of sodium cobalt germanate Na_2CoGeO_4, is of the same form as for the hexagonal classes, but with more general stiffness coefficients [5, 6]. The idealized form [7] of sodium cobalt germanate Na_2CoGeO_4 single crystals and crystallographic orientations are schematically illustrated in Fig. 1. The single crystals considered in this work were prepared by direct synthesis of Na_2CoGeO_4 from the oxides as well as recrystallization of Na_2CoGeO_4 and seeded growth [8]. The spontaneous crystallization technique does not permit the stable production of large crystals with a high degree of perfection. It may be reasonable of seed growth or by the modified spontaneous crystallization method with the aim to suppress the nucleation and thus to produce somewhat larger single crystals. It was in these directions that work was carried out in search of the technique of growing single crystals [8].

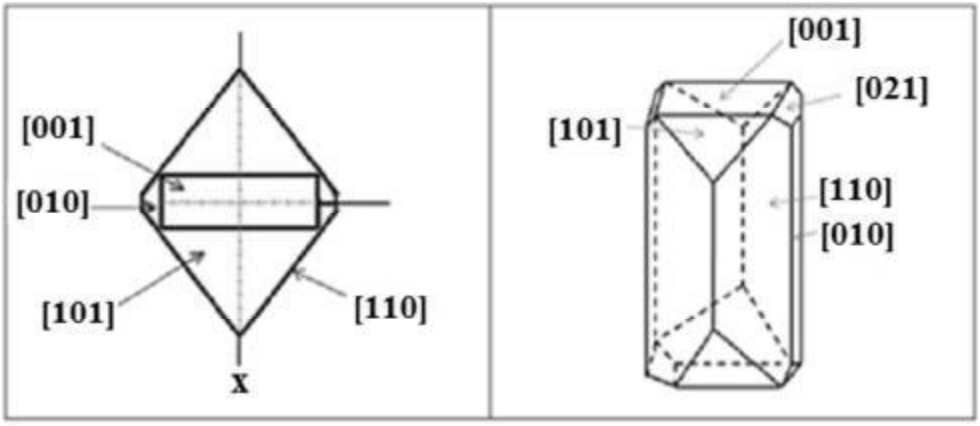

Figure 1. Schematic representation of crystallographic orientations of Na_2CoGeO_4 single crystals

By applying the pulse ultrasonic method in the frequency of 14 MHz and the synchronous ring method, it was reported [8, 9] that the velocities of longitudinal (V_L) and transverse (V_S) elastic waves can be experimentally measured (Table 1) along definite crystallographic directions: [100], [001], [010], [110], [101], and [011]. These published data are to be used in the present simulations to investigate all other acoustic parameters.

Table 1. Experimental data [8] of longitudinal and shear Velocities in sodium cobalt germanate Na_2CoGeO_4 directions.

crystallographic orientations	V_L(m/s)	V_S(m/s)
[100]	5540	3250
[001]	5260	3230
[010]	4480	2810
[110]	5790	2610
[101]	5430	2240
[011]	5690	2130

3. Calculating procedure

The calculation procedure, described in detail elsewhere [10-14], consists of several steps:

i. calculating the reflection coefficient, R(θ) from [14]:

$$R(\theta) = \frac{\left(Z_L \cos^2 2\vartheta_T + Z_T \sin^2 2\vartheta_T - \rho_{Liq} V_{Liq}/\cos\vartheta\right)}{\left(Z_L \cos^2 2\vartheta_T + Z_T \sin^2 2\vartheta_T + \rho_{Liq} V_{Liq}/\cos\vartheta\right)} \qquad (1)$$

where Z_L, Z_S, ρ_{Liq} and V_{Liq} are liquid impedance, solid impedance, coupling liquid density and the propagating wave velocity in the liquid, respectively.

ii. computing the V(z) curves of the whole specimen-lens system from the angular spectrum model [13] given by the expression:

$$V(z) = \int P^2\, R(\vartheta) e^{(2jk_\circ)} \sin\vartheta \cos\vartheta \, d\vartheta \qquad (2)$$

where $P^2(\theta)$ is the pupil function, θ is the half-opening angle of the lens, z is the defocusing distance and $k_0 = 2\pi/\lambda$ is the wave number in the coupling liquid, $j = \sqrt{-1}$.

iii. deducing V(z) of the sample by subtracting the response of the lens V1(z) from V(z),

iv. applying fast Fourier transform, FFT, a spectral technique to the obtained signal V(z)-V_1(z), in order to determine spatial periods Δz,

v. deducing the phase velocity of the corresponding mode from the following relation [12]:

$$V_R = \frac{V_{Liq}}{\sqrt{\left[1 - \left(V_{Liq}\Big/2f\,\Delta z\right)^2\right]}} \qquad (3)$$

where f is the operating frequency.

4. Simulation conditions

Theoretical simulations were carried out in the case of a scanning acoustic microscope in the reflection mode under normal operating conditions: an operating frequency of 142 MHz, a half opening angle of 50° and water as the coupling liquid whose density, $\rho = 1000$ kg/m^3 and longitudinal velocity $V_L = 1500$ m/s.

5. Results and discussions

5.1.crystallographic orientations effects on R(θ)

Reflection coefficients of sodium germanate Na_2CoGeO_4 along definite crystallographic directions: [100], [001], [010], [110], [101], and [011] were calculated. Figure 2 illustrates typical results of the amplitude (Fig. 2a) and the phase (Fig. 2b) as a function of incidence angle. It is clear that, as the angle of incidence increases we notice important changes in both amplitude and phase.

In amplitude, the change occurs at the critical angle, θ_S, at which the shear mode is excited for every crystallographic direction. Beyond these critical angles all the energy is reflected. The modulus of R(θ) becomes equal to unity as a result of total reflection and a null transmission. It can readily be deduced that shear modes are excited at $\theta_S \sim 26.8°$, 27.1°, 31°, 33.9°, 40.5° and 43° for [100], [001], [010], [110], [101], and [011], respectively.

In phase, the most important fluctuation, with $\Delta\varphi = 2\pi$, occurs at the critical angle, θ_R, at which Rayleigh modes are excited. Thus, one can easily determine that $\theta_R \sim 30.5°$, 31°, 36.2°, 38.2°, 45.4° and 48.2° for wave propagation in the directions [100], [001], [010], [110], [101], and [011], respectively. It should be noted that the onset of the 2 phase change corresponds to the shear critical angle θ_S, (as indicated by the arrow in Fig. 2b). The slight shift between θ_S and θ_R is due to the fact that the Rayleigh velocity varies slightly from 87 to 95 per cent of the shear velocity [14]. The degree of fluctuations in phase and amplitude in R(θ) in the different crystallographic

directions of each critical angle are indicative of the generation efficiency of different modes.

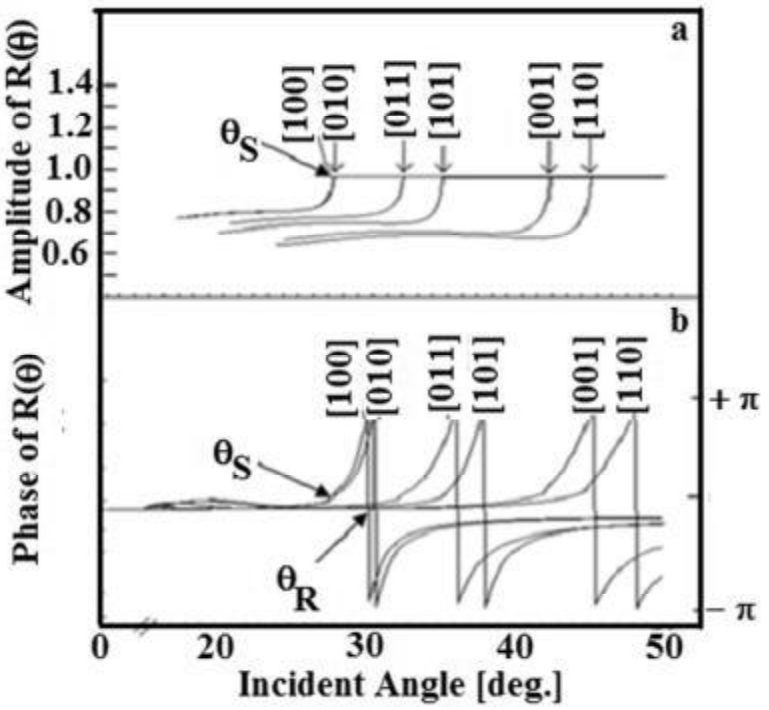

Figure 2. Amplitude (a) and phase (b) of refection coefficient of Na_2CoGeO_4 at different crystallographic directions.

5.2.crystallographic orientations effects on V(z) curves

Acoustic materials signatures, V(z), are the most important parameter that can be experimentally measured by a scanning acoustic microscope. These signatures represent the output signal, V, as a function of the defocusing distance, z, when the sample is moved vertically in the z axis towards the acoustic lens. The V(z) curves can also be calculated from equation 2 and previously determined reflection coefficients (Fig. 2). Typical obtained curves are illustrated in Fig. 3a for Na_2CoGeO_4 at six crystallographic directions [110], [001], [101], [011], [010] and [100].

It can clearly be seen that all the curves show oscillatory behavior due to constructive and destructive interference between different propagating modes in different direction. The difference between two successive minima (or maxima) is known as the spatial period, Δz, related to the velocity the of propagating mode by equation 3. Thus, it is obvious (Fig. 3a) that the spatial period Δz decreases gradually from direction [100] to [110]. The deduced values are assembled in Table 2.

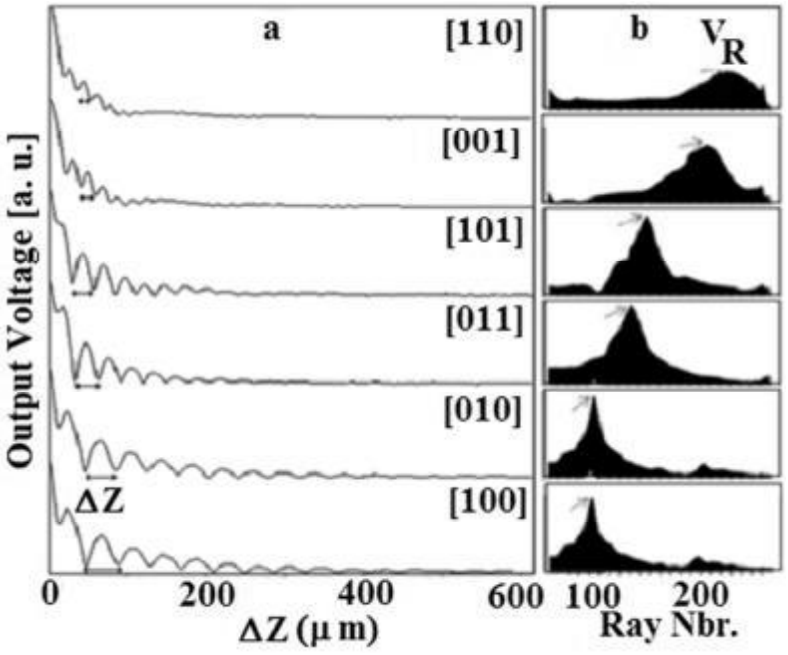

Figure 3. Acoustic materials signatures (a) and their FFT spectra (b) at different crystallographic directions on Na_2CoGeO_4 .

5.3.crystallographic orientations effects on wave velocities

The variations in Δz is better put into evidence by the spectral treatment of V(z) periodic signals (Fig. 3a) via fast Fourier transform analysis. Figure 3b illustrates FFT spectra of the corresponding V(z) curves of sodium germanate Na_2CoGeO_4 at different orientations. The principal peak corresponds to the

most dominant propagating mode. It is well established that under the simulating conditions the propagating mode corresponds to that of leaky Rayleigh waves. It can be noticed that the height as well as the position of the peak change with crystallographic orientations. The height indicates that generation efficiency of the mode; whereas, the position corresponds to the value of Rayleigh wave velocity, V_R. The determined values (Eq. 3), regrouped in Table 2, put clearly into evidence the anisotropy effects on such acoustic parameters.

Table 2: Calculated elastic parameters of Na2CoGeO4 in different crystallographic directions

	Longitudinal			Rayleigh		
Crystallographic directions	**θ_R(deg.)**	**Δz (µm)**	**V_R(m/s)**	**θ_L(deg.)**	**Δz (µm)**	**V_L(m/s)**
[100]	30.2	39.7	2993	15.6	141.3	5501
[001]	30.7	38.9	2965	16.7	128.5	5253
[010]	36.1	28.7	2583	19.6	92.4	4472
[110]	37.8	25.1	2464	15.1	151.3	5686
[101]	45.3	18.9	2157	16.1	133.3	5353
[011]	48.2	17.3	2075	15.3	147.5	5616

To enrich this investigation, we considered longitudinal acoustic waves which are a type of acoustic modes that can propagate in materials faster than shear and Rayleigh modes. To put into evidence anisotropy effects on such mode, we first calculated R(θ) in the vicinity of longitudinal critical angles, then the corresponding V(z) curves and finally their FFT spectra. Typical obtained results are displayed in Fig. 4. Similar behaviors were obtained as those of Rayleigh modes for different crystallographic orientations:

a) variations in longitudinal critical angles, changes of spatial periods,
b) changes in positions of FFT principal rays,
c) variations in peak heights
d) variations in the values of longitudinal velocities.

All these observations are regrouped in Table 2. This behavior could be explained by the atomic occupation of different planes. For denser directions the velocity is higher.

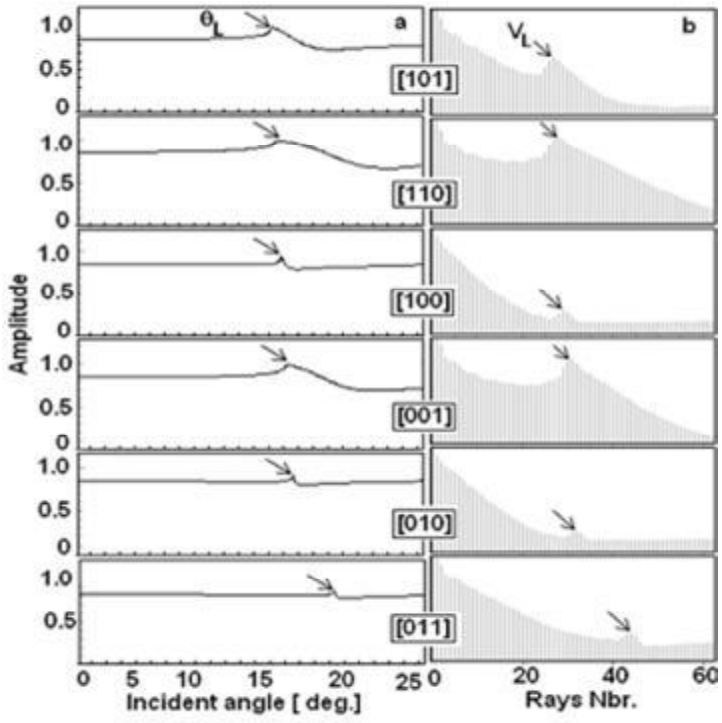

Figure 4. Effects of crystallographic orientations on (a) amplitude of reflection function in the vicinity of the longitudinal mode and (b) FFT spectra extracted from the corresponding V(z) curves.

6. Conclusions

The crystallographic direction effects in Na_2CoGeO_4 crystals are put into evidence for reflections coefficients, acoustic signatures, critical angles of mode excitation, spatial periods as well as velocities of different modes. For example, the propagation of acoustic waves in six crystallographic directions [101], [110], [100], [001], [010] and [011] of Na_2CoGeO_4 shows a decrease of the velocity of longitudinal waves from 5687 m/s to 4471 m/s due to the decreasing the atomic occupations of these planes.

7. References

[1] Maev R. G 2008 Acoustic Microscopy: Fundamentals and Applications (Berlin: Wiley-VCH).
[2] Doghmane A, Bouziane N and Hadjoub Z 2009 J. Mater. Sci. Eng. 3(8) 8.
[3] Briggs A (ed.) 1995 Advances in Acoustic Microscopy (New York: Plenum Press,)
[4] Zinin P. V 2001 Handbook of Elastic Properties of Solids, Liquids and Gases. 1: edited by:
Levy et al. 187 (New York: Academic Press).
[5] Al-Suraihy I, Doghmane A and Hadjoub Z 2009 Damage and Fracture Mechanics, edited by
Boukharouba et. al. 415 (Springer science).
[6] Seetawan T, Amornkitbamrung V, Burinprakhon T, Maensiri S, Kurosaki K, Muta H, Uno M and Yamanaka S 2006 J. Alloys Compd. 407 314.
[7] Lobachev A. N, Demianets L. N, Kuzm1na I. P and Emelianova E. N 1972 J. Cryst. Growth 13-14 540.
[8] Duderov N. G, Demianets L. N, Lobachev A. N, Pisarevsky Y. V and Sil'vestrova I. M 1978 J. Cryst. Growth 44 483.
[9] Wintenberger M and Andron B. L 1973 Phys. Status Solidi (a) 18 209.
[10] Yu Z and Boseck S 1995 Rev. Mod. Phys. 67 863.
[11] Hadjoub Z, Touati I, Doghmane M, and Doghmane A 2008 C. R. Phys. 9 903.
[12] Kushibiki J and Chubachi N 1985 IEEE Sonics Ultrason. 32 189.
[13] Sheppard C. G. R and Wilson T 1981 Appl. Phys. Lett. 38 858.
[14] Briggs A 1992 Acoustic Microscopy (Oxford: Clarendon Press).